شجرة الياسمين

رواية

إيمان العمري

- **Author** : Iman Elemary
- **Title**: Jasmine Tree
- **First Edition**: 2011
- **Cover Design by**: Afaq

- المؤلف: إيمان العمري
- العنوان : شجرة الياسمين
- الطبعة : الأولى 2011
- تصميم الغلاف: آفاق

رقم الإيداع:
٢٢٧٨١ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي : ISBN
977-6148-69-7

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

75 QASR – ALAINI ST., in Front of Dar Al-Hekma, - CAIRO – EGYPT
Tel: +202-2795-3811 Fax: 00202-2795-4633
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

٧٥ ش القصر العيني – أمام دار الحكمة – القاهرة – جمهورية مصر العربية ت : ٢٧٩٥ ٣٨١١
فاكس: ٢٧٩٥ ٤٦٣٣

إيمان العمري

شجرة الياسمين

رواية

آفاق للنشر والتوزيع

إهداء

إلى من ينبض قلبي بحبها... إلى ابنة أختي ريم أشرف

إيمان العمري

(١)

شعرت ياسمينا بالإرهاق الشديد، فقد أمضت عدة ساعات في المذاكرة، فتركت كتبها، ووقفت بصعوبة، ثم بدأت ترفع ذراعيها لتحرك عضلاتها قليلا، وبعد ذلك سارت في حجرتها، واتجهت إلى الشرفة لتستنشق بعض نسمات الهواء لتشعر ببعض الانتعاش حتى تتمكن من استكمال المذاكرة.

كان الوقت قد تأخر، ونام كل من في البيت، لكن ياسمينا ظلت ساهرة مع كتبها، فهذا هو حالها منذ سنوات طويلة مضت.. منذ أن التحقت بكلية الطب، وربما من قبل ذلك، فمنذ أن قررت الالتحاق بهذه الكلية، والكتاب لا يفارقها، وحتى بعد أن تخرجت استمرت في رحلتها مع المذاكرة، ودراسات التخصص هذا بجانب عملها في أحد المستشفيات، ومهما هاجمها التعب، والإرهاق كانت مقاومتها من فولاذ حتى تحقق ما تريد، فلا يوجد شيء يقف أمام الإرادة الحديدية لياسمين أو ياسمينا كما يناديها الجميع.

وقفت ياسمينا في شرفة حجرتها لتأخذ بعض الراحة استعدادا للجولة التالية من المذاكرة. أخذت تجوب بنظرها المكان من حولها. تطلعت إلى السماء الصافية، واتجهت إلى الله بالدعاء، ثم

نظرت إلى الحديقة الصغيرة التي تفصل منزل عائلتها عن القصر المجاور لهم.

انقبض صدر ياسمينا عندما اتجهت ببصرها إلى القصر، وتذكرت صاحبه، وما بينه وبينها... ازداد انقباض قلبها حينما لمحته، فقد كانت شرفتها قريبة من القصر، وتستطيع أن ترى بعض حجراته.

كانت إحدى الحجرات بها عمر صاحب القصر، وكعادته كان بصحبته إحدى النساء. كم شعرت ياسمينا بالاشمئزاز في كل مرة ترى فيها عمر حتى قبل أن يقع أي صدام بينهما، فقد كان أسلوب حياته هو أكثر الأشياء التي تجعلها تصاب بالغثيان، ولحسن الحظ كان لا يأتي كثيرا إلى القصر. كان يأتي في نهاية الأسبوع؛ لقضاء العطلة بقصره بالبدرشين حيث يوجد مصنعه هناك.

وأسلوب عمر محدد في قضاء العطلة. يأتي ليلا بسيارته الفارهة، ومن خلفه سيارة أخرى بها إحدى النساء، ويحضر معه العديد من أكياس الطعام التي يحملها البواب العجوز عم كامل، ويدخلها مسرعا، وهو يستغفر الله، ويدعو لعمر بالهداية، ثم يسرع إلى بيته يقفله عليه، وكأنه يحتمي بداره من سيل الذنوب الذي سيغرق المكان.

كان تصرف عم كامل ينال رضاء عمر، فهو يريد دائما المكان خاليًا من الخدم، وبعد مغادرته القصر يمكن لعم كامل أن يأتي بمن ينظفه لكن أثناء وجود عمر ومن بصحبته، لا مكان لأحدٍ

آخر، فهو غالبا ما يكون في صحبته إحدى النساء الشهيرات من الفنانات أو سيدات المجتمع، ولا يريد أن يتعرف أحد على من معه... الوحيدة التي كانت تعرفهن جيدا هي ياسمينا بحكم وضع شرفتها الاستراتيجي.

كانت ياسمينا في كل عطلة تنتظر حتى يتأخر الوقت لتخرج إلى شرفتها، وترى من يصطحبها عمر في تلك المرة، وكم صدمت من معرفتها للنساء اللائي يكن في صحبته، لكنها سرعان ما تترك شرفتها، وتغلقها جيدا حتى لا تتابع المزيد مما يحدث، وكم نهت نفسها عن الخروج للشرفة في فترة العطلة، لكن كان هناك رغبة داخلية لديها لتتابع أخبار علية القوم، وما بينهم من علاقات مشينة، فلم تجد حرجا من مجرد اختلاس بعض النظرات خاصة أن شرفتها لا تكشف سوى البهو، وبعض حجرات الطابق الأول حيث لا يحدث شيء تقريبا. أما حجرات الطابق الثاني فلم تكن تراها ياسمينا، ولا ترى ما يحدث بها، وإن كانت تعرفه جيدا، فلعمر نظام ثابت يمكن أن يدركه أي شخص، كما أن مواعيده محددة سواء في القدوم للقصر ليلا، ومغادرته في اليوم التالي في الليل أيضا.

لكن ما لفت انتباه ياسمينا في تلك الليلة أنهم ليسوا في نهاية الأسبوع، كما أن ما تراه ليس كما كانت تراه في كل مرة... كان عمر ومن معه يقفان في حجرة المكتب. كانت السيدة تقف في مواجهة عمر الذي كان واضحا تماما لياسمينا أما المرأة التي كانت

معه فلم تتعرف عليها حيث كانت تعطي ظهرها للنافذة المقابلة لشرفة ياسمينا. لاحظت ياسمينا أن عمر لا يحتفي كعادته بضيفته، كما أنه لا يحمل كؤوس الخمر، ولا يظهر أي شيء من طقوسه المعتادة بل أكثر من ذلك كان يبدو أنه يتشاجر، فهو يحرك يده، ويتحرك بعصبية، وهذا ما تفعله رفيقته هي الأخرى.

أثار منظر عمر، ومن معه فضول ياسمينا، فأمعنت النظر إليهما، وتابعت ما يحدث بينهما. كان المكان ساكنا، فلا يوجد منازل حولهما إلا على مسافة كبيرة، فوصل إلى مسامع ياسمينا بعض الكلمات التي دلت على وجود شجار عنيف بين عمر، ورفيقته التي تحركت أخيرا، فتمكنت ياسمينا من التعرف عليها. لقد كانت الفنانة الشهيرة علا رأفت، لكن كيف؟؟ لقد كانت علا صديقة لعمر منذ فترة ليست بقصيرة، والآن هي خطيبة رجل السياسة، والأعمال حسين شوكت، فماذا تفعل مع عمر الآن؟؟!!

ازداد فضول ياسمينا حدة، وتناست دروسها، وظلت تتابع الشجار المتزايد بين عمر، وعلا..

كانت ياسمينا تنظر إليهما، وتتوالى الصور في مخيلتها عن علا رأفت، وهي تظهر في البرامج التلفزيونية تتحدث عن دور الفنان في الحياة، وإنه قدوة، وغيرها من العبارات المنمقة عن القيم، والأخلاق، وتتداخل مع صور علا صور عمر ذاته، لكن ما تعرفه ياسمينا عن عمر أسوأ بكثير من مجرد علاقاته مع هؤلاء النسوة... هيا... هيا يا عمر أنت، وعلا ارفعا صوتيكما بعض الشيء؛ حتى

تعرف ياسمينا ما يحدث جيدا، وتتعرف على ملامح هذه القصة المثيرة.

لكن ما حدث فاق كل تخيلات ياسمينا، وكان أشبه بالصدمة، فقد تحرك عمر بعصبية، وأشار إلى رفيقته لتغادر المكان، وهو يشيح بوجهه عنها، لكن السيدة بحركة مفاجئة تناولت خنجر فتح الخطابات من فوق مكتب عمر، واتجهت مسرعة نحوه لتطعنه في أحد جنبيه، وتركته يهوي على الأرض من شدة الألم، وخرجت مسرعة، وعمر لم يحاول الإمساك بها أو حتى الاستغاثة.

أذهلت الصدمة ياسمينا، وكادت أن تصرخ، ووجدت نفسها دون أن تدري تهرع إلى قصر عمر. كانت علا قد أقلعت بسيارتها، فلم تر ياسمينا التي انطلقت تعدو إلى عمر، وهي تنادي على عم كامل.

لم تنتظر ياسمينا وصول عم كامل، ودلفت إلى القصر، فقد كان بابه مفتوحا، وأسرعت إلى حجرة المكتب. كان عمر ملقى على الأرض، والدماء تسيل منه، وهو لا يقوى على الحركة. هرعت ياسمينا نحوه، وانحنت، وهي تمسك بكتفيه

عمر.... عمر.

كانت الآلام تعتصره، وتترجمها صرخاته المتواصلة.

آه....آه.

حاول الوقوف، والمشي لحد الكنبة أنا حا ساعدك.

لم يجبها عمر، وواصل صراخه من شدة الألم. هنا ظهر عم كامل الذي صعق مما رأى.

يا ساتر يا رب...إيه اللي حصل ؟.. سلامتك يا عمر بيه.

نظرت له ياسمينا، والاضطراب يملؤها

عل....

أشار لها عمر بحركة واهية، ففهمت قصده، وتوقفت عن الكلام لحظات.

عم كامل ساعدنى ننقل عمر للكنبة.

نفذ عم كامل كلام ياسمينا التي خلعت عن عمر «الجاكيت» والقميص اللذين كان يرتديهما، ثم بدأت تتفحص جرحه.

عم كامل بسرعة عايزة قطن، ولا أقولك أنا حا أكتب لك على حاجات تجيبها في لمح البصر من المستشفى... خد العربية، وأنا حا أكلمهم عشان يدوها لك بسرعة.

طوت ياسمينا قميص عمر، ووضعته على جرحه لتمنع تدفق الدماء، وأسرعت بكتابة ما تحتاجه، والاتصال بالمستشفى. كانت ياسمينا تتصرف بسرعة، ومثلها فعل عم كامل.

جلست ياسمينا بجوار عمر تضغط بيدها على جرحه. كان عمر مازال يتألم، لكنه تحامل على نفسه، وتحدث إلى ياسمينا.

ياسمينا.. مش عايز... آه... أي حد يعرف حاجة عن اللي حصل.

حاضر والله مش حا أقول لأي حد حاجة حتى بابا وماما نايمين ومش حا يدروا باللي حصل.

تركت ياسمينا عمر قليلا، وذهبت مسرعة إلى منزلها لتحضر بعض أدواتها الطبية. كانت قد تركت باب منزلها مفتوحا، فلم يشعر أحد بعودتها، ولا بذهابها مرة أخرى لمنزل عمر. كان عمر قد ازداد به الوهن، فأصبح لا يقوى حتى على الصراخ.

لحسن الحظ كان عم كامل قد أحضر كل ما طلبته ياسمينا التي بدأت في القيام بعملها.

الحمد لله الجرح مش خطير، فالضربة كانت ضعيفة.

حاول عم كامل الاستفسار مرة أخرى عما حدث، لكن لم يرد عليه أحد، فاستأذن بالمغادرة لبعض الوقت.

كان عمر يشعر بالضيق مما تقوم به ياسمينا، لكن آلامه كانت أشد، فتحامل على نفسه .

إنت حا تعملي إيه ؟

كانت ياسمينا قد زالت الصدمة تماما عنها، وعادت إلى طبيعتها، فردت عليه بثبات.

ما اعتقدش إنك محتاج تسأل أنا دكتورة، وإنت مطعون بخنجر.. يعني فيه عندك اختيارات.

نظر لها عمر بحدة، واستغل ما يشعر به من آلام للصراخ فيها وهو يحدثها.

يعني إنت حا تعرفي تعملي حاجة ؟!

لم تجبه ياسمينا، واستمرت في عملها، وعندما ازداد صراخه من الألم حقنته بالمسكن بعدها شعر عمر بالتحسن.

ما كان من الأول المسكن، ولا إنت يا ياسمينا على طول كده غاوية تتعبيني.

لم تلتفت ياسمينا له، وأكملت عملها حتى انتهت منه. بعدها تحدث عمر معها بأسلوب خال من الود، وبه تكبر.

ياسمينا مش عايز أنبهك تاني ما فيش حد يدري باللي حصل.

أستاذ عمر لازم تعرف إن أسرار المريض....

قاطعها عمر ساخرا

ما علش مش عايز شعارات.

نظرت له ياسمينا شزرا

خلاص... قلت لك ما حدش حا يعرف حاجة تحب أحلف لك على المصحف.

خلاص..

شعرت ياسمينا بالضيق الشديد من أسلوبه المتعجرف... فماذا يظن نفسه؟؟ إنه كاد أن يفقد حياته ضحية لإحدى نزواته، والآن يتحدث بمنتهى التكبر مع التي أنقذت حياته. كادت ياسمينا أن تلوم نفسها لما فعلته، لكن لم يكن لديها وقت للوم، فأسرعت بكتابة. «الروشتة»، وكتابة التعليمات التي عليه تنفيذها.

لكن أهم شيء الابتعاد التام عن المشروبات الكحولية، هي بتتعارض مع الأدوية اللي كتبتها لك.

تحامل عمر على نفسه، واعتدل قليلا، ووجه لياسمينا نظرات قاسية، وعاد لعجرفته في الحديث معها، عموما أنا بكرة حا أسافر فرنسا، وأعرض نفسي على دكتور كويس هناك.

شعرت ياسمينا بالدماء تغلي في عروقها «يا له من متعجرف حقير»!!

وضعت ياسمينا «الروشتة» على المكتب بحدة

إنت حر... أنا عملت اللازم، وعندك الأدوية لكن لحد بكرة لو ما سمعتش الكلام إنت اللي حا تتألم.

لم تنظر ياسمينا لعمر، واتجهت لمغادرة المكان بسرعة. كان عم كامل قد حضر، ومعه فنجان القهوة. ابتسمت ياسمينا له، وأخذت فنجان القهوة، واحتستها بسرعة.

أنت هايل يا عم كامل.. أنا فعلا محتاجة لفنجان القهوة؛ أصل أنا عندي سهرة صباحي.

نظر لها عم كامل بإشفاق.

يا بنتي خلي بالك من نفسك، وبعدين السهر الكتير مضر بالصحة.

نعمل إيه القلب وأحكامه يا عم كامل... إنت عارف الماجستير...

قاطع عمر كلامهما

خلاص... أنا عايز أنام... تعالى يا عم كامل عشان توصلني.

أعطت ياسمينا فنجانها لعم كامل، وغادرت القصر مسرعة، وهي تشعر بالضيق الشديد من أسلوب عمر معها. لاحظ عم كامل ضيق ياسمينا، فحاول لفت أنظار عمر لما قام به، وهو يوصله لغرفته لكن عمر لم يعطه الفرصة.

فيه روشتة على المكتب... أول ما الصيدليات تفتح روح جيب الأدوية المكتوبة فيها.

لم ينتظر عمر رد عم كامل، وطلب منه أن يتركه لينام. كان التعب قد أنهكه، فاستسلم للنوم، ورغم أن أحداث الليلة لم تتركه ينعم بنوم هادئ فقد كان أفضل حال من ياسمينا التي لم تستطع النوم، ولا حتى استكمال المذاكرة، فقد استمرت صور أحداث الليلة تتصارع في رأسها مع صور أحداث أيام سابقة لقد رأت أمامها شريطا طويلا من الصور لعمر، ولوالده.... ظلت ياسمينا تتابع شريط الذكريات حتى غلبها النعاس، ونامت وهي جالسة أمام مكتبها.

(٢)

كان والد عمر صديقا لوالد ياسمينا، وكم كانت ياسمينا تحب رؤيته عندما يأتي لقصره المجاور لمنزل أسرتها... «فعمو حامد» كما كانت تناديه ياسمينا كان صاحب المصنع الذي يعمل فيه والدها مهندسا، وتعمل والدتها هي الأخرى مهندسة بنفس المصنع، وقد شهد المكان قصة حب والدي ياسمينا، وزواجهما، وكان صاحب المصنع شاهدا عليها .

وكم كان يحلو لحامد أن يصف ياسمينا، وأختها الكبرى داليا بأنهما ابنتا أخيه، وكم كانت سعادته يوم أن تزوجت داليا، فقد ملأه الفرح، وكاد أن يقفز من بين عينيه، ونفس الصورة تكررت عندما رزقت بابنها حازم، وهو الذي أطلق عليه هذا الاسم.

آه... كم حزنت ياسمينا لفراق حامد... إن مجرد تذكر هذا اليوم يجعل الدموع تغزو مقلتيها، لكن للأسف النار لا تخلف سوى الرماد هذا كان دائما هو وجه نظر ياسمينا نحو عمر ابن «عمو حامد».

كان عمر يكبر ياسمينا بأكثر من عشر سنوات، وكان نادرا ما يأتي مع والده إلى البدرشين، فمنذ أن انفصل والداه وهو في الحادية عشرة من عمره منذ ذلك الحين، وعمر يعيش مع جدته

لوالده في منزلها بحي المهندسين، وبعد وفاة الجدة آثر عمر أن يعيش بمفرده... كان وقتها في أوائل الثلاثينات شابًا وسيمًا طويل القامة...رشيق القوام... بشرته بيضاء مشبعة بالاحمرار... شعره أسود ناعم... متخرج في الجامعة الأمريكية قسم إدارة أعمال... يرتدي أحدث الصيحات في الملابس... لديه أحدث ماركات السيارات... منذ تخرجه أدخلته والدته عالم رجال الأعمال، وسرعان ما أصبح هو المحرك الرئيس لمجموعة شركات عائلة والدته هذا بالإضافة لإدارته لمصنع والده الذي يعد من أكبر مصانع المنسوجات في البلاد، فوالده حامد البرديسي لم يكن يبخل على ابنه بشيء فأعطاه كل صلاحيات الإدارة أثناء حياته... حقا كان عمر لا يذهب كثيرا إلى قصر والده بالبدرشين لكنه كان يزوره في بيته بالمعادي، فقصر البدرشين بالنسبة لعمر ليس أكثر من استراحة على العكس من والده الذي كان يقضي معظم الوقت به، ولا يذهب إلى بيت المعادي إلا قليلا، لكن هذا لم يؤثر على ذهاب عمر بصورة منتظمة إلى المصنع، ومتابعة كل صغيرة، وكبيرة فيه.

وعندما توفي حامد انتقل كل شيء إلى عمر رسميا، لكن فعليا لم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة للمصنع، الاختلاف كله كان بالنسبة لاستخدام عمر لقصر البدرشين. هذا القصر الذي بناه جد عمر عندما وضع أساس مصنعه.

كان القصر بالنسبة لأهل المنطقة كلها علامة مميزة للمكان،

فقد كان مبنيا على الطراز القديم للقصور، وتحيطه المساحات الخضراء من كافة الجوانب، ورغم أن الزحف العمراني قد التهم أجزاء كبيرة من المنطقة، لكنه لم يجرؤ على الاقتراب من قصر البرديسي الذي ظل واقفا شامخا بمفرده كدليل على تفرد صاحبه الذي استطاع أن يرسخ اسمه في عالم المنسوجات في فترة وجيزة جعلته محل إعجاب الجميع، وتقديرهم.

ولما كثر زوار المصنع الذين يأتون لعقد الصفقات فكر الجد في بناء ملحق للقصر ليكون مقرا للاستضافة... كان الملحق أشبه بفيللا مستقلة قريبة جدا من القصر... أحب أهل المنطقة أن يلقبوها بابنة القصر المدللة، فقد كانت محاطة بالورود، والأشجار من كل جانب.

استمر حال المصنع يسير في ازدهار، وتقدم حتى بعد وفاة الجد، وتولي ابنه القيادة.أحب حامد البرديسي مصنعه، وقصره، وأحبه كل الأهالي في المنطقة. كان يريد أن ينشئ قلعة للصناعة، وكم حقق من نجاحات في هذا الطريق.

لكن الأمور لم تسر كما كان يحلو له، فسرعان ما واجه أزمة مالية، واضطر للاقتراض من البنك بضمان القصر، والمصنع، وللأسف لم يستطع تسديد أقساط البنك في الوقت المحدد، فطرق كل الأبواب للخلاص من هذا المأزق، لكن لم يجد من يجيبه، وكاد أن يفقد المصنع أو القصر، هنا لاحت له بارقة أمل عندما وجد يدًا تمتد له، كانت يد صديقه المهندس محمد الحكيم

والد ياسمينا الذي عرض عليه شراء ملحق القصر، وبذلك يتمكن من سداد أقساط البنك، ولا يعرض المصنع أو القصر للضياع.

كان وقتها محمد قد تعرف على زميلته المهندسة نجلاء، وكان في طريقه للارتباط بها،فباع بعض ما كان قد ورثه عن والده ليشتري لها بيتا جميلا بجوار المكان الذي شهد قصة حبهما، وبذلك أنقذ صديقه، وحقق حلم حياته بالارتباط بحبيبته.

وهكذا أصبح حامد، ومحمد ليسا مجرد صديقين، لكن جيرانا، وأكثر من أخوين، ورغم هذا التقارب الشديد بينهما ظل عمربعيدا عن هذه الدائرة تماما...ولم يحاول محمد أن يقترب من عمر، فقد أحس أن له عالمه المختلف عن عالم أبيه؛ لذا بعد وفاة حامد، ورغم حزن محمد الشديد عليه فلم يحاول مطلقا التعامل مع عمر على إنه ابن أخيه بل كان يتعامل معه بأسلوب متحفظ، ولا يناديه إلا: يا «عمر بيه»، ورغم أن عمر كان يحترم محمدًا، ويعامله معاملة خاصة جدا، فقد ظل يضع حواجز بينهما، ولا يتعامل معه مطلقا كعم له بل هو ليس أكثر من مدير المصنع الذي له وضع خاص، ومميز.

ظلت الحياة هادئة بين صاحب المصنع، وجيرانه، فجدول مواعيد عمر في الذهاب للقصر يجعل جيرانه لا يشعرون به، ولا بما يقوم به... حقا قد ساورتهم الشكوك، وأحسوا بما يحدث، لكنهم لم يروا شيئا.... الوحيدة التي كانت على علم تام بما يحدث هي ياسمينا.

لم ترغب ياسمينا في الحديث، ولو لمرة واحدة عما تراه. لقد كانت تعتبره سرها الخفي، بل كانت تعتبر شرفتها هي نافذتها على عالم غامض لا تراه سوى في الأفلام، لكن ما يقدم في هذه الأعمال يختلف كثيرا عما تراه في عطلة نهاية الأسبوع... إنه عالم خاص... كأنه ضفيرة من المال، والسياسة، والفن.

كان يحلو لياسمينا أن تتابع هذه الضفيرة من خلال ما تراه من شرفتها، وما تقرؤه في الصحف عن العلاقات المتداخلة «من يعمل مع من»... «من يهاجم من»... «ومن يصادق من»... لتصبح في النهاية الصورة واضحة لها... صورة خاصة جدا بياسمينا وحدها لذا لم تكن ترغب في أن يشاركها في هذه الصورة أحد حتى لا يضع أي خطوط خاصة به عليها.. إنها لوحة ياسمينا الخاصة، ولا يحق لأي شخص أن يشارك في تكوينها، أو حتى أن يراها.

عكست هذه اللوحة ظلالها على اتجاه ياسمينا نحو عمر، فقد كانت تعتبره آلة، وليس بشرا كل شيء يفعله بلا أي إحساس حتى علاقاته الخاصة تتم بصورة آلية، وكأنها جزء من جدول تشغيل الآلة التي تحمل اسم عمر.

وعلى عكس ياسمينا كانت عائلتها تكن حبا جما لعمر، فهو ابن صديقهم حامد، لكن ياسمينا لم تكن تشارك أحدًا في أية مشاعر طيبة نحو عمر، فقد كانت لا تميل للبشر الذين تخلصوا من قلوبهم، وكانت دائما ما تصف عمر بأنه كائن يستحق الدراسة لأنه يعيش بلا قلب. عندما كان يسمع والدها وصفها لعمر كان

يعاتبها ضاحكا.

شغل القلب بتاعك ده ابعديه عن ابن صاحبي.

وقبل أن تستطرد ياسمينا مدافعة عن رأيها كانت والدتها تكمل حديث الوالد :

والله عمر ده عنده قلب، لكن والدته هي السبب في اللي وصل له... ده تربية جدته، وكانت ست طيبة جدا، وأبوه عمكم حامد لايمكن يخلف ابن ما عندوش قلب.

كانت ياسمينا تتعجب دائما من الدفاع الدائم عن عمر، وتظل تردد مقولتها الشهيرة

النار ما تخلفش إلا الرماد.

ورغم هجوم ياسمينا الدائم على عمر، فلم تحاول مطلقا أن تحكي لأي شخص عما تعرفه عن عمر حتى، وإن حاول أحدهم الحديث عن الشائعات التي تنطلق حوله، وزياراته المثيرة للجدل للقصر، وقتها كانت ياسمينا تتشاغل بأي شيء، وكأنها لا تهتم بالموضوع من أساسه، وتعلل موقفها بأن حكمها على عمر نهائي، ولن يختلف الأمر إن كان له علاقات خاصة أو غير ذلك من الشائعات التي لا تنتهي حوله.

استمر جبل الثلج بين عمر من جهة، وياسمينا وعائلتها من جهة أخرى، لكن الأمور لم تسر في طريقها المعتاد، فعلى غير المتوقع تحول هذا الجبل إلى بركان ثائر يأخذ كل شيء في طريقه.

كانت البداية بسيطة، فياسمينا تعشق أمراض القلب، وهذا هو التخصص الذي تدرسه؛ لذا كانت تهتم عظيم الاهتمام بالتأكيد على حالة قلب أي مريض يذهب للمستشفى التي تعمل به... وقد لاحظت ارتفاع معدلات الإصابة بأمراض القلب بين العاملين في مصنع عمر، وسكان المنطقة المحيطة بالمصنع، وقد ارتبطت الإصابة بهذه الأمراض بأمراض الصدر، والحساسية. لفتت حزمة الأمراض ياسمينا التي بدأت تدرس أحوال المصنع، وقد ساعدتها والدتها كثيرا في هذا المجال حتى توصلت أخيرا إلى أن المصنع ليس متلائمًا مع البيئة، ويجب إجراء العديد من التعديلات به حتى لا يضر بالبيئة، وصحة العاملين به، وصحة من يعيشون في المناطق المحيطة به.

حملت ياسمينا ما توصلت له، وتحدثت مع والدها بشأنه، لكنه أنكر كل ما توصلت له، ونهرها عن الاستمرار، وحدثها بحدة.

ياسمينا المصنع ده جزء مني.... كمان أنا وضعي حساس جدا، ومش عايز أي صدام مع عمر.

وعبثا حاولت ياسمينا إقناع والدها بوجهة نظرها، لكنها لم تتراجع عن موقفها، وقناعتها الشخصية، وكانت والدتها هي سندها لتستمر فيما بدأته، وهو ما تسبب في نشوء خلاف بين والدي ياسمينا.

حاولت ياسمينا تهدئة الموقف، ففكرت في الحل السلمي، فحاولت في البداية مقابلة عمر في المصنع، لكن كانت الأبواب

موصدة، وعمل والدها جاهدا حتى لا تقابل عمر، فانتظرت ياسمينا حتى جاء يوم الخميس، يوم قدوم عمر لقصره، وظلت تستعد لمقابلته، ولما ستقوله له. كانت تشعر باضطراب شديد لكنها هدأت نفسها:

«ولم لا ؟! لأحدثه عندما يأتي.. لكنه يأتي متأخرا حتى لا يراه أحد.... فماذا لو أدرك أنني أتابعه، وأعرف كل ما يفعله؟! ما المشكلة ؟! إنه يأتي بمفرده، ورفيقته تأتي بعده، وطبعا عندما تراني أتحدث معه ستتأخر قليلا... وإن لم تفعل... ماذا سيفعل عمر معي؟! لا يهم... الطرق كلها مغلقة، وليس أمامي حل آخر... إنه جارنا، ولا يوجد أي حرج في أن أتحدث معه.»

ظلت ياسمينا تجوب حجرتها ذهابا، وأيابا، وكلما سمعت صوت سيارة تسرع إلى شرفتها لترى القادم حتى لمحت سيارة عمر، فأسرعت بالذهاب إليه قبل أن تصل رفيقته حتى لا تسبب أي حرج له، فما أن ترك عمر سيارته حتى وجد ياسمينا أمامه. كانت واقفة وهي تلهث، وكأن هناك أمرًا جللًا قد حدث... اعتقد عمر أن هناك سوءا قد أصاب أحدًا بالدار، وساورته الشكوك حول ضياع إجازته هذا الأسبوع، فنظر إلى ياسمينا مستفسرا، تحدثت ياسمينا إليه مباشرة، وبسرعة، فكانت الكلمات تخرج من فمها متلاحقة دون توقف، فلم يفهم عمر منها شيئا .

إنت بتقولى إيه ؟ آه إنت بنت المهندس محمد الحكيم... إنت...

حاول عمر تذكر اسمها، فأسرعت ياسمينا بتذكيره إياه

أنا ياسمين.

آه ياسمينا الصغيرة.

أنا دكتورة... وحا أتخصص في أمراض القلب.

آه..إيه عايزاني أتوسط لك طب...

قاطعته ياسمينا

لا... لا أنا عايزة المصنع يتلاءم مع البيئة.

نعم.. إنت بتقولي إيه ؟؟!!

كانت رفيقة عمر قد وصلت لتوها، وظلت في السيارة تشير له لينهي لقاءه، فنظر بارتباك لياسمينا، وحاول أن يتخلص منها، لكنها استمرت تعرض وجهة نظرها، وما توصلت إليه. لم يستطع عمر استيعاب ما تريده ياسمينا، لكنه شعر بالضيق الشديد منها، وازداد ضيقه لاستمرارها في الحديث، ورفيقته تضج بالغضب، وتكاد أن تعود من حيث أتت. كان على عمر أن ينهي لقاء ياسمينا بأي شكل، فتحدث بعصبية، وبأسلوب متعجرف.

ياسمينا إحنا بعد نص الليل، وأنا لازم أدخل البيت، وإنت بقالك أكتر من ربع ساعة بتتكلمي في حاجات عجيبة... واضح إن المذاكرة الكتير أثرت عليكي.

أستاذ عمر.

قاطعها عمر

ياسمينا، تصبحي على خير، وخليكي في دروس الطب، وسيبي المصنع لأصحابه.

تركها عمر، ومارس طقوسه المعتادة، ورحب برفيقته، وأدخلها معه القصر...ظلت ياسمينا واقفة مثبتة في الأرض تنظر له، ولا تستطيع التحرك.

(٣)

أصبحت ياسمينا على يقين من أن أية محاولة للحلول السلمية مع عمر ستبوء بالفشل، فهو لم، ولن يلتفت لما تقوله... كما أنه لا يعطي اهتماما كبيرا للمصنع فما بالك بالعاملين فيه، أو أهالي المنطقة المحيطة به.

كادت ياسمينا أن تفقد الأمل في أي تغيير خاصة أن والدها كان من أشد المعارضين لها. حاولت أختها الكبرى أن تثنيها هي الأخرى خاصة أن ياسمينا أمامها مرحلة شاقة من المذاكرة... وقتها حاولت ياسمينا التركيز في المذاكر، وتناسي الموضوع، ولو لفترة قصيرة...

كان تركيز ياسمينا في المذاكرةهوالشرارة التي فجرت بركان الغضب داخلها، فقد أصبحت على يقين تام بالأضرار الجسيمة التي يسببها المصنع للعاملين به، ومن يسكن بجواره.

أصبحت ياسمينا ترى عمر في صورة مصاص الدماء الذي يسعد بدماء ضحاياه... الذي يأتي إلى قصره ليلهو، ويعبث، وهناك المئات يسعلون، ويصارعون الآلام العنيفة التي تمزق صدورهم،

وبعضهم لا يقوى حتى على التنفس.

نحت ياسمينا جانبا كل الآراء المثبطة لعزيمتها، وعقدت العزم على محاربة هذا الفاسد العابث المسمى «عمر»، وليكن ما يكون... ما يهم هو إنقاذ الناس من عبثه. جمعت ياسمينا كل التقارير الطبية الخاصة بالمرضى الذين ترى أن المصنع سبب مرضهم، كما أنها سعت للتعرف على المزيد من الحالات المرضية، فحاولت الدخول إلى المصنع، ومعرفة المزيد عن الحالة الصحية للعاملين هناك، وكانت والدتها هي سبيلها لذلك ، فقد أقنعت العديد من العاملين بالمصنع بالذهاب إلى المستشفى الذي تعمل فيه ياسمينا لإجراء كشف دوري بالمجان، وقد أسعدت هذه الدعوة العاملين بالمصنع حتى الأصحاء منهم وجدوها فرصة.

وهكذا وجدت ياسمينا لديها ملفًا حافلًا بكافة الأمراض التي سببها مصنع عمر، وتوسعت ياسمينا في بحثها، فوجدت مصانع مجاورة لديها بعض المشاكل المماثلة. وضعت ياسمينا خطة الهجوم على كل ما يصيب السكان بضرر، وكان مصنع عمر هو محور الهجوم، فقد كان أكبر المنشآت، وأكثرها تأثيرا...

بدأت ياسمينا خطتها بالاتصال بجميع الجمعيات التي لها اهتمام بالبيئة، وبصحة المواطنين كذلك قدمت بلاغات للجهات الرسمية المسئولة عن هذا الشأن، وبدأت في تجميع الحلفاء، واستخدام وسائل الإعلام، والتقنيات الحديثة في الاتصال لعرض ما يحدث في المنطقة. كان حلفاء ياسمينا يتزايدون يوما بعد

الآخر، فتوسعت دائرة الاهتمام بالقضية، وأصبحت تذكر في العديد من المحافل.

كان رد فعل عمر هادئًا في البداية، بل إنه أخذ الأمر كله بمحمل الهزل، فقد صور له غروره أن القضية كلها تتلخص في أنه تعامل مع ياسمينا بأسلوب فظ، وهي تريد لفت انتباهه بأي طريقة. أدخل هذا التفسير السعادة لقلب عمر، وأرضى غروره، فاتجه إلى مصنع البدرشين ليتفقد العمل هناك. أثار قدومه تعجب الجميع، فهو لم يأتِ في أحد الأيام المحددة للمصنع من كل أسبوع.

أنزعج المهندس محمد من قدوم عمر، واعتبره نذير سوء فقد ربط بينه، وبين حملة ياسمينا ضده، لكن عمرأزال من نفسه كل توتر، فقد قابله بترحاب، واستفسر منه عن أحوال المصنع، بل ناقشه لأول مرة في خطط التطوير، والتي كان لا يهتم عمر بها من قبل، فمنذ أن ورث المصنع، وهو يضعه في ذيل قائمة أولوياته على عكس مشاريع مجموعة أسرة والدته رغم أنه المالك الوحيد للمصنع، ومجرد مدير مسئول في المجموعة له بعض الأسهم، وكم حاول المهندس محمد تنبيه عمر لهذا الأمر، لكنه كان في كل مرة لا يهتم بما يقول محمد، ويكتفي بالحصول على صورة عامة عما يحدث في المصنع، وإن ألح عليه المهندس محمد يرد عليه بنبرات تحمل سخرية خفية:

إحنا مش في زمن الصناعة يا باشمهندس، وكفاية على المصنع كده.

لكن عمر انتبه أخيرا إلى خطط تطوير المصنع، وتحدث عنها... ها قد دخل المصنع في دائرة اهتمامه، أو هكذا ظن المهندس محمد.

كان عمر يتابع المهندس محمد، وهو يتحدث، وذهنه كله مشغول بابنته ياسمينا يحاول أن يتذكرها جيدا، فقد كان لايتذكر سوى صورة مشوشة لفتاة تحظى بملامح جميلة، ولها قوام ممشوق، ورغم أنه لم يستطع تذكر صورتها بوضوح، فقد كان ما لديه من ومضات عن صورتها كافية بتشجيعه لينفذ ما عقد العزم عليه.

وعلى عكس العادة بعد أن أنهى عمر عمله بالمصنع اتجه لقصره...كان قدومه محل دهشة عم كامل، فلأول مرة منذ سنوات يأتي عمر، والشمس تملأ المكان، وبمفرده، ودون أن يحضر معه شيئا، هل أتى ليحضر شيئا قد نسيه، أم أن هناك أمرًا آخر يخطط عمر له؟!!

قبل أن تحاصر التساؤلات عم كامل قدم عمر له تبريرا ساذجا لقدومه بأنه أراد أن يتابع أحوال المصنع، وسيقضي يومين في القصر، وأمره بإحضار ما سيحتاجه من طلبات. رغم عدم اقتناع عم كامل بما قدمه عمر من تبريرات واهية، فقد أسعده قدوم سيده للقصر، فعم كامل يكن حبا كبيرا لعمر، فهو ابن المهندس حامد الذي كان يعامله معاملة كريمة، وكأنه فرد من عائلته، فعاش عم كامل بتلك المشاعر، واعتبر عمر، وكأنه ابنه الذي تركه، وسافر

منذ سنوات، ولم يعد يراه إلا قليلا، وفى المناسبات غير السارة كما حضر يوم وفاة والدته، عدا ذلك فعمر ابن عم كامل الحقيقي الذي يتمنى له دائما كل الخير، ويدعو الله له بالهداية... لذا لم يجد عم كامل غضاضة في أن يصدق ما ادعاه عمر، وقد اهتم أخيرا بأحوال المصنع، ويسعى لتطويره، وقد أخذته التخيلات بعيدا، فربط بين ما قامت به ياسمينا، والتغيرات التي حدثت لعمر خاصة أنه أخلف عادة حضوره للقصر عدة أسابيع، وبالتحديد منذ أن التقى بياسمينا، فقد شهد عم كامل ذلك اللقاء، واعتبره بداية الطريق لهداية عمر.

لم تكن تخيلات عم كامل بعيدة كل البعد عما حدث، فقد كانت ياسمينا، وما فعلته سببا في قدوم عمر للقصر، وإن كان هدفه المعلن يختلف عن هدفه الحقيقي كل الاختلاف. كان هدف عمر بسيطًا، ومحددًا، وقد اعتقد أنه سيتمكن من تحقيقه سريعا، عليه فقط أن يقابل ياسمينا، وكل شيء سينتهي، المهم أن يبدو اللقاء، وكأنه تم بالمصادفة.

كان عم كامل هو وسيلة عمر لمعرفة كل أخبار الجيران... لم يكن الأمر معقدا بل أبسط مما تصوره عمر نفسه، فبعد أن أحضر عم كامل كل ما طلبه عمر دعاه للجلوس معه مدعيا أنه يشعر بالوحدة، وعم كامل يذكره بوالده، وأيامه الجميلة. كان مدخل عمر العاطفي هو المفتاح السحري لفتح كل الأبواب المغلقة أمامه، فوجد عم كامل كأكبر جهاز مخابرات في العالم لديه

معلومات دقيقة، ومفصلة عن كل صغيرة، وكبيرة عن المهندس محمد، وعائلته. وبدون أي مجهود استطاع عمر أن يرسم صورة متكاملة عن ياسمينا، وكل عادتها، كما أنه عرف جدولها اليومي بدقة متناهية، فاستطاع أن يحدد موعد عودتها إلى المنزل في كل يوم.

وفى موعد عودة ياسمينا انتظرها عمر في شرفته، وما إن شاهدها تقترب من بوابة القصر حتى نزل مسرعا، واتجه إلى سيارته، وكأنه يستعد لمغادرة المكان...وجدت ياسمينا نفسها وجها لوجه أمام عمر الذي ألقى عليها التحية، ووجهه متهلل، وكأنه صديقها الحميم، شعرت ياسمينا بالحرج من ترحيبه لها، فردت عليه التحية باضطراب جعله يشعر بأنه يسير على الطريق الصحيح، وإن الأمر لا يحتاج إلا القليل حتى ينهي أمر ياسمينا، فهذه الفتاة المضطربة الخجلة لن يكون لديها أية قوة لمقاومة هذا البطل المغوار الذي له صولاته، وجولاته في عالم النساء، وكم حطم من القلاع الحصينة، وياسمينا ليست سوى فراشة تجري نحو الضوء الذي قد يقضي عليها.

لأول مرة يتعرف عمر على ملامح ياسمينا، فوجدها فتاة ذات ملامح جميلة تتمتع ببشرة بيضاء، ووجه مستدير... ذات عينين واسعتين رغم أن الإرهاق يبدو عليهما، فيقلل من جمالهما، لكنه لا يستطيع أن يخفي ما يتمتعان به من سحر غامض هو مزيج من الرقة، والكبرياء في الوقت ذاته، ويظهر هذا المزيج على

كل ملامح وجهها، فهي رقيقة لكن هامتها مرفوعة يعلوها شعر أسود منسدل، وناعم، وطويل يصل إلى أول ظهرها، لكنها تعكفه بالشرائط الملونة، وفضلا عن ذلك، فياسمينا لها قوام ممشوق يجعلها تسير، وكأنها عصفور يطير بين الأشجار، وليست فتاة تسير على الأرض..

آه.. كم هي جميلة رغم أن هندامها، واهتمامها بزينتها ليسا على قدر هذا الجمال، فالطبيبة المحبة للقلب، وأمراضه ليس لديها الوقت الكافي للاهتمام بزينتها، والسير وراء الصيحات المختلفة، وهذه النوعية من الفتيات يراها عمر أرضًا خصبة لأية محاولة، حقا لا ينجذب عمر لهن، ويعتبرهن مضيعات للوقت، لكن مهما تكن قناعاته، فهو الآن لا يبحث عن اللهو، أو العبث، ولكن الأمر وصل إلى منطقة المصالح.

فلا بأس من التعامل مع نوعية ياسمينا العجيبة.

وضع عمر على وجهه ابتسامة مصطنعة، وهو يرحب بياسمينا، ومد لها يده مصافحا إياها.

إزيك يا ياسمينا.

الحمد لله.

نظرت له ياسمينا منتظرة ثورته، واستعدت للهجوم، لكنه استمر في الحديث بود، والابتسامة لا تفارق وجهه .

على فكرة أنا كنت زعلان، لكن معلهش كل حاجة انتهت لما

شفتك.

شعرت ياسمينا بارتباك.

أنا مش فاهمة حاجة.

استعد عمر للهجوم، ووجه نظرات ثاقبة لياسمينا زادتها ارتباكا، وتحدث بصوت هادئ، ورخيم.

يعني إحنا جيران يا ياسمينا، ووالدك هو صاحب المصنع مش أنا...

قاطعته ياسمينا

آه فهمت... ما أنا قابلتك لكن...

صمتت ياسمينا لحظات فقد شعرت بالخجل من نظرات عمر المقتحمة، فنظرت في الأرض، إلا أن عمر لم يمهلها لتكمل حديثها

غبي، وما فهمتش كلامك يبقى الرد عنيف كده.

شعرت ياسمينا ببعض الارتياح من كلام عمر، وتوهمت أنه يعتذر عن موقفه معها، وأنه يحدثها ليتفهم وضع المصنع حتى ينفذ المطلوب، فتغيرأسلوب حديثها تماما، وتحدثت بانطلاق، وسرعة، وتلقائية.

أنا عندي كل الأوراق الخاصة بالأضرار اللي بيسببها المصنع، والمطلوب تعديله... ده فيه كلام علمي دقيق من مهندسين، وأطباء، ومهتمين بالبيئة، كمان عندي ملف بأسماء كل المرضى

لو حبيت...

قاطعها عمر

بالراحة يا ياسمينا... الموضوع ما ينفعش كده، وبعدين فيه مصانع تانية.

آه... دي أمرها سهل، وعلى فكرة أصحابها متعاونين جدا، وكلمونا، وحا ينفذوا التعديلات المشكلة...

المشكلة في عمر البرديسي.

أطلق عمر ضحكة خفيفة، ثم أطلق سهام نظراته الثاقبة في عيني ياسمينا التي لم تستطع الحديث، وشعرت بدقات قلبها تزداد سرعة، وقوة، وأوصالها ترتجف، وقطرات العرق تغزو جبينها، وعمر يتعمد الاقتراب منها وهو يحدثها، فتراجعت ياسمينا للخلف بعض الشيء.

إيه رأيك نناقش موضوع المصنع بالتفصيل.

تهلل وجه ياسمينا بالسعادة

تحت أمرك أنا حا أجيب لك الملف كله دلوقتي، وإنت تشوفه.

استدارت ياسمينا لتعدو نحو منزلها، لكن عمر أمسك بذراعها ليوقفها.

لا... مش دلوقتي.

بدأت ياسمينا تشعر بالضيق من جرأة عمر معها، فنظرت له

شزرا، فترك ذراعها.

يعني ما ينفعش هنا... أحسن نتقابل، ونناقش موضوع المصنع على راحتنا.

بدأت ياسمينا ترتاب في نبرات صوت عمر الرخيمة، وعباراته المنمقة، فنظرت له مستفسرة، فأجابها بهدوء

يعني شوفي جدول مواعيدك إيه.

ردت عليه ياسمينا بارتياب

أنا عندي بكرة شغل في القصر العيني يعني ممكن نتقابل بعد بكرة في المصنع لو تحب أو نتقابل بكرة في الشركة هي فين ؟

شركة إيه ؟ ومصنع إيه ؟ هو بكرة كويس إنت تخلصي القصر العيني، وجنبه على النيل فيه فنادق كتير شوفي إنت بتحبي تروحي فين ؟

ردت عليه ياسمينا باستنكار

أروح فين ؟؟!!

أي مكان جميل، وظريف يمكن نتفاهم فيه على كل حاجة...

استشاطت ياسمينا غضبا من كلام عمر معها، ونظرت له بحدة، وتحدثت بعصبية :

أستاذ عمر فيه ملف كامل عن القضية تحب تتعرف على ملامحه حا أرسله لك على النت..عايز حاجة تانية عندك...

لم تستطع ياسمينا استكمال جملتها، فقد كانت كل أوصالها

ترتجف، والدماء تغلي في عروقها.. استدارت ياسمينا، وأسرعت إلى منزلها، وهي تشعر بالاشمئزاز لأنها وافقت على الوقوف مع هذا العابث الفاسد.

ظلت ياسمينا طوال اليوم حبيسة حجرتها متحججة بالمذاكرة، لكنها في الحقيقة كانت تجلد ذاتها لما فعلته، فكيف لها أن تتحدث بمثل هذه السذاجة مع هذا العابث، وتتوهم، ولو للحظة أنه يمكن أن يفكر في الناس، ويقتنع بالخير كطريق له... الشيء الوحيد الذي يؤرقها هو لماذا تعامل معها بهذا الأسلوب؟! ماذا فعلت معه حتى يظنها فتاة لاهية يمكن العبث معها؟!

«طبعا بنت تجري عليه بعد منتصف الليل لتحدثه في أمور لا يفهمها.. من هذا «العمر» حتى يفهم معنى رفع الأذى، والرحمة، والخير هذه المعاني لا مكان لها في قاموس شخص فاسد يعاقر الخمر، ويلهو مع النساء، كما أن شخصًا مثله يعيش بلا قلب كيف له أن يشعر بمعاناة الناس... ربما يسعى للتكسب منها... يا لني من حمقاء... يا لني من حمقاء.»

تأكدت ياسمينا من ضرور تصعيد الحرب ضد عمر، فقضت ليلتها في رسم خطط الهجوم الجديدة.

لم يختلف حال عمر كثيرا، فقد عاد إلى منزله بالمهندسين، ونيران الغضب تأكله، والتساؤلات تتصارع في رأسه.

«من تظن هذه الياسمينا نفسها؟؟!!! إنها مجرد فتاة عادية حقا

إنها من عائلة غنية نوعا ما، لكن ليس بمفهوم الغنى في الوقت الحالي، فماذا تظن نفسها حتى تقف أمامي، وتتحداني؟!! إذا كانت لا تريد لفت انتباهي فما عساها تريد ؟!! ماذا ؟! هل أنا أبله حتى أصدق أن فتاة مثلها تنفق كل هذه المصروفات، وتهدر وقتها من أجل مصلحة الآخرين؟!... لست ساذجا إلى هذه الدرجة... آه ربما هناك جهة ما وراء تصرفها هذا... لنرى من سيقف معها، وأنا أشعل النار حولها، وحول عائلتها كلها..»

(٤)

حشدت ياسمينا كل ما لديها من قوة لتضرب المغرور الفاسد... كانت حربها معه تتخذ شكل العلانية، ولا تستخدم فيها إلا كل الأساليب الواضحة النظيفة القائمة على سرد المعلومات المؤكدة، والخاصة بقضيتها، أما ما كانت تعرفه من معلومات شخصية عن عمر فقد نحتها جانبا، وحاولت نسيانها تماما، وكم فكرت ألا تخرج لشرفتها في مساء يوم الخميس خاصة أن عمر لم يعد يأتي إلى القصر يوم الخميس منذ أن جرت نحوه تعرض عليه قضية المصنع، ورغم كل ذلك كان هناك رغبة خفية تدفعها دائما إلى الخروج إلى الشرفة في الموعد المعتاد.

كان عمر وقتها يستعرض كل المعلومات التي جمعها عن ياسمينا، وهو يقود سيارته في طريقه للبدرشين، ومن ورائه إحدى رفيقاته لكن لم يكن على طبيعته، وسلوكه المعتاد لم يكن يهتم بأي شيء سوى التفكير في ياسمينا، وكيف يقضي على «شوكتها» وبأي طريقة كانت. كان يرى طريقتها الأخلاقية في الحرب، فيسخر منها في نفسه، ويرى أنها فتاة حالمة تدخل إلى ساحة الحرب رافعة أغصان الزيتون بدلا من أن تشهر السيوف... لذا فالأمر لن يستغرق

وقتًا طويلا...

لم يشعر عمر بالهدوء من هذا التفسير، فقد سبق، واستهان بأمر ياسمينا، واعتبر قضيتها منتهية، لكن الأمر كان مختلفا كل الاختلاف، وها هي ياسمينا تزيد الحرب ضده اشتعالا، فماذا لو كانت حربها النزيهة ليست إلا البداية، وسرعان ما ستستخدم كل الأساليب القذرة ؟ أدخل هذا التساؤل الروع في نفس عمر، وظل يسأل نفسه :

«ماذا لو كانت تعرف شيئا عن علاقاتي الشخصية؟! ربما يكون لديها صور لأي سيدة ذهبت معي إلى القصر. يكفي أن تضعها على «النت»، أوترسلها إلى أي جريدة لأصبح رجل الأعمال الفاسد أخلاقيا بالدليل المادي... حقا هناك شائعات، لكنها لا تخرج عن الأقاويل أما الآن فيمكن أن توثقها ياسمينا... لا... لا يمكن أن تكون كل أساليبها شريفة... ياسمينا بعيدة عن الحرب القذرة... من يضمن ذلك؟؟!!

ظل عمر تؤرقه هذه التساؤلات، فلم يركز في القيادة حتى كاد أن يصطدم بإحدى الشاحنات.. حاول عمر أن يبعد هذه الشكوك عن رأسه، ولينعم بإجازته حتى يستعد لحربه مع ياسمينا مع بداية الأسبوع... أدار عمر مسجل السيارة على إحدى الأغاني التي يحبها، وأخذ يردد كلماتها ليطرد من رأسه كل شيء خاص بياسمينا، ورغم كل محاولاته، فقد ظلت صورة ياسمينا، وهي تنظرله شزرا تطارده.

كانت نظراتها تمثل أكبر تحدٍّ له، فهي أول فتاة تعامله بمثل هذه الصورة... إنه عمر البرديسي الذي يكفيه أن يشير لأي أمرأة لتجري آلاف الأميال خلفه، ونظر في مرآة سيارته ليتابع رفيقته سيدة الأعمال الشهيرة التي تسير خلفه بسيارتها.

وأخيرا وصل عمر إلى قصره، وخرج من سيارته لينادي على عم كامل كعادته، وعلى غير المعتاد رفع رأسه لأعلى ناظرا إلى منزل جيرانه، فوجد ياسمينا واقفة في شرفتها، تنظر له شزرا فزع عمر عندما رأي السهام النارية المنبعثة من عينيها، وفي نفس الوقت دلفت ياسمينا إلى حجرتها، وعاد عمر إلى سيارته، وقادها بأقصى سرعة تاركا المكان كله، وعائدا إلى منزله دون أن يلتفت لرفيقته التي احتارت في أمره خاصة أنه لم يرد على هاتفها...

كان عمر طوال الطريق لا يرى غير صورة ياسمينا، وهي واقفة في الشرفة... يتخيل أنها قد كانت تنتظره لتلتقط له مجموعة من الصور، أو كانت تتعمد أن يراها ليعلم أنها تعرف عنه كل شيء أو...أو... وأخذ يؤكد لنفسه أنه فعل خيرا بعودته مسرعا.

«حسن ما فعلته، ولم أواصل إجازتي بالطريقة المعتادة... حسن ما فعلته لأوقف اللهو، والعبث هذه الأيام حتى لا أجلب على نفسي المتاعب... أجل...أجل، حسن ما فعلته..لكن هل فعلت ما فعلت خوفا من أن ياسمينا قد تستخدم حياتي الخاصة وتشن حربا قذرة ضدي... هل حقا فعلت ما فعلت لهذا السبب؟؟!!... أم إنني...إنني أكاد أن أكون بعيدا عن حياة اللهو منذ أن رأيت

ياسمينا، وقبل أن تحدث الحرب بيننا.... لا..لا ما هذا الهراء أنا كما كنت دائما... لا يمكن أن...أن أكون... لا لا الأمر بسيط أنا فقط لا أريد أن أقع في دائرة الحرب القذرة، وما إن أنتهي من أمر ياسمينا سأعود إلى طبيعتي، وأمارس كل عاداتي.. أجل...أجل سأعود لكل عاداتي.»

اقتنع عمر بكل ما وصل إليه تفكيره، أو هكذا ظن.أعد عمر خطة لسلوكه تتوافق مع احتمال أن تشن ياسمينا حربا قذرة ضده، فرفع من جدول أعماله كل بنود خاصة باللهو، والعبث، ورغم أن عمر كان على قناعة تامة بما قام به، ويعتبره عملا مؤقتا، فقد كان دائما يشعر بشيء غامض بداخله شيء غريب عليه، فلأول مرة لايشعر عمر برغبة في اللهو، أو حتى التفكير فيه... كان كل تفكيره محصورا في شيء واحد هو ياسمينا، وما تقوم به..

فكيف لفتاة صغيرة، وضعيفة أن تقف في وجهه... إن والديها يعملان عنده أي إنه صاحب فضل على عائلتها كلها، فكيف تقف في وجهه، وتتحداه يالها من بلهاء..

وجد عمر أن أفضل شيء هو استخدام جهة عليا لإجبار ياسمينا على إنهاء كل شيء، وليبدأ أولا بالسلطة الأبوية، فلا يمكن للمهندس محمد أن يقف في وجه صاحب المصنع الذي يعمل فيه... أيقدر على ذلك؟؟!!!

اتجه عمر مباشرة إلى المصنع، وطلب المهندس محمد الذي كان يتوقع تلك المواجهة، واستعد لها.. بدأ عمر لقاءه بالمهندس

محمد بالحديث الودود الذي يلعب على كل الأوتار العاطفية، لكن مهما حاول عمر، فالأمر قد خرج من يد المهندس محمد، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا... لم يقتنع عمر بأن المهندس محمد لا يستطيع أن يجبر ابنته على وقف الحملة.. وهنا انقلب عمر إلى وحش كاسر يحاول أن يدمر كل شيء، لم يستطع المهندس محمد تحمل كل هذه العجرفة، فأسرع بتقديم إجازة طويلة... كان رد فعل عمر عليه أسوأ مما توقعه المهندس محمد.

من الأفضل أن تكون إجازة مفتوحة، ويا ليت المهندسة نجلاء تكون معاك يمكن وقتها يكون عندكم وقت كافي لتربية بنتكم ياسمينا.

اندفعت الدماء في رأس المهندس محمد، وشعر بكل أوصاله ترتجف، فارتفعت نبرات صوته، وتحدث بحدة.

عمر بيه... إنت حر في مصنعك، وفى مين يشتغل معاك لكن بنتي مالكش دعوة بيها.

ترك المهندس محمد مكتب عمر مسرعا، وأغلق الباب بقوة، وكأنه يوجه صفعة على وجه عمر الذي شعر بالإهانة من رد فعل المهندس محمد، فازداد حنقا على ياسمينا، وعائلتها كلها.

كانت النيران تشتعل في صدر عمر، وهناك العديد من الأيادي التي تزيدها اشتعالا، وكانت أول الأيادي هي يد والدته التي ما أن علمت بأخبار الحملة ضد ابنها من الصحف حتى أسرعت

بالاتصال به... كانت تشعر بالانزعاج الشديد من مجرد ذكر اسم ابنها، ومهاجمته، فقد تمتد الحملة ضده لتؤثر على مجموعة شركات عائلتها، والأهم من وجهة نظرها كان في المبدأ، فهي ترى أن مجرد وجود مطالب، ومعارضة هذا سيفتح الباب أمام العديد من المطالب الأخرى لذا لابد من الضرب بيد من حديد حتى لا تصبح عادة

لازم تركّع اللي وقفوا في وشك، ولا حا تبقى عادة وتفتح علينا أبوابًا كتير.

رغم أن كلمات والدته كانت تشجع عمر ليمضي قدما فيما أعتزم عليه، فقد كان قلبه ينقبض فزعا بين الحين، والآخر من قسوة هذه الكلمات خاصة إذا تخيلها وقد تحققت ولم يدر لماذا كانت صورة جدته تلح عليه كلما انقبض قلبه من كلمات والدته. وقتها كان يسرع بالذهاب لحجرة جدته، ويجلس على سريرها يتذكر كلماتها له، وحكايتها عن الرحمة، وضرورة الاهتمام بكل من يعمل معهم، والغريب أن عمر كان يرى صورة جدته وسرعان ما تتحول ليرى صورة ياسمينا هي التي أمامه، وكأنهما شخص واحد، وعبثا حاول عمر الهروب من مطاردة صورة ياسمينا له، وكيف له الهروب منها، وقد أصبح لا يفكر في أي شيء غيرها خاصة أنها هي الأخرى لم تترك يوما إلا وسارت خطوة في خطتها للهجوم عليه...

ازداد غضب عمر اشتعالا مما تقوم به ياسمينا، وزاد من حدة

غضبه أنها لم ترتدع حتى بعد ما حدث لوالديها، فلم يجد عمر مفرا من تصعيد الحرب ضدها على جميع الأصعدة، ولتكن ياسمينا نفسها هي محورالهجوم، فجمع كل المعلومات عنها، والمتعلقة بكل كبيرة، وصغيرة عن حياتها، وكان تركيزه على حياتها الخاصة عله يجد فيها ثغرة ينفذ من خلالها، لكن المعلومات التي جمعها أصابته بالإحباط الشديد، فقد وجد أمامه فتاة بسيطة جدا أقرب إلى الأطفال... اهتماماتها في غاية البساطة... ليس لها أي علاقات عاطفية، ولم يكن لها... تشارك في العديد من الأنشطة الخيرية.. تقضي معظم وقتها في الدراسة فهي عاشقة لدراسة القلب.. تعمل في مستشفى عام في البدرشين، وفي عيادة أحد أساتذتها يومين في الأسبوع... محبوبة من الجميع... متدينة... تعشق الموسيقى، والعزف على البيانو، وتهوى قيادة السيارات، وتربية القطط، ومارست رياضة الجمباز وهي طفلة، وحصلت على بعض البطولات فيها... تحب الشيكولاتة، والآيس كريم، وتعشق الحلي والدمي المصنوعة على هيئة قلب .

هنا لم يجد عمر أمامه سوى الغضب، فانفجر صائحا، وهو يتابع تلك المعلومات.

« ماذا... هل أحارب ملاكا من السماء، أيوجد إنسان بسيط إلى هذه الدرجة... طبعا... لماذا أغضب؟؟!!! إنها تكبل نفسها بكل هذه المعاناة لتنقذ عددًا قليلًا من الناس من أمراض الصدر، والقلب... آه في أي زمن نحن نعيش؟؟!!.... دكتورة متفوقة

مثلها بدلا من أن تسعى للالتحاق بالعمل في مستشفى استثماري تبذل قصارى جهدها في الحفاظ على صحة مجموعة من الفقراء إن لم يدمرصحتهم دخان مصنعي، فهناك آلاف الأشياء الأخرى التي ستقضي عليهم، فالفقر وحده أكبر مخرب لكل شيء، وليس للصحة فقط... لماذا لا تصل ياسمينا لهذه الحقيقة علها توقف حملتها..لا..لا أريد أن توقف حملتها...لابد أن أنتصر عليها، وأجعلها تركع أمامي طالبة الرحمة، يجب أن أجعلها عبرة لكل من تسول له نفسه أن يقف أمامي.. إذا لم يكن في حياتها شيء يمكن استغلاله أو اللعب عليه، فلأبحث في حياة والدها المهندس محمد صديق والدي الحميم، فقد أجد شيئا يستحق الحديث عنه، والمساومة عليه....وقتها هل الملاك منقذ البشر من آلامهم سيترك والده في سبيل مبادئه أم أن المبادئ وقتها ستدخل في دائرة الحسابات الخاصة؟ لنرى يا ملاكي الصغير ماذا ستكشف عنه الأيام المقبلة ؟!

(٥)

جمع عمر أكبر قدر من المعلومات الممكنة عن المهندس محمد وزوجته، كانت أغلب المعلومات تؤكد على النواحي الإيجابية في حياة تلك الأسرة، وما يذكر سلبا لا يتعدى بعض الأشياء البسيطة، والتي توجد في كل الأشخاص كالعصبية، والحدة أحيانا، وغيرها من الصفات التي لن تفيد عمر في شيء.

استمر عمر في بحثه عن تعاملات المهندس محمد حتى توصل إلى طرف معلومة خاصة بالمنزل الذي يسكنه المهندس محمد، فقد لاحظ أن الضريبة العقارية يتم حسابها على القصر، والفيللا المجاورة على اعتبارهما أنهما مملوكان لشخص واحد، وهنا بدأ عمر في فحص أوراق الملكية، وتبين له أن محمد قد اشترى الفيللا بعقد ابتدائي في الفترة التي اقترض فيها والده من البنك بضمان أملاكه... علا وجه عمر ابتسامة شيطانية.

« هيا يا صاحبة المبادئ...والدك قد شارك والدي في التدليس على البنك، فما رأيك إذن ؟! هل تتركين المبادئ أم تتركين أنت، وأسرتك منزلكم؟؟!!»

وبسرعة البرق اتصل عمر بالمحامي ليرسل إنذارا بالطرد للمهندس محمد... وفي الوقت الذي تأكد فيه عمر من تسلم محمد للإنذار اتصل به، كان حديثه معه يتسم بالتكبر، والتشفي، فهذا الذي رفض أن يحجم ابنته ها هو ليس أمامه سوى الرضوخ لكل أوامر عمر...

حاول المهندس محمد أن يستفهم من عمر عن تصرفه العجيب، ويشرح له الموقف لكن رد عمر فاجأه :

يعني إنت، ووالدي دلستوا على البنك.

استشاط محمد غضبا من وقاحة عمر ، أخذ يصرخ :

إنت مجنون عشان تقول على أبوك مدلس إنت مجنون دي آخرة تربيته فيك... شوف يا بني أنا عندي أموت، ولا أقول على صديق عمري مدلس... إنت عايز البيت خد اللي إنت عايزه، لكن حامد عمره ما كان مدلس.

اختنق صوت محمد بالدموع، ولم يستطع استكمال حديثه، فأخذت منه ياسمينا الهاتف، وتحدثت لعمر بكل كبرياء، وتحد.

أستاذ عمر إحنا مش حا نسيب البيت، ولا أنا حا سيب قضية المصنع، واعمل كل اللي تقدر عليه، واستخدم كل الأساليب القذرة، لكن إحنا ربنا معانا، وليتك تنهي المكالمة.

أغلقت ياسمينا الهاتف دون أن تنتظر رد عمر الذي ازداد غضبا، وحدة، وتلاعبت به كل الأفكار الشيطانية، ففكر في إيذاء

ياسمينا ذاتها حتى يلقنها درسا لن تنساه... أليست عاشقة للقلب، وأمراضه؟ لا بأس لنرى كيف ستواصل في هذا المجال؟؟!!

جمع عمر المعلومات عن أساتذة ياسمينا، ومن يمكن التقرب منه، وإيجاد مصلحة ما معه حتى يرد له الجميل في إيذاء ياسمينا، ورغم اجتهاد عمر في هذه القضية، فقد كانت والدته غير راضية عما يفعله، وكم نبهته إلى تكاسله في هذا الأمر، فالموضوع بالنسبة لها الآن لم يعد قضية هيبة فقط، بل كانت لا تريد إثارة أية أقاويل حول ابنها المحرك الرئيس لمجموعة شركات العائلة، فالمجموعة اتفقت مع مسئول كبير على تخصيص مساحة كبيرة من الأراضي بأسعار زهيدة جدا، وذلك قبل دخول الأراضي ضمن حدود محافظة 6 أكتوبر، وبذلك سيختلف سعر الأرض كثيرا...وهذا يتطلب الابتعاد التام عن أية مشكلة حتى لا يتم فتح جميع الملفات الشائكة، وما أكثرها، والتي لا تختلف كثيرا عن ملف المدينة السكنية التي تنوي المجموعة الدخول فيها قريبا لذا كان الحل هو ضرورة إسكات فتاة البدرشين بأي شكل، فوجهت والدة عمر إنذارها الأخير له .

شوف ياعمر كفاية لعب! إحنا ما عندناش وقت لو إنت فاكر إن البنت بتاعة البدرشين حلوة وعايز تتسلى معاها انسَ.

حلوة إيه يا...

قاطعته أمه بحدة.

عمر كفاية... انهي موضوع البنت بتاعة البدرشين، ولا إحنا نتكفل بيها، وبأي شكل... خالك مش حايغلب فيها.

أدخلت كلمات والدة عمر الرعب في نفسه، وشعر بصدره يضيق، ولا يقوى على التنفس بسهولة، فعاد مسرعا إلى منزله، وأسرع إلى حجرة جدته، ورمى بنفسه على سريرها، وشعر بها بجواره، فأحس ببعض الراحة، لكنه عاد، ورأى صورتها، وأحس بها تحدثه، وتؤنبه، فأخذ يعيد على نفسه السؤال ذاته :

«هل سأتحول لمجرم لأن فتاة بسيطة تريد أن ترحم الناس من دخان مصنعي؟؟!! يالني من وغد حقير!! لماذا يا ياسمينا تتمسكين بقضية المصنع... ليتك تعدلين عن موقفك.. آه يا صغيرتي كم أنت عنيدة، وكم أتعبني عنادك... أنت لاتعرفين ماذا ينتظرك، ومن يتربص بك... ماذا... ماذا أصابني هل أصبحت حليفا لعدوتي الأولى...لا.... لا.. ياسمينا لم تكن عدوتي.... آه إننى أهذي... أجل ياسمينا عدوتي...»

ظل عمر يؤكد أن ياسمينا هي عدوته حتى راح في سبات عميق، وفي أحلامه رأى جدته تؤنبه على انسياقه وراء والدته، وعائلتها...

استيقظ عمر من نومه، وهو لا يفكر في أي شيء سوى الانتهاء من أمر ياسمينا سريعا حتى لايفتح المجال أمام عائلة والدته، فهو يعلم أن تدخلها دائما ما يجلب المتاعب خاصة خاله، وكثيرًا ما اعترض على سلوكه في حل المشاكل، فمهما كانت أساليب

الحرب القذرة التي قد يلجأ عمر إليها، فهو يضع دائما حدودا لها بحيث لا يوقع نفسه أبدا تحت طائلة القانون فقد كان على ثقة أنه مهما كانت قوة رجل الأعمال التي قد تجعله فوق القانون لبعض الوقت، فسرعان ما يتحول أنصاره عنه ليقدموه ككبش فداء للرأي العام شاهرين في وجهه أية مخالفة، وبذلك تستمر حلقة الفساد التي لم يكن يريد عمر أن يفتديها بأي شكل من الأشكال.

كان أول شيء على عمر القيام به هو شراء ضابط أمن المجموعة حسن السيد، فهو من يقف وراء كل عمليات البلطجة التي يقوم بها خاله في صفقاته الخاصة، والتي يحلو له دائما أن يدللها بأي اسم آخر لكنها في النهاية أعمال بلطجة.

لم يجد عمر صعوبة في جعل حسن السيد تحت تصرفه، فهو يمتلك من أساليب الترهيب، والترغيب الكثير خاصة بالنسبة لشخص مثل حسن، وبذلك ضمن عمر عدم القيام بأي عمل قذر ضد ياسمينا دون أن يعرفه مسبقا، ووقتها يمكنه التعامل مع الموقف بصورة عقلانية بعيدة عن تكبر عائلة والدته... بقي الشيء المهم في القضية كلها، وهي ياسمينا ذاتها...هل تهديدها بمستقبلها الدراسي سيكون هو الفيصل في تلك القضية أم أن عاشقة القلب لن تتخلى أبدا عن الدفاع عنه ؟!

يالها من عنيدة حالمة، ورغم ضيق عمر مما تفعله ياسمينا، فقد كان هناك شيء غامض يدفعه للابتسام كلما تذكر مواقفها معه، ويرتسم أمامه وجه تلك الفتاة المشاكسة التي عليه أن يروضها

هو بنفسه، ودون تدخل من أي شخص آخر لذا يجب أولا إلهاء والدته، وعائلتها عن قطته المشاكسة، ولا سبيل لذلك سوى الانتهاء من مشروع المدينة السكنية.

سعى عمر جاهدا لإنهاء إجراءات المدينة السكنية، وأجزل العطاء لكافة المسئولين حتى تنتهي الإجراءات سريعا، وكان حسين شوكت هو الوسيط الفعال في هذه العملية، وفي ذلك الوقت كان حسين شوكت قد أعلن خطبته للفنانة علا رأفت صديقة عمر السابقة.

كان عمر قد ارتبط في فترة سابقة بعلا، وكما كانت طبيعة علاقاته لا تستمر لفترة طويلة، ودائما ما يغلفها بستار من السرية، فلا يخرج الأمر من كونه مجرد شائعات لا تستند على أية وقائع محددة، أو يكون هناك أسماء بعينها يجمع الكل عليها... لذا لم يهتم عمر بخطبة علا، وحسين، ولم يفكر فيها، أو في أن هذا الارتباط قد يؤثر على علاقات العمل بينه، وبين حسين. ظل عمر على قناعته تلك، فعمر لم يخلط طوال عمره بين العلاقات الشخصية، وعلاقات العمل، ويعتبر من يقوم بهذا الخلط إنسانا لا عقل له، ولا يحق له الاستمرار في الحقل العملي، والأفضل له أن يتفرغ لحياة اللهو، والعبث.... استمر عمر في علاقته بحسين كوسيط في عملية بيع أرض المدينة السكنية بل استغل موضوع الخطبة في تقديم هدية مناسبة للوسيط، وعروسه، وكم أسعدت هدية عمر حسين شوكت، لكن كان لعلا رأي آخر.

اتصلت علا بعمر عدة مرات تطلب منه أن يقابلها، وفي كل مرة كان عمر يتهرب منها متحججا بأن ليس لديه وقتا لمقابلتها، كما أنه لا يمكن أن يقابلها في مكان عام إضافة إلى آلاف الحجج الأخرى التي يسوقها حتى يتهرب من اللقاء معها، لكن علا لم تيأس، وخلعت جميع أقنعة الدلال، والرقة، فظهرت على حقيقتها نمرة شرسة ستفتك به إن لم يطعها.

كان لها ما أرادت، وحدد لها عمر يوما في وسط الأسبوع ليقابلها ليلا في قصر البدرشين، وكان اللقاء العجيب. اعتقد عمر في البداية أن علا كانت تخشى أن عمر سيكشف عن علاقته السابقة بها، وأن الأمر سينتهي بمجرد أن يتعهد لها بأنه ينسى أي علاقة في لحظة الخروج منها، وعلى عكس ما توهم عمر كان لعلا رأي آخر، فقد أرادت استئناف العلاقة بينهما ليس على المستوى الشخصي فحسب، وإنما على المستوى العملي هو الآخر، على اعتبارأنها من خلال ارتباطها بحسين شوكت ستلعب دورا فعالا، ومؤثرا في الصفقات التي تعقدها مجموعة شركات عائلة والدته.

اندهش عمر من اقتراح علا، فكيف يصل بها التفكير إلى مثل هذه السلسلة اللانهائية من الجرائم، فرغم فساد عمر، وحبه للهو، فهو لم يتورط في علاقة مع زوجة رجل له وزن مثل حسين شوكت.. إنه لم يتورط في أية علاقة مع امرأة متزوجة، وإن حاولت إحداهن معه كان يتشكك في الأمر، ويعتبره شركا منصوبا له، وها هي الآن علا لا تنصب له شركا عاديا بل إنها تريد أن تغويه للنزول

في حقل ألغام من الفساد المركب : مال.... سياسة.... جنس... ماذا ينقصه؟؟؟!!!

لم يتمالك عمر نفسه، وطرد علا من منزله، وهو يهددها بفضح كل ألاعيبها إن حاولت معه مرة أخرى، فكان رد علا عليه بالطعن بالخنجر ليجد عمر نفسه هاويا على الأرض، والدماء تسيل منه، ولا أحد يمد له يد المساعدة سوى ياسمينا.

(٦)

حاولت ياسمينا أن تسقط من ذاكرتها أحداث الاعتداء على عمر، وعادت إلى جدولها اليومي المعتاد خاصة أنها كانت على يقين من أن عمر سيسافر إلى فرنسا لاستكمال علاجه كما أكد لها.

ذهبت ياسمينا إلى المستشفى في الصباح الباكر، وقبل أن ينتصف النهار رن جرس هاتفها المحمول. كان رقم المتصل غريبا عليها، فترددت قليلا ثم ردت على الهاتف لتفاجأ بأن المتصل هو عمر البرديسي الذي بدأ حديثه معها بنفس أسلوبه المتكبر، فتملك الغضب ياسمينا، وكادت أن تنهي المكالمة حتى قبل أن تعرف سبب اتصاله، لكنه لم يعطها فرصة، وبدأ في إلقاء أوامره

مش المفروض كنتي تشوفي الجرح، ولا خلاص.... يادكتورة مفعول المخدر انتهى، والألم اشتد قوي.

استشاطت ياسمينا غضبا، وارتفعت نبرات صوتها، وهي تتحدث بحدة، وعصبية.

هو مش إنت قلت إنك حا تسافر.

قاطعها عمر بحدة

أسافر، ولا ما أسافرش... إنت مش المفروض تعملي الواجب اللي عليكي.

واجب إيه ؟!

واجب إيه !! ده سؤال يا ياسمينا ؟! يعني مين حا يشوف الجرح إنت نسيتي إن الموضوع ده ما حدش لازم يعرفوا غيري أنا، وإنت بس.

تنفست ياسمينا بحدة، ولم تستطع الرد على عمر الذي استمر في حديثه

حا تيجي امتى ؟ أنا مش قادر أعمل أي حاجة.

خليك نايم في السرير، وأنا ساعة، وحا أكون عندك المهم أخدت الدوا..

طبعا لكن الحقن في انتظارك.

خففت ياسمينا من حدتها، وتحدثت بصوت هادئ يملؤه الرحمة، والحنان.

طب تقدر تتحمل الألم ساعة كمان.

لا طبعا... لكن فيه بديل... أنا مضطر أتحمل.

ردت عليه ياسمينا بسرعة، وتلقائية

لا...لا أنا جاية فورا، وبعدين أرجع تاني على المستشفى.

أغلق عمر هاتفه، وهو في حيرة من أمر عدوته المشاكسة،

« كيف تضيع ياسمينا من يدها فرصة استغلال موقف كهذا.... لماذا تسرع لنجدتي، وتسرع لتخفف آلامي؟! ولم لا... لماذا يحيرني موقفها؟! ألم تدخل الحروب، وتتكبل المعاناة لمجرد تخفيف آلام بعض الأشخاص الذين تكاد أن تعرفهم بالكاد أو لا تعرفهم مطلقا.. فما بالي أتعجب من أنها تسرع لتخفف عني الآلام على الأقل هي تعرفني جيدا... ليس لأني ابن جارهم صديق والدها الحميم لكن لأني أنا عمر عدوها الذي لا تفكر في أحد غيره، وتعرف عنه كل صغيرة، وكبيرة... ألم أفعل ذلك معها؟ بالتأكيد هي فعلت نفس الشيء ، بل أكثر إنها تراقبني دائما من نافذتها، وتعرف كل تفاصيل حياتي، فشخص مثلي لابد أن تسرع لنجدته، وتسرع، وتسرع لتخفيف كل آلامه» .

لم يستغرق عمر وقتا طويلا في التفكير، فقد وجد ياسمينا أمامه، وبجوارها عم كامل بدأت ياسمينا عملها مباشرة... أخذت توجه بعض الأسئلة لعمر عن حالته. كانت تتحدث بسرعة، كما كانت تعمل بنفس السرعة، وكان عمر يرد عليها بتكاسل شديد في محاولة لإبطاء سرعتها المتزايدة، لكن ياسمينا لم تلتفت لمحاولته، واستمرت في عملها، وتركيزها، ولم تلاحظ مغادرة عم كامل الحجرة، وإنها، وعمر أصبحا بمفردهما في المكان.

كان عمر يتفحص ياسمينا، وهي تعمل بكل جد، ونشاط، ولاحظ أنها طبيبة مجتهدة، ومتمكنة من عملها رغم حداثة

سنها...

إيه الشطارة دي يا ياسمينا كل ده في الجراحة... طب لو كان الموضوع خاص بالقلب كان بقى إيه ؟؟!!

شعرت ياسمينا ببعض نبرات السخرية في حديثه، فنظرت له بغضب، ابتسم عمر من ملامح الوجه الطفولي لياسمينا... ما أجمل هذه الطفلة، وهي تقطب جبهتها غاضبة زادت ابتسامة عمر من غضب ياسمينا، وشعرت بالتوتر، فتوقفت قليلا، وقتها لاحظت عدم وجود عم كامل...

هو عم كامل فين ؟

رد عليها عمر مبتسما

ده خرج من فترة يظهر إنك لما بتركزي ما بتخديش بالك من حاجة.

شعرت ياسمينا بالإحراج من كلام عمر، وتوترت قليلا من عدم وجود عم كامل... أحس عمر بها

لو حبيتي أنادي عليه.

لا مفيش داعي أنا تقريبا خلصت المهم تتبع التعليمات، وتلتزم بالراحة، وتبتعد عن الحاجات ال...

نظر لها عمر باستعطاف.

يعني لو قلت إني من فترة مخاصم كل حاجة حا تصدقيني؟!

لم ترد عليه ياسمينا، وجمعت أدواتها، واستعدت للمغادرة...

ظهر عم كامل حاملا كوب عصير. تهلل عمر فرحا، وأصر هو، وعم كامل على أن تتناول ياسمينا العصير الذي شربته مسرعة، وكأنها طفلة صغيرة تشرب اللبن سريعا حتى ترضي والدتها..

ياسمينا... بالراحة هو فيه حد بيجري وراكي ؟!

أحرجت كلمات عمر ياسمينا، فهدأت قليلا، وجلست فوق الكرسى الموضوع بجوار سرير عمر الذي ظل يتأملها، وهي تتناول العصير بهدوء شديد

حا تيجي تاني أمتى ؟.

بعد يومين.

وأنا في انتظارك.

كان عمر يتحدث لها، وعيناه تحاصرانها، وكم حاولت ياسمينا الفرار من هذا الحصار، لكنها لم تستطع، فشعرت بالارتباك، وارتجفت يدها حتى كاد أن يسقط منها كوب العصير، فوضعته مسرعة على المائدة، وغادرت المكان، وعينا عمر تلاحقانها، وهي تسرع الخطى لتهرب من ملاحقة عينيه لها.

ظلت ياسمينا تشعر بالارتباك طوال اليوم، فهي لأول مرة في حياتها تخفي شيئا فعلته عن والديها... لا إن أغلب علاقاتها بعمر كانت لا تصرح بها، لكن الأمر الآن مختلف، فهناك سر مشترك بينها، وبين عمر، وهي ذهبت له في الخفاء... إنها طبيبة، وهو مريض، ولا يوجد خطأ في ذلك، لكن ما عساه يحدث لو عرف

أحد بما تفعله؟! ألن يظن بها السوء...آه يا الله ما عساها أن تفعله... إنها لا تستطيع أن تستشير أي شخص، ولا حتى أقرب المقربين من يصدق أنها، وعمر أعدى الأعداء يكون بينهما سر مشترك، وأي سر إنه أخطر سر يمكن أن يختفي داخل صدرها... سر خاص بمال، وفن، وسياسة، وفساد، لكن كل هذا في النهاية سر مريض عليها أن تحتفظ به... لا إنها جريمة شروع في قتل، وكان عليها الإبلاغ عنها...لا...لا الأمر كان مجرد جرح سطحي كما أن عمر لم يطلب مساعدتها، فهي من هرعت إليه، وهو المجني عليه، ولا يريد كشف سره... آه...آه يالها من دوامة وجدت ياسمينا نفسها بداخلها تشدها إلى الأعماق، فلا تستطيع المقاومة، وتشعر بأنفاسها تختنق، فتهرع مسرعة إلى الحديقة علها تجد بعض نسمات الهواء.

سارت قليلا، ووقفت تتأمل الورود، وهي تحاول استنشاق أكبر كمية من الهواء، وتدخلها إلى صدرها علها تتخلص من حالة الضيق الشديد الذي يعتصر صدرها... أغمضت ياسمينا عينيها، وراحت تسبح في بحار أحلامها، ولم تشعر بكل ما حولها.. أنتفضت ياسمينا فزعا من صوت همس في أذنها..

أتأخرت عليكي ؟

أطلق عمر ضحكة صافية، وهو يرى ما ألم بياسمينا، وصرختها الفزعة...

اقترب عمر منها.

إيه ياياسمينا إنت كنت سرحانة ؟

شعرت ياسمينا بالإحراج الشديد من رد فعلها، وتلعثمت قليلا.

لا.... آه... أنا ما حستش بقدومك.

يعني أمشي ؟!

ازدادت ياسمينا ارتباكا.

لا... ما أقصدش...أنا...

فرضت عينا عمر حصارا محكما حول ياسمينا، فتراجعت قليلا للوراء، ولأول مرة تجد ياسمينا دقات قلبها تخونها، وتزداد سرعاتها، وقوتها، وكأنها تنذرها بوقوع حدث جلل. حاولت ياسمينا الهروب، لكن عمر وقف أمامها على مسافة قريبة ليشدد من قوة الحصار حولها...

وقبل أن تبحث ياسمينا عن منقذ من حصارها جذبها عمر إلى دائرته أكثر، وأكثر... وبصوت رخيم حدثها، وكأنه يخبرها بأحد أسراره.

تعرفي من وأنا طفل ما تمشيت في الجنينة... ممكن تعرفيني عليها.

شعرت ياسمينا بالخجل الشديد الذي لم تعرف سببا له، لكنها سارت بجوار عمر. كان من السهل أن تتركه، لكنها واصلت السير بجواره. كانت الحديقة مساحتها ليست كبيرة، لكنها لم تكن

حديقة صغيرة في الوقت ذاته.... سارت ياسمينا قليلا بجوار عمر حتى وصلا إلى الأريكة الخشبية التي بجوار حوض أزهار القرنفل، وفي قلب شجرة الياسمين.

جلس عمر سريعا، ودعا ياسمينا للجلوس بجواره شعرت ياسمينا بالإحراج، وترددت قليلا، لكن أمام تبسط عمر معها جلست بجواره، والخجل يتملكها. كانت تنظر إلى الأرض، وعمر يقتحمها بنظراته.

الله... إيه الريحة الجميلة دي ؟

ازدادت ياسمينا اضطرابا، فأدرك عمر الأمر، واستمر في استغلال الموقف، فتحدث باسما.

آه.. فهمت دي ريحة الياسمينا.

تلعثمت ياسمينا.

عم.... عمو حامد هو اللي زرعها.

أكيد عشان أحلى ياسمينا.

لم تتحمل ياسمينا حصار عمر الغريب حولها، فهبت واقفة، وتركته مسرعة، وعمر يودعها بصوت هادئ، ورخيم، وكأنه يحدث نفسه.

مع السلامة ياياسمينا...تصبحي على خير.

كانت كلمات عمر تطارد ياسمينا التي كانت تفر هاربة منها... تسرع إلى منزلها... تصعد إلى حجرتها... تغلق بابها عليها علها

تصد هذه الكلمات، فلا تقع في حصارها، لكن ظلت كلمات عمر ترن في أذنيها، تتحالف مع نظرات عينيه التي كانت تطاردها، فلم تدر ماذا تفعل ؟ وكيف ستنجو من هذا الحصار ؟؟

(٧)

كان يوم الجمعة هو اليوم الذي حددته ياسمينا لعمر. اتصلت ياسمينا به في الصباح الباكر. كان عمر وقتها مازال نائما، لكنها ألحت في الاتصال حتى استيقظ أخيرا. انزعج عمر عندما رأى رقم ياسمينا، وشعر بأن هناك شيئًا خطيرًا حدث حتى توقظه في هذا الوقت المبكر، لكن صوتها لم يكن يدل على ذلك.

صباح الخير يا أستاذ عمر.

صباح الخير يا ياسمينا.

آسفة جدا لإزعاجك لكن أنا مضطرة.

إنت تتصلي في أي وقت تحبي، وأنا أرد، وأسمع الكلام، وأنفذ الأوامر.

اضطربت ياسمينا من أسلوب عمر الرقيق، فتلعثمت.

العفو، لكن النهاردة الجمعة... وأنا... أقصد...

أنا في انتظارك، وقبل ما حد يصحي نكون انتهينا من كل حاجة.

شكرا.

وأغلقت ياسمينا هاتفها دون أن تنتظر رد عمر، وأسرعت بالاستعداد للذهاب إليه...

استعد عمر هو الآخر لاستقبال ياسمينا، وأعد بنفسه كوب العصير لها. لم يرغب عمر في إيقاظ عم كامل أو لم يحاول ذلك. عندما طرقت ياسمينا الباب، فوجئت بعمر يفتح لها الباب، ويستقبلها بحفاوة شديدة.

كان الاضطراب واضحًا على ياسمينا خاصة أنها لم تجد عم كامل. أدرك عمر كل ما تفكر ياسمينا فيه، فاتجه بها مباشرة إلى حجرة المكتب، وهو يشرح لها الأمر.

أنا ما حبتش أزعج عم كامل، وهو راجل كبير، فسبته ينام براحته.

آسفة... أنا عارفة إني أزعجتك...

ابتسم عمر لياسمينا التي كان الاضطراب واضحا عليها.

لا... أنا ما أقصدش، وبعدين يا ياسمينا مين المفروض يعتذر؟!

صمت عمر برهة، ثم تحدث بنبرات هادئة.

أنا عارف إني أزعجتك، ودخلتك معايا في حكاية ملخبطة، وما لكيش علاقة بيها، لكن صدقيني لما تخرجي من البيت ده بعد شوية كل حاجة حا ترجع زي ما كانت.

ردت عليه ياسمينا، وهي تبتسم.

بالمناسبة بكرة جمعيتنا عاملة مؤتمر كبير عن التلوث، وطبعا حضرتك...

قاطعها عمر، وهو يتجه للنوم على الأريكة.

حضرتي له دور البطولة.

أكيد.

فحصت ياسمينا عمر بعناية، واطمأنت على حالته.

الحمد لله كل حاجة تمام... ممكن ترجع لحياتك العادية.. لكن من الأفضل

قاطعها عمر، وهو يبتسم.

البعد عن حياة اللهو، والعبث.

إنت حر...لكن إنت شفت آخرة اللعب بالقلوب.

أطلق عمر ضحكة ساخرة.

تعرفي علا ضربتي بالخنجر عشان رفضت أعمل غلط، وأدخل معاها في دوامة فساد.

اندهشت ياسمينا من رد عمر، فقدم لها كوب العصير، وحكى لها ما كان، ورأيه في مثل هذه العلاقات من الفساد المركب، تبدلت ملامح وجه ياسمينا من الدهشة إلى الفزع إلى الوجوم ثم شعرت بالاشمئزاز، والغثيان حتى إنها توقف عن تناول العصير... كان رد فعل ياسمينا أشبه بضربات السياط على ظهر عمر الذي شعر بالاشمئزاز من نفسه لأن يلوث مسامع ياسمينا بحكاياته

القذرة.... أطرق عمر برأسه، وتحدث بأسف...

آسف... ما قصدش أبدا مضايقتك بحكايتي القذرة.

تغيرت ملامح وجه ياسمينا، وبدأ خط من التعاطف يرتسم على وجهها.

أبدا.... لكن ما تخيلتش إن فيه في بلادنا الحاجات دي.

ابتسم عمر لها، وكأنه يداعب طفلة صغيرة.

فى بلادنا كل حاجة... خصوصا في عالم البيزنس اللي أنا منه.

لكن إنت مختلف على الأقل رفضت الدخول في دايرة الفساد المركب.

شعر عمر ببعض الفخر الممزوج بالسعادة، وارتسمت ملامح الفرح على وجهه الذي ملأته ابتسامة صافية، لكن سرعان ما اختلفت عندما همت ياسمينا بالانصراف، فحاول عمر إبقاءها بأي شكل، فأطلق سيلًا من الأسئلة الساذجة المتكررة عن حالته الصحية.

كانت ياسمينا تجيبه بصدر رحب، وتحاول أن توضح له كل الأمور، لكنها في النهاية أصيبت بالضيق، وأحست بأنه يكرر ما يسأل عنه كثيرا.

عمر!! أنا قلت الحاجات دي قبل كده، وبعدين إنت حالتك كويسة، وما عندكش حاجة يعني يا أستاذ عمر إنت ماعندكش أي

مشاكل، ومش محتاج لأي حاجة.

ياسمينا إنت زعلانة ولا إيه ؟! وبعدين إيه مرة عمر، ومرة أستاذ عمر... هو مش إحنا أعداء، ومقطعين بعض... هو فيه أعداء بيحترموا بعض؟؟!!

علا وجه ياسمينا ضحكة خفيفة... سرعان ما اختفت وسط حصار نظرات عمر لها، ثم أطلق عمر سؤالا بصوت خافت،وكأنه يحدث نفسه.

تفتكري لو حد شافنا دلوقتي حا يصدق اللي بينا ؟!

وجمت ياسمينا.... وردت متسائلة.

هو إيه اللي بينا ؟!

شعر عمر باضطراب، وتوتر، ونظر إلى ياسمينا في حيرة.

فعلا...إيه اللي بينا ؟!

لم تستطع ياسمينا الإجابة لا على عمر، ولا على نظراته الحائرة، فاتجهت لمغادرة المكان، وهي تودعه... أوصلها عمر إلى باب القصر، وقبل أن يفتح لها باب الخروج توقف أمامها قليلا، ومد لها يده.

على الأقل نسلم على بعض.

مدت له ياسمينا يدها، فأخذها بين راحتيه، وظل محتفظا بها لحظات... سحبت ياسمينا يدها، ونظرت له ليفسح لها الطريق.

ممكن.

أفسح عمر لها الطريق، وفتح لها الباب، فغادرت القصر، وظل عمر يتابعا بنظرات عينيه حتى دلفت إلى منزلها.

(٨)

حاول كل من عمر، وياسمينا إسقاط كل ما حدث من ذاكرتهما، فعادت ياسمينا إلى الاستغراق في دراستها، كما أنها لم تهمل قضية المصنع، وأعدت ورقة علمية لتلقيها في مؤتمر الجمعية. أما عمر، فكان عليه إنجاز العديد من الأعمال التي تعطلت في فترة اختفائه تلك الفترة التي احتار الجميع في تفسير سرها حتى والدته لم تحصل على إجابة منه.

عادت ياسمينا إلى طبيعتها المرحة التي يملؤها الحماس، واختفت من ذاكرتها تماما كل توتر سببه حادث عمر، لكن عمر رغم انشغاله بالعمل، فقد ظلت صورة ياسمينا معه أينما ذهب.

والغريب في الأمر أن هذه الحالة لم تسبب له أي ضيق، أو توتر، فلم يكن وجه ياسمينا يطارده، أو يلومه على شيء، بل على العكس كان عمر يشعر بأن ياسمينا معه... بجواره، وكم كان يلتفت فجأة ليراها، وعندما لا يجدها لم يكن يشعر بالحزن، أو خيبة الأمل بل سرعان ما يمسك بهاتفه، وينظر إلى رقمها...

كم حاول عمر الاتصال بها، لكنه في كل مرة كان يتراجع،

فماذا سيقول لها... وأخيرا، وبعد يوم حافل بالأعمال التي أصابته بالإرهاق، وجدها فرصة مناسبة للاتصال بياسمينا التي اندهشت كثيرا من اتصاله، وظنت أن الأمر متعلق بقضية المصنع..

ألو.... عمر.

ياسمينا... مساء الخير... عاملة إيه ؟؟!!

اندهشت ياسمينا من أسلوبه، فصمتت قليلا، وتحدثت بتردد.

الحمد لله أخبارك إنت إيه ؟

آه... ما هو ده اللي خلاني أزعجك معلش يا ياسمينا أعمل إيه... عدوتي دكتورة لازم أستغلها.

ابتسمت ياسمينا، وتبدلت نبرات صوتها.

خير...

مش عارف... حاسس بدوخة، ومعدتي وجعاني، ومرهق، ونفسي مكروش.

أطلقت ياسمين ضحكة خفيفة، ففهم عمر قصدها.

يعني مبروك.

استمرت ياسمينا في الضحك.... ثم تحدث بهدوء.

واضح إنك أرهقت نفسك في الشغل.

فيه فيتامين.

لا... فيه حمام دافي تاخده، وسرير تنام عليه.

يعني أخد منوم.

انفعلت ياسمينا في حديثها قليلا.

حذار... إحنا ما صدقنا بعدنا عن المشروبات إياها... هو إنت جهازك العصبي لاقيه في الشارع.

بالراحة يا ياسمينا.

شعرت ياسمينا بأنها تجاوزت في حديثها معه فعادت لهدوئها.

آسفة... لكن حاول أن تبعد عن أي حاجة مش طبيعية في الحياة إحنا بشر مش آلات... اسمع موسيقى هادية... خد كوباية لبن دافي، والجو بدأ يبرد بالليل، فاللبن حا يبقى جميل اشربه، ونام، والصبح حا تكون في قمة نشاطك.... تصبح على خير.

تصبحي على خير.

شعر عمر بهدوء عجيب يسري في داخله، فقد كان هدوء ياسمينا أشبه بمخدر سرى في جسده، لكنه لم يجعله يغفو بل أزال كل ما بداخله من توتر، وجعله يشعر بسعادة تخترقه ببطء يزيد من حدة تأثيرها، فوجد نفسه ينفذ كل ما قالته ياسمينا، وهو يردد أغنية فريد الأطرش

« تصبح على خير يا حبيبي... إنت اللي من الدنيا نصيبي... اتهنى ونام خليني أنام... خليني أشوفك في الأحلام.»

وكأن عمر كان يدعو الله بذلك، فقد ظل طوال الليل يرى ياسمينا في أحلامه.

استيقظ عمر في الصباح الباكر على جرس هاتفه، وللوهلة الأولى ظن أن أحلامه تحققت، وياسمينا تتصل به، لكن كانت والدته هي التي تحدثه، فقد شعرت بتغيرات كثيرة في سلوكه لم تعتد عليها منه، كما أن اختفاءه دون تبرير أدخل الشك في نفسها، فرأت أن أفضل الأوقات لتنتزع منه الاعتراف، وهو لم يأخذ قسطا كافيا من النوم فقد تعلمت ذلك من والدها ضابط أمن الدولة السابق، لكنها لم تكن تعرف أن عمر كان في قمة نشاطه، ويستعد لاستقبال يومه، والسعادة تملؤه.

كانت إجابات عمر على والدته هادئة، ومراوغة في نفس الوقت، فلم يعطها أي معلومة، وأنهى مكالمته سريعا، فأزدادت شكوكها نحوه، وذكى زوجها هذه الشكوك، فقد كان زوجها رافضا لتولي عمر إدارة المجموعة، فمصطفى زوج شهيرة والدة عمر، وهو ابن عمها في نفس الوقت، وله نصيب كبير من أسهم المجموعة قد كان يرى أن ابنه، هو، وشهيرة أحق من عمر بالإدارة خاصة أن عمر لاينتمي إلى عائلة البسيوني صاحبة المجموعة، كما أنه له مصنع ورثه عن عائلته، فلا شأن له بالمجموعة، لكن شهيرة كانت ترى أن ابنها الكبير له خبرة واسعة، وقد عمل لفترة طويلة في المجموعة، وهناك فارق في السن كبير بينه، وبين أخيه علي الذي مازال صغيرا، فلا يمكن أن تضعه بدلا منه، فهذا سيمهد الطريق إلى أخيها إسماعيل، وأولاده الثلاثة للسيطرة الكاملة على المجموعة خاصة، وأن أختها بهيرة، وأسرتها منضمون إليه،

فوقتها سيتم إبعادها هي، ومصطفى، وابنها علي، لكن في وجود عمر الوضع يختلف.

كان عمر على علم تام بكل الصراعات الدائرة من حوله، فلم يكن يحاول أن يتقرب إلى أي طرف، أو يعطي أي معلومات لأي شخص حتى والدته، فرغم ثقتها فيه لم يكن يعطيها ثقته الكاملة خوفا من أن يفلت لسانها بأي معلومة يستغلها أحد أبناء البسيوني ضده.... الوحيدة التي كانت موضع سره هي جدته لوالده حتى بعد وفاتها كان يشعر بها بجواره، ويراها في أحلامه يفضي لها بكل أسراره.

كم حاولت شهيرة النفاذ إلى عقل ابنها، ومعرفة كل خباياه، لكنه كان دائم التهرب منها حتى في أحلك الظروف، ورغم أن هذا السلوك كان يصيبها بالضيق، والغضب، فقد كانت تعتبره إحدى سمات شخصية ابنها التي لا ترضى عنها، لكن الآن هي تشعر بتغير ما في سلوك ابنها، فلم يعد كما كان له جدول محدد للعمل، والراحة... اختفاء مفاجيء... تغير في اتجاهاته... لم يعد ابنها الذي يقهر كل من يقف أمامه، لكنه الآن يقف عاجزا أمام فتاة ريفية.

كل هذه التغيرات كانت مادة لإشعال نار الشك لدى شهيرة، فقد عمل مصطفى على إقناعها بأن التفسير الوحيد هو أن ابن البرديسي يريد أن يخرج من عباءة عائلة والدته، ويصير له أعماله الخاصة، وربما يستغل المجموعة في الحصول على أكبر صفقة يتربع من

خلالها بين نجوم عالم الأعمال. لم يكتف مصطفى بإشعال نيران الشك لدى شهيرة وحدها بل مد نيرانه إلى إسماعيل، وبهيرة، وقد وجد كل منهما في تلك الشكوك فرصة لتوحيد الجهود للنيل من عمر.

رغم اجتهاد عمر في عمله، ونجاحه الفائق الذي رفع من قيمة أسهم المجموعة، ووسع من مجالات عملها، فقد كان كثيرا ما يصطدم بأفراد عائلته خاصة إذا تعلق الأمر بالاصطدام بصورة فجة بالقانون إضافة إلى أن عمر كان يرفض أن تدخل المجموعة في أي مجال عمل غير مدروس جيدا، وكم رفض مشروعات تتعلق بالدخول في مجالات أعمال مختلفة ليس لها علاقة بالمجالات الأساسية التي تعمل فيها المجموعة، وهنا يحدث الصدام بينه من ناحية، وبين خاله، وأولاده من ناحية أخرى، فهم ينجذبون دائما للصفقات السريعة التي تأتي بأرباح وفيرة في فترة وجيزة حتى لو كان في ذلك مخالفات قانونية جسيمة، فمفهوم القانون عندهم مختلف لأنهم يرون أنفسهم دائما فوقه.... أما عمر، فمفهوم الاستثمار عنده يعني الاستمرار، لكن هذا المفهوم لا يسود دائما في مشاريع المجموعة، وأحيانا يجتمع مجلس الإدارة العائلي ضد عمر، ويعقدون اتفاقات سرية ضده، ومهما حاول لا يجد نفسه إلا مضطربا للرضوخ للمشروعات العجيبة التي يأتي بها خاله لكنه في هذه الحالة لا يدخل نفسه أبدا في دائرة المخالفات القانونية، فمهما حدث فلن يكون أبدا كبش فداء للفساد.

كان سلوك عمر يثير إسماعيل، وأولاده حتى بهيرة، وعائلتها كانوا يغضبون مما يقوم به عمر، ويرونه شخصا مراوغا لا ينتمي إلى العائلة يريد فقط الحصول على أكبر المكاسب دون أن يكلف نفسه الوقوع فيما يعتقد أنه «مخالفة»... رغم أن شهيرة، ومصطفى لم يظهرا أبدا غضبهما من عمر، فقد كانا لا يوافقانه على تصرفاته التي يرون فيها حرصًا لا مبرر له، وكانا يصفانه فيما بينهما بأنه «تربية جدته» زوجة صاحب المصنع صاحبة المبادئ المنقرضة، لكن الوضع الآن اختلف، وأصبح عمر محاطا بغلالة من الشكوك التي كان على والدته التأكد منها. سعت شهيرة بكافة الوسائل لمحاصرة عمر لتعرف منه كل ما يفعله.

شعر عمر بقلق والدته المبالغ، لكنه لم يلتفت إليه كثيرا، فلم يشك، ولو للحظة أن التغيرات التي طرأت على أسلوب حياته ملاحظة إلى مثل هذه الدرجة، فقد عاش كل هذه السنوات، وهو على يقين من عدم متابعة أي شخص لأسلوب معيشته، فالوحيدة التي كانت تهتم به هي جدته، لكن أسلوب حياته قد اختلف كثيرا بعد رحيلها، فأثناء حياتها لم يكن يعرف حياة اللهو، لكن بعد رحيلها، وصعوده في العمل بمجموعة عائلة والدته وجد عمر الطريق ممهدا لتلك النوعية من الحياة.

كانت أضواء هذه الحياة ساحرة سلبته إرادته كلها، فاندفع نحوها بكل طاقته، فلم يكن يراها حياة لهو بقدر ما كانت تمثل الوجه الآخر لحياته العملية... فقد قطع عمر شوطا ليس بالقصير

في مضمار يسعى كل من فيه لأخذ أكبر عدد من الأشياء في أقل وقت، ولا يهم كيف، ولماذا... المهم هو الحصول على كل شيء، والتباهي بما تم الحصول عليه... لذا كان يشعر عمر بلذة الانتصار وهو يصادق نجمات المجتمع... فهذه الجميلة الفاتنة محور أنظار الجميع لحظات، وتصبح رهن إشارته، وتلك الساحرة التي مزقت العديد من القلوب لا تتأخر عن تلبية دعوته، فهو ناجح في مضمار اللهو كنجاحه في مضمار الجد، فأي صفقة يسعى إليها مهما كانت معقدة، وتحتاج لدروب ملتوية يجتازها عمر بمهارة فائقة، ودون أن يضع نفسه تحت طائلة القانون.

كان ذلك يغلفه عمر بغلاف من السرية... الكل يعرف بنجاحه، ولا أحد يعرف أساليبه، وكم شعرت شهيرة بالفخر بابنها، ونجاحاته التي فاقت الحدود، لكنه الآن يحاول أن يخرج من هذا المضمار، بل لعله قد نجح في الخروج منه نهائيا....

لم يكن عمر ينوي الخروج من هذا المضمار الذي حقق فيه انتصارات باهرة بل لعله لم يدرك خروجه منه، لكنها الحقيقة التي حاول أن ينكرها في باديء الأمر، وأعطى لنفسه آلاف الحجج بأنه توقف مؤقتا عن حياة اللهو خوفا من أن تستغل ياسمينا ما تعرفه ضده، لكنه يدرك تمام الإدراك أن كل هذه الحجج لا أساس لها من الصحة، وأن ياسمينا هي موضع سره، ويأتمنها على كل ما في حياته من جوانب مظلمة، والغريب أن عمر وجد نفسه، وقد نسي كل ما يتعلق بحياة اللهو نسيانا تاما، وكأنه لم يلمح أضواءها يوما ما.

ظهرت حالة النسيان التي أصابت عمر جليا في حفل عجيب دعي إليه... كم كانت دهشة عمر، وهو يتلقى هذه الدعوة... لم يعلق على الدعوة في البداية، وتجاهلها، وهو يتعجب من تلك الجرأة التي وصلت لحد الوقاحة، لكن وجد والدته تتصل به، وتحدثه عن الحفل، وهي تصرعلى ذهابه معهم.

ملأت السخرية نفس عمر، فعقد العزم على أن يطلق سخريته على أصحاب الدعوة كلهم.. حضرعمر الحفل، وهو في كامل تأنقه، وكأنه نجم متلألئ من نجوم السماء، فتعلقت كل الأنظار به. اتجه عمر مباشرة إلى صاحبة الحفل، وقدم لها هديته التي أدخلت الفزع إلى قلبها..

كان الحفل هو عيد ميلاد الفنانة الشهيرة علا رأفت، وقد أقامه لها خطيبها حسين شوكت، ودعا له كل معارفه، وكان على رأسهم عمر، وعائلته. حرص كل أفراد عائلة عمر على الحضور منذ بداية الحفل، لكن عمر تأخر عنهم قليلا، ووصل بعد حضور أغلب المدعوين.

كان الحفل مقاما في حديقة فيللا حسين شوكت بمنطقة الشيخ زايد ، وكانت الأضواء تملأ المكان الذي ازدحم بكل نجوم المجتمع في جميع المجالات بداية من الفن، وحتى الطب مرورا بالإعلام، والرياضة، والسياسة فضلا عن التواجد الضخم لرجال الأعمال، فتنافست النجوم التي تملأ حديقة منزل حسين شوكت مع عدد النجوم التي تملأ السماء حتى إذا ظهر عمر انطفأت كل

النجوم التي يزدحم بها المكان، وتطلع الجميع إليه.

علا وجه عمر ابتسامة ساخرة، وهو يرى الفزع يرسم لوحته على وجه علا التي فوجئت بقدومه، وبهديته التي كانت عبارة عن خنجر مذهب. ابتسم لها عمر، وهو يرى الهلع في عينيها، ودعا لها بالسعادة، ثم تركها، واتجه لتحية الجميع، فقد كان على معرفة جيدة بكل الحاضرين.

كانت شهيرة تتابع ابنها عن كثب، وتعلق على كل تصرفاته لتؤكد لزوجها أن ابنها لم يتغير، ويعمل دائما لمصلحة العائلة، والمجموعة لكن في حقيقة الأمر كان هناك هاجس يراودها، فقد لاحظت أن ابنها لم يشرب سوى العصير، وكانت كؤوس الخمر تدور أمامه، ولا ينظر إليها، وكأنه لا يراها... حقا لم يكن ابنها سكيرا، لكنه لم يكن يأنف الخمر بل كان يشربها دون أي قيود، فلماذا ينفر منها الآن؟؟!! ما هو الطريق الجديد الذي سلكه ابنها، وهي لاتعرف عنه شيئا... أما خاله إسماعيل، فقد لاحظ أن عمر جلس على مائدة رجال الطب، واكتفى فقط بتحية رجال الأعمال، والسياسة، ولم يشاركهم في أي حديث بل إن ابنه الكبير كريم هو الذي كان يتنقل بين نجوم المجتمع الذين لهم مصالح مشتركة مع مجموعتهم، فلماذا لا يكون كريم هو مدير الشركة؟! حقا إنه يصغر عمر في السن، لكن هذا الامتياز قل مع السنين، فكريم لم يعد طالبا صغيرا، كما كان وقت أن صعد عمر بصاروخ أسهم والدته، وزوجها...

بقيت بهيرة التي لم تكن تحتاج لعقد أي مقارنة بين عمر، وابنها علاء أو ابنتها سارة، فهي تراه أقل منهما بكثير، ويجلس في مكان لا يستحقه كل ما في الأمر أن والدته هي الأخت الكبرى التي نالت كل الحقوق هي، وابنها، وغير ذلك فالأمر كله خطأ، وسيتم تصويبه قريبا.

انتهزت بهيرة فرصة تجمع العائلة في ذلك الحفل، وفجرت قنبلتها التي رأت أنها ستصحح الأوضاع، وتقلب كل الموازين، فأعلنت ارتباط ابنها علاء بماهيتاب ابنة رضا فكرى رجل السياسة المعروف..

اصطنعت شهيرة السعادة المبالغ فيها، وهي تهنئ أختها، وابنها علاء، وكذلك فعل إسماعيل.. أسرعت شهيرة لإبلاغ ابنها بهذا الخبر المشئوم. لم يهتم عمر بكل ما ساقته والدته من مخاوف، ورد عليه بابتسامة ساخرة.

كلها يومين، ويقلبوا على رضا فكرى ده بقاله كتير على القمة يعني فترة صلاحيته انتهت، وقتها يبقى علاء هو اللي ادّبس في ماهيتاب، وبدل ما يبقى خد السلطة، والمال حاياخد مقلب عمره.

نظرت له أمه بحدة، وتحدثت بعصبية.

ليه بقى ؟ هي ماهيتاب وحشة، ولا فقيرة حتى لو انطرد والدها من جنة السياسة كفاية اللي عنده.

يا حبيبتي دي بنت معيوبة... دي طوبة هي بتعرف تتكلم كلمتين على بعض... يعني الجواز منها أكبر مقلب حتى لو كان أبوها عنده مال قارون.

أطلق عمرضحكة ساخرة، وترك والدته ليعود إلى مائدة الأطباء، والكل مندهش من مصاحبة نجوم الطب.

كان الأطباء سعداء بصحبة عمر، فهو قادر على مجاراة أي شخص في الحديث الذي يجمع بين الجد والمرح. انتهز عمر هذا التجمع لمعرفة أكبر قدر من المعلومات الطبية خاصة عن أمراض القلب، كما تعرف على كل الأخبار الخاصة بامتحانات الدراسات العليا، وما يشكو منه الطلاب. ركز عمر على أساتذة أمراض القلب بصفة خاصة حتى إذا قارب الحفل على الانتهاء كان عمر قد وطد علاقة صداقة مع كل أطباء القلب المشاهير الذين كانوا بالحفل، ومنهم من كان يعمل في القصر العيني أي أحد أساتذة ياسمينا.

لم ينتظر عمر انتهاء الحفل، واكتفى بما حققه من مكاسب، فاستأذن في الرحيل. كان عمر لا يريد أن تنفرد به والدته بعد الحفل، وتدخل معه في مهاترات لا معنى لها، فأسرع بتوديعها واعدا إياها بالحديث معها في اليوم التالي. غادر عمر المكان، لكنه لم يعد إلى منزله في المهندسين، وإنما اتجه مباشرة إلى قصر البدرشين.... كان عمر طوال الطريق يرى وجه ياسمينا تعلوه ابتسامة صافية تزيد من جماله، ورقته، وظل يسأل نفسه

«أترى هل ياسمينا مازلت مستيقظة ؟ لايمكن لقد تأخر الوقت كثيرا، وما المشكلة... إن لديها كمًّا كبيرًا من الدروس عليها استذكارها، فلماذالا تسهر تجد، وتجتهد؟! لماذا الكسل؟! لتصل الليل بالنهار... أليست طالبة، فيجب أن تسهر.... يجب أن تسهر حتى أصل، وأرى وجهها المشرق في الشرفة.... يجب... يجب... لعلها تكون مازالت مستيقظة... يارب...يارب...»

ولأول مرة منذ فترة طويلة يجد عمر نفسه يتجه إلى الله بكل كيانه، وظل يردد الدعاء

« يارب... يارب»

(٩)

خيم الليل بستائره السوداء على المكان... الكل نائم...لا صوت غير حفيف الأشجار، والهواء يحركها برقة تارة، وبقسوة تارة أخرى.... البرودة تسيطر على طقس الليل، فتخرج أنفاس عمر، وكأنها دخان متصاعد من صدره الذي تتأجج به نيران الشوق لرؤية وجه ياسمينا الذي طال بعده عنها.

اقترب عمر من قصر البدرشين، وعند البوابة وضع يده بكل قوته على نفير السيارة ليصدر صوتا هادرا بدل سكون الليل. اندفعت ياسمينا إلى الشرفة لترى ماذا يحدث..

كان اليوم هو الخميس، وكم اعتادت ياسمينا على رؤية عمر في ذلك اليوم، لكنه منذ فترة غير عاداته، كما أنه أكد لها أنه ترك حياة اللهو، فلماذا يأتي يوم الخميس، وبنفس الأسلوب ينادي على عم كامل، لكن عمر لم يكن ينادي على عم كامل، كما لم تكن هناك سيارة تتبعه، بل كان عمر ينظر إلى شرفة ياسمينا ينتظر خروجها حتى إذا خرجت وجدته يقف متطلعا إليها، وعيناه تعانقانها بكل شوق، وحنين. لم تستطع ياسمينا التحرك، وظلت جامدة في مكانها أسيرة عينيه.

كانت تقف، وهي مرتدية جلباب النوم عاكفة شعرها للخلف، ووجهها صاف. ارتسمت أمام عمر صور النساء في الحفل، وهن يرتدين أفخر الثياب ذات الماركات العالمية، ويضعن الأصباغ على وجوههن، ويتعطرن بأفخم أنواع العطور... ظهرت صورتهن في مواجهة ياسمينا، فكان الفرق واضحا بين رقة الياسمين، وعبيره الآخذ، وأي جمال مصطنع آخر، فتمنى عمر أن يظل طوال عمره متأملا هذا الجمال... شعر عمر ببرودة الجو من حوله، فخاف على ياسمينا أن يمسها ضرر، فاتجه مباشرة إلى بيته حتى تعود لفراشها الدافىء.

استيقظ عمر من نومه، وقد أسقط من عمره أكثر من عشرين عاما، فعاد فتى صغيرًا في الجامعة أو المرحلة الثانوية يقضي إجازته مع والده، واستعد لممارسة شعائر يوم الجمعة، وعاد إلى كل العادات التي كان يقوم بها مع والده عندما كان يذهب معه إلى البدرشين في الإجازة.

أخذ عمر حماما دافئا، وارتدى بلوفرا، وبنطلونا، وخرج للذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة. اندهش الجميع، وهم يشاهدونه وسطهم... فلأول مرة منذ سنوات طويلة تطأ قدما عمر المسجد. كان محمد الحكيم من أكثر الحاضرين الذين أصابهم الدهشة، وظل طوال النهار لا حديث له سوى التغيرات التي طرأت على عمر، لكن نجلاء لم تشاركه الرأي، واعتبرت أن الذهاب للصلاة لا يمكن أن يعتبر تغيرا بأي حال من الأحوال.

ما إحنا كل شوية بنسمع عن ناس مش بتصلي وبس، لكن بيروحوا يحجوا وبعدين... استغفر الله العظيم.

رد عليها محمد مدافعا:

عمر ما كانش عنده أبدا ازدواجية... أنا حاسس إن ربنا هداه.

لم تحاول ياسمينا المشاركة في الحوار حول عمر، واكتفت فقط بمتابعة ما يقال . كانت تعتبر أي كلام ستقوله هو خديعة، فهي تعرف عن عمر أشياء لا يعرفها أحد، ولا تقدر على التصريح بها، فكيف ستشارك في الحوار عنه... لا يمكن اصطناع البلاهة، أو التحدث عن عمر كسابق عهدها ... لم يلاحظ والداها عدم مشاركة ياسمينا في الحديث، واعتبرا ذلك تأكيدا على رأيها الدائم فيه، فلم يحاول أحدهما إشراكها في الكلام عنه.

رغم اصطناع ياسمينا عدم الاهتمام بما حدث لعمر من تغيرات، فقد ظلت طوال الوقت تفكر فيما قاله والدها عنه هل «ربنا هداه» بالفعل ؟

كانت تشعر بسعادة غريبة تغزوها من كل صوب لم تعرف لها تفسيرا؛ أم كانت تعرف سببها، وتريد إنكاره ؟! لكن سواء عرفت سببها أم أنكرته ظلت السعادة تتلألأ في عينيها، وتنير وجهها، وتشعر بالراحة، والهدوء، فأقبلت على مذاكرتها، وهي تدندن بإحدى الأغنيات الحبيبة إلى قلبها. وسط انهماكها في الاستذكار رن هاتفها، وكان عمر. شعرت ياسمينا بقلبها يخفق، وضرباته

تزداد سرعاتها، كأن قلبها يعدو ليخطف الهاتف، ويرد هو على عمر... كان صوت عمر جادًّا، وحازمًا. تحدث معها باختصار شديد، ودعاها لمقابلته على التو في الحديقة.

انتاب القلق ياسمينا، ولم تستطع مجادلة عمر في أي شيء، فلم تملك سوى الإذعان لكل ما قاله، وكأنه أمر عسكري، فأسرعت لمقابلة عمر.

كان عمر ينتظرها أمام شجرة الياسمين، والأضواء المنبعثة من القصر، والفيللا انعكست عليه فبدا وجهه واضحا لياسمينا. كانت علامات الوجوم تظهر عليه، لكن فرحته برؤية ياسمينا استطاعت أن تتسلل وسط الوجوم المسيطر على وجهه، فتهلل قليلا. مد عمر يده لمصافحة ياسمينا التي كانت تشعر باضطراب شديد بسبب مكالمة عمر، وإذعانها له، وأخيرا لقد غادرت المنزل سرا، وكأنها تتسلل، بل هي تسللت بالفعل من منزلها دون أن يشعر بها والداها اللذان كانا مستغرقين في النوم.

شعر عمر باضطراب ياسمينا، فارتسمت على وجهه كل علامات الاستفهام.

ياسمينا... فيه حاجة ؟!

حاولت ياسمينا أن تخفي اضطرابها، وتصنعت الابتسام.

لا... أبدا...إنت اللي فيه حاجة، وواضح إنها حاجة مش لطيفة.

عاد عمر لملامح وجهه الجامدة، ثم رسم عليه بعض علامات الضيق الممزوج بالعتاب، فازدادت حدة فضول ياسمينا.

هيه يا عمر إحكي.

أبدا...أنا ماكنتش ناوي أكلمك في الموضوع لكن فضلت أفكر طول اليوم لحد ما اتصلت بيكي... ماعلش الوقت متأخر، لكن النهاردة بعد صلاة الجمعة، وأنا خارج من الجامع كان فيه مجموعة من طلبة المدارس بيوزعوا أوراق غريبة.

قدم عمر لياسمينا إحدى هذه الأوراق... أمسكت ياسمينا بالورقة، لكنها لم تتفحصها، فقد كانت تعرفها جيدا صمتت ياسمينا قليلا، وأطرقت رأسها إلى الأرض، ثم استجمعت شجاعتها،ورفعت هامتها، ونظرت لعمر بكل كبرياء، وأخذت تشرح له معنى هذه الأوراق، وما بها.

الورق ده جزء من الشغل اللي بنعمله عشان المصنع يوفق أوضاعه مع البيئة.

نظر إليها عمر بحدة، وتحدث بصوت مرتفع قليلا.

يعني إيه يا ياسمينا... توزعوا صور كاريكاتورية عني، وأنا في صورة مصاصي الدماء بأخنق الناس بدخان مصنعي.

نظرت إليه ياسمينا، والابتسامة تعلو وجهها..

طب ما إنت فعلا بتخنق الناس بدخان مصنعك.

تنفس عمر بحدة من شدة ضيقه.

أف.

تلألأت الابتسامات على وجه ياسمينا، فنظر لها عمر بعتاب، ثم دعاها للجلوس بجواره على الأريكة الخشبية، لكن ياسمينا ترددت، فظل عمر واقفا أمامها...

ياسمينا مصادر التلوث في كل حاجة حولينا، والدنيا ما توقفتش على مصنعي عشان يبقى هو سبب كل الكوارث... ده كفاية حرق قش الرز.

نظرت إليه ياسمينا بعطف، وتحدثت برقة.

فيه تجربة بسيطة دايما بنعملها، شوف حط إيدك على رقبتك، وأضغط على منطقة الوسط.

حاولت ياسمينا الشرح العملي لعمر حتى يفعل مثلها، لكنه ادعى الغباء، وعدم المقدرة على تقليد ما تفعله... نظرت له ياسمينا بتردد.

ماعلش أنا آسفة.

ووضعت يدها على رقبته، وضغطت بإبهامها على منطقة المنتصف حتى بدا عمر لا يستطيع أن يتنفس بسهولة.

شوف لو حد عامل كده فيك، وبعدين نفخ في وشك بدخان سجارة مثلا... وقتها حتكون مبسوط ؟! والشخص ده مش حا يكون بيخنقك ؟!

أمسك عمر بيدها، ورفعها من فوق رقبته، وظل ممسكا بها،

وهو يقتحم ياسمينا بنظرات عينيه، وبصوت هادئ.

لو إنت الشخص ده أكيد حا أكون مبسوط.

اضطربت ياسمينا بشدة، وفرت من نظرات عينيه، وخلصت يدها من قبضة يده، ودون أن تنطق بكلمة أسرعت بالعودة إلى منزلها، وعمر يودعها...

تصبحي على خير.... بكرة نكمل كلامنا.

لم تجبه ياسمينا، وازدادت سرعة خطواتها، وهي تعود إلى منزلها، والاضطراب، والخجل يتصارعان ليرسم كل واحد منهما لوحته على وجهها...

كان عمر على عكس ياسمينا يشعر بهدوء، وسكينة، وقلما انتابته مثل هذه الحالة... إنه لا يتذكر متى آخر مرة شعر بها، ربما كان ذلك، وهو صغير عندما كان يرتمي في أحضان جدته، لكن هذا زمن مضى، وانتهى... أيمكن أن يعود إليه مرة أخرى، ويشعر هكذا بالهدوء يملؤه ؟!!

لم يرد عمر مغادرة المكان، فجلس على الأريكة الخشبية، وأخذ يستمتع بعبير الياسمين، وأغمض عينيه ليرى وجه ياسمينا بملامحه الرقيقة الجذابة. لم يعرف عمر كم مر من الوقت فقد استمتع بنوم هادىء، ولم يستيقظ إلا على ضوء الشمس، وقد غمر المكان، وصوت رقيق يردد اسمه. فتح عمر عينيه، فوجد أمامه وجهًا صبوحًا.

أكيد أنا بأحلم.

لقد كانت ياسمينا تجلس بجواره، وتوقظه. كانت الدهشة تتملكها عندما وجدته نائما في الحديقة، لكنها طردت هذا الشعور، وابتسمت له.

صباح الخير... إنت نمت هنا طول الليل ؟!

ظل عمر للحظات صامتا، وهو ينظر لياسمينا يعانقها بنظرات عينيه، وهو لا يدري أهو مازال يحلم أم أن الصباح قد أتى، وغمر النور الكون كله.

لو كان ده حلم ياريت ماحدش يصحّيني.

ردت عليه ياسمينا مبتسمة.

لا... دي نزلة برد في الطريق إليك.

لا يمكن أنا عدوتي دكتورة شاطرة جدا.

أطلقت ياسمينا ضحكة خفيفة، فرد عليها عمر بابتسامة غمرت وجهه كله... لاحظ عمر أن ياسمينا ترتدي ملابس الخروج.

إنت خارجة دلوقتي؟

طبعا... أنا رايحة على القصر العيني عندي حاجات من الصبح، وإنت عارف الطريق.

ياه إيه التعب ده كله !!

أبدا إحنا واخدين على الصحيان بدري... بابا وماما لازم يصحوا كل يوم مع العصافير ما إنت عارف مواعيد المصنع.

أطرقت ياسمينا قليلا، وغابت الابتسامة من وجهها مما جعل عمر يشعر بالخزي من نفسه.

آسف.

أبدا إنت اتصرفت من وجهة نظرك... لكن.....

قاطعها عمر، وتحدث بصوت يملؤه الخزي.

لكن أنا حقير في نظرك.

قاطعته ياسمينا بحدة، وتحدثت باندفاع.

والله أنا عمري ما فكرت فيك كده حتى....

لم تستطع ياسمينا استكمال كلامها أمام نظرات عمر التي طوقتها، فصمتت ونظرت إلى الأرض. أخذ عمر يد ياسمينا بين راحتيه...

ممكن نعمل معاهدة سلام يا عدوتي العنيدة.

سحبت ياسمينا يدها بسرعة، وهبت واقفة.

سلام دلوقتي، وارجع بسرعة على البيت، وخد حاجات دافية، ولو شعرت بأي حاجة اتصل فورا.

تركته ياسمينا، وهي تلوح له.

نفذ عمر كل أوامر ياسمينا، وفي الظهيرة اتصل بها... كانت ياسمينا تتوقع اتصاله فقد كانت على ثقة من أنه سيعاني من بعض المتاعب، وحتى إن لم يعانِ من شيء فقد كانت واثقة من أنه سيتصل، وكم سخرت من ثقتها المفرطة، وها هو ظنها يتحقق

وتجد عمر يتصل بها... شعرت ياسمينا بسعادة تفوق الحدود، وتهلل وجهها بالسعادة. اتخذت مكانا قصيا في المستشفى، وتحدثت بصوت منخفض نوعا ما...

ألو... عمر عامل إيه دلوقتي ؟

لم يكن عمر يعاني من أي شيء، وكان يومه هادئا، وجميلا، فلم يعرف ماذا يقول لها، لكنه أراد فقط أن يتحدث معها.

أنا بخير.

جميل.

صمتت ياسمينا قليلا، وانتظرت أن يخبرها عمر بسبب اتصاله، لكنه ظل صامتا يستمع لأنفاس ياسمينا، ثم تحدث أخيرا.

أنا نفذت كل الأوامر، لكن مش عارف أعمل إيه دلوقتي ؟

تستريح النهاردة، وتشرب شوربة.

طب... حا أقول لعم كامل يعمل شوربة على الغدا.

تصنعت ياسمينا البلاهة.

هو عم كامل بيطبخ كمان ؟!

مش عارف أمبارح عمل أكل حلو قوي... أنا كنت متعود أجيب أكل جاهز، لكن أمبارح اكتشفت عم كامل.

عموما ارتاح النهاردة، وعم كامل حايعمل لك مفاجأة... سلام.

سلام... آه ياسمينا حاأشوفك بالليل في الجنينة في ميعاد

امبارح الساعة عاشرة... عشان نكمل كلامنا... سلام.

أغلق عمر الهاتف مسرعا دون أن ينتظر رد ياسمينا كان لا يريد أن يترك لها أي فرصة لمناقشته، أو الاعتراض.

وكما حدث في الليلة السابقة تسللت ياسمينا من منزلها، لكنها كانت أقل اضطرابا مما سبق، ووجدت عمر ينتظرها، وهو جالس على الأريكة، فاضطرت للجلوس بجواره.

كان الجو باردا بعض الشيء، فوضعت ياسمينا شالا على الجلباب الذي كانت ترتديه، فبدت كطفلة صغيرة ملفوفة في شال والدتها هكذا رأها عمر الذي تهلل فرحا بقدومها.. لحظات ووجدا عم كامل يأتي إليهما، وهو يحمل كوبين من الشاي، ثم تركهما، وأسرع إلى حجرته.

ظل عمر، وياسمينا يحتسيان الشاي، وهما صامتان، أخيرا تحدثت ياسمينا.

ما فيش أجمل من الشاي في الجو البارد ده.

أجمل حاجة شرب الشاي، والياسمين حولينا... جميل قوي الياسمين مش كده ؟! نقاء، ورقة، وكمان قوة... ريحته بتنتشر في المكان كله، وتجبر الجميع على الاعتراف بوجوده.

ياه... أنا عمري ما فكرت إن الياسمين فيه كل ده.

طبعا ما هو زيك، ومفيش حد بيفكر في مميزاته.

قطف عمر زهرة ياسمين، وقدمها لياسمينا التي كانت تحاول

إخفاء خجلها بتصنع الابتسام.

عمر... إنت عايز نتكلم في موضوع المصنع يعني أقتنعت ولا..

ياسمينا... الموضوع أكبر من كده بكتير...

وكأن عمر يتحدث لشخص يعرفه من زمن بعيد تحدث معها بصراحة، ودون أي قيود، وأخبرها بالعلاقات المتشابكة بين المصنع، ومجموعة شركات عائلة والدته، وما يتعرض له من ضغط من والدته.

يمكن إنت ما تدركيش حجم الموضوع، وطبيعي واحدة زيك أبوها، وأمها ضحوا بشغلهم عشان واقفين في صفها، وكمان...

قاطعته ياسمينا:

بابا رافض كل حاجة أنا بأقولها، وشايف زيك أن دخان المصنع ما بيشكلش أي خطورة.... إيه هو إنت نسيت إن الآلات اللي في المصنع بابا، وعمو حامد همه اللي اشتروها.

تلألأت عينا عمر بالابتسام، وبادلته عينا ياسمينا الابتسام، لكن سعادتهما لم تدم طويلا، فقد رن جرس هاتف عمر، وكانت المتحدثة هي والدته التي انفجرت فيه غاضبة، وأخذت تكيل له الاتهامات بالتقصير في كل شيء. هب عمر واقفا، وتبعته ياسمينا تعمد عمر فتح مكبر الصوت حتى تستمع ياسمينا لكل ما تقوله والدته...

كانت شهيرة يأكلها الغضب، والحنق، والغيظ، وكل المشاعر السلبية، وكلما حاول عمر تهدئتها كانت تزداد حدة..

إنت كل شوية تختفي، وسايب مصالحنا تتنهب... خالتك، ورستأت أمورها مع خالك، وكمان ابنها ناسب المسئولين فاضل لنا إيه، وإنت سايب موضوع المدينة السكنية... ده غير المشاريع اللي إنت أصلا رفضت المشاركة فيها، ونفذوها ولاد خالك لصالحهم، وغير كده موضوع المصنع سايب بنت فلاحة، وشوية عمال يبهدلوك.

وعبثا حاول عمر تهدئتها، وظل صامتا يستمع إليها، والدماء تغلي في عروقه، لكن كان عزاؤه الوحيد هو وجود ياسمينا معه... لم تصدق ياسمينا أذنها، وأصيبت بالذهول، وتجمدت كل ملامحها.

أنهى عمر مكالمته، ورأسه يكاد ينفجر من الغضب المكتوم، فأمسك جبهته بيده. شعرت ياسمينا بما يجيش في صدره، فهمست له

معلش... أنا آسفة.

اقترب عمر من ياسمينا، وأخذ يدها بيده، ورفعها، وقربها من شفتيه

تعرفي أنا لحد دلوقتي ما قلتلكيش شكرا.

أخذ عمر يقبل أصابع يد ياسمينا عدة مرات... شعرت ياسمينا

برجفة تسري في جسدها، وحاولت خطف يدها من يد عمر والتي كان مقبضا عليها، لكنه تركها تهرب من يده لتحكم عيناه حصارهما حول ياسمينا التي ظلت متجمدة للحظات في مكانها، ثم اندفعت في الحديث.

أنا لازم أروح دلوقتي حالا.

خفف عمر من حصار عينيه، فاستطاعت ياسمينا أن تتركه، وتعود إلى منزلها، وعمر يودعها.

حاتيجي بكرة... بكرة في نفس الميعاد الساعة عاشرة... حاتيجي بكرة

لوحت له ياسمينا مودعة، وعمر يتابعها بعينيه، وهو يردد

بكرة في نفس الميعاد... بكرة في نفس المكان...

بكرة الساعة عاشرة عند شجرة الياسمين.

(١٠)

سيطر على ياسمينا إحساس عارم بأن عمر يشدها إلى دائرة عجيبة لن تستطيع مقاومتها أو الإفلات منها. أصبح كل همها أن تتوقف، ولا تطأ إحدى قدميها حدود تلك الدائرة، فكان قرارها بألاترى عمر مرة أخرى، فأي لقاء معه سيصبح لا معنى له إلا الدخول في دائرته التي عليها الهروب من محيطها بكل ما لديها من قوة.

على العكس منها كان عمر، فقد تملكه تماما الشعور بالهدوء، والسكينة، وامتلأت نفسه بالسعادة. كان يرى الدنيا من حوله، وقد تلونت بكل الألوان المبهجة، وسيطرت عليها رائحة الياسمين العطرة... آه إنه الياسمين، ولاشيء غيره.

جاب عمر أرجاء قصره، وكأنه يستكشفه. كان يدرس كل حجرة به ليحدد وجهتها، والأماكن التي تطل عليها، وأخيرا اكتشف شرفة يستطيع منها أن يرى جزءا من حجرة ياسمينا، وشرفتها. ابتسم عمر لنفسه، وهو يختلس النظر لياسمينا، وهي جالسة منكبة على أوراقها تستذكر دروسها، ووجد نفسه يدعو الله لها بالنجاح.

لم يدر عمر كم ظل يتابع ياسمينا، لكنه عندما وجدها تستعد للنوم غادر الشرفة مباشرة، واتجه لغرفته، وهو يفكر في الطريقة التي يمكن بها أن يعيد المهندس محمد إلى العمل.

في الصباح الباكر اتجه عمر إلى المصنع، وتفقد أقسامه المختلفة، ثم صعد إلى مكتبه، واتصل بالمهندس محمد، وهو يصطنع التكلف في الحديث.

أدهش اتصال عمر المهندس محمد، ولم يعرف كيف يرد عليه، فقد كان يسأله عن عدم وجوده في المصنع، وقبل أن يجيبه المهندس محمد بادره عمر

عموما أنا عايز أشوفك إنت، والمهندسة نجلاء حالا.

ولم ينتظر عمر أي جواب منه، فأجبره على الإذعان لطلبه الغريب. استمرت دهشة المهندس محمد أثناء مقابلته لعمر الذي كان يتحدث له، ولزوجته عن المصنع، ويتهمهما بالتقصير... هنا استشاط المهندس محمد غضبا، وبدا ذلك على ملامح وجهه، وارتفعت نبرات صوته في الحديث، لكن عمر لم يعطه أي فرصة للاستدراك في الكلام، وتحدث بلهجة الآمر.

شوف حضرتك، ووالدي اللي اشتريتوا الآلات، وحضرتك المهندس المسئول، ومدير المصنع، والمهندسة نجلاء كبيرة المهندسين يعني إنتم المسئولين عن المصنع، ولازم أعرف إيه موضوع مخالفة المصنع لقوانين البيئة.

حاول المهندس محمد الكلام، لكن عمر لم يمهله.

وزارة البيئة مقلوبة على مصنعي... أنا وصلتني أخبار إن فيه لجنة حاتيجي تفتش، وحضرتك المسئول عن الموضوع ده... اتصرف.

هم المهندس محمد، والمهندسة نجلاء بالانصراف، والحيرة تملؤهما، والتي زاد من حدتها أمر عمر الأخير.

لو سمحت ياريت تسجل البيت بتاعك، ابقى مر على المحامي بتاع المصنع أنا مش حاأفضل أدفع لك عوايد البيت على طول.

ألجمت الدهشة لسان المهندس محمد، ولم يستطع أن يفعل أي شيء سوى الإذعان لأوامر عمر دون أي اعتراض، فعاد هو، وزوجته لعملهما في المصنع. بدأ محمد عمله بمراجعة كل ما يتعلق بمواءمة المصنع مع البيئة.

شعر عمر بالراحة فقد أزال عن كاهله جبل الشعور بالذنب الذي كان يضج مضجعه، كما أنه أراح باله من قضية المصنع، ومشاكله مع البيئة، فاتجه إلى مجموعة شركات عائلة والدته ليرى ماذا يحدث بها، ولماذا والدته متوترة كل هذا التوتر ؟!

لم يجد عمر شيئا مختلفا عما سبق، فالصراعات التي بالمجموعة لم تتغير منذ أن وطأت قدماه مبنى شركة عائلة والدته قبل أن تتوسع، وتصبح مجموعة شركات... الصراعات لم تتغير، ولن تتغير، فهي تنبع من فكر واحد وضع أساسه الجد، والأبناء

يسيرون على نهجه، والنهاية معروفة مسبقا.

وكم وقف عمر في وجههم للحد من تطور هذا الفكر لديهم، لكن دون جدوى فدائما ما يجرون وراء الربح السريع، والسريع جدا بصرف النظر عما يتطلبه أو يجلبه، فدائما ما يرون أنفسهم فوق كل شيء حتى القانون ذاته يعتقدون أنهم فوقه.

كان آخر ما أحضره علاء ووالدته بهيرة صفقة عقد شراكة في إحدى المحطات الفضائية ليكون لهم السيطرة الإعلامية، لم يتمالك عمر نفسه، وانفجر ضاحكا بصورة مبالغة، فنبهته والدته إلى أسلوبه غير اللائق.

عفوا ياجماعة لكن فعلا الصفقة دي نكتة مش كده يا علاء.

استشاط علاء غضبا.. وانفجرت والدته.

آه ما هو لو الصفقة مش إنت اللي جايبها تبقى نكتة.... نسينا معلش.

مفيش مشكلة نناقش الموضوع اللي بعده.

احتج أعضاء مجلس الإدارة على أسلوب عمر المستفز خاصة إنه كان يتعمد البرود. وجه عمر نظرات حادة لأعضاء المجلس، فصمتوا جميعا...

واضح إنكم عايزين توضيح، لكن أنا كنت فاكر إن وقت المجلس ثمين، ومفيش داعي لتضييع الوقت في مناقشة الصفقات المرفوضة.

حمل إسماعيل راية الهجوم على عمر، فانتظر عمر حتى أفرغ كل ما في جعبته.

واضح إن إسماعيل بيه فيه حاجة مضايقاه، لكن طبعا ياسادة إسماعيل بيه أكيد عارف زيكم مين محمد إبراهيم صاحب القناة، وإيه الهدف منها...

اندفع علاء في الحديث الذي بلغ حد التطاول، لكن عمر حسم الأمر.

شركتنا مش حاتدخل في شراكة مع واحد بيغسل أموال مشبوهة في مجال الإعلام.

أطلق إسماعيل ضحكة ساخرة.

غسيل أموال إيه هو إنت فاكر نفسك في أمريكا، ولا في أوربا إحنا مالنا، وأصل فلوس أي شريك.... معظم اللي بيشتغلوا في السوق حد عارف أصل فلوسهم إيه

اصحى يابن أختي.

كادت الأمور تنفلت من يدي عمر، فحسم الأمر بسرعة.

طالما دخلنا في موضوعات تهدد المجموعة يبقى لازم نرجع للجمعية العمومية، وطبعا مش ظريفة مناقشة صفقة مشبوهة في الجمعية العمومية... يبقى أحسن نترك الكلام عنها عشان جدول المجلس مليان.

امتثل الجميع لأوامر عمر الذي أدار الجلسة بحزم، وجدية

مما زاد من حنق بهيرة، وإسماعيل عليه... كان كل واحد منهما ينظر إلى أبنائه، ثم ينظر إلى عمر، ويظل يتنقل ببصره، وتتصارع الأسئلة...

« لماذا لا يكون ابني أنا هو الجالس مكان عمر، لكن أي ابن يمكن أن يكون مكانه؟!»

كانت الحسرة تملأ قلبي بهيرة، وإسماعيل، وهما يعقدان المقارنة بين أبنائهما، وبين عمر، ثم تتحول الحسرة إلى حنق على عمر، ورغبة في تدميره بأي وسيلة... لا يهم من سيخلف هذا البرديسي؟ المهم هو طرده من المجموعة... هكذا عقد إسماعيل العزم.

كان على ثقة من عدم مقدرة أي واحد من أبنائه على أن يحل مكان عمر، فثلاثتهم لا يتمتعون بشخصيته القوية، لكن لابأس ليكن هو المدير المسئول عن المجموعة... ما هذا إنه هو رئيس مجلس الإدارة، لكنه فعلا رئيس مجلس الإدارة ؟!

عاد إسماعيل بالذاكرة لسنوات طويلة إلى الوراء، وتذكر يوم حصوله على الثانوية العامة، ورغبته في دراسة الهندسة، لكن والده أصر على أن يلتحق بكلية الشرطة ليكمل مسيرته الأمنية... سنوات قليلة بعد تخرج إسماعيل في الكلية، وأخرج - أو بمعنى أدق طرد - والده من الشرطة، واتجه لمجال «البزنس»، وأخذ ابنته الكبرى شهيرة معه، وبعد ذلك دارت الدائرة ليترك إسماعيل الشرطة بنفس الأسلوب الذي تركها به والده، ويجد نفسه وقتها

رجلًا في الأربعين شبه مطرود من عمله لا مكان له في مجال الأعمال... يصارع، ويصارع، ويظل يصارع لسنوات طوال ليمضي به الزمن، وعمر يسبقه دائما... حقا بعد وفاة والده تولى منصب رئيس مجلس الإدارة لكنه في الحقيقة أصبح منصبا شرفيا حتى قبل وفاة الأب بعد أن أسند لعمر رسميا كل الصلاحيات.

كان أمل إسماعيل في أولاده كبيرا فأبعدهم عن الشرطة، وأدخلهم من البداية في مجال الأعمال، لكن ماذا فعلوا؟؟!! إنهم مجموعة من البلهاء ضعاف الشخصية... لايستطيع أي واحد منهم أن يعقد صفقة محترمة، لكن لماذا يلومهم إسماعيل؟ أليس هذا هو مفهومه الأساسي للصفقات؟.. أذن ليكن كرسي عمر إحدى صفقاته التي عليه الفوز بها مهما كلفه الأمر، ومهما استخدم من وسائل قذرة... لا يهم، فهو في الأساس لا يعرف سوى تلك الوسائل...

بدأ إسماعيل الحرب الحقيقية، فمن قبل كان يناوش عمر فقط أما الآن، فلا مجال لتضييع الوقت... البداية كانت بتجهيز جبهة قوية ضد عمر، فاتفق مع علاء، وبهيرة على أن يدخل هو بمفرده شريكا في صفقة القناة الفضائية لتكريس كل البرامج الهامة لضرب عمر بأسلوب خفي، كما عقد العزم على السير على خطى أخته بهيرة بنسب كبار المسئولين حتى لا تخرج القرارات الهامة إلا من جعبتهم، ولصالحهم، وعقد اجتماعًا مغلقًا مع أبنائه الثلاثة للإعداد لهذا النسب أسوة بابن عمتهم.

كان أبناء إسماعيل أشبه بالجنود في معسكرات القتال عليهم الطاعة، لكن في هذه المرة لم يطع الجنود قائدهم، لكنهم لم يعصوه في ذات الوقت، بل أشاروا عليه بخطة متنوعة لتكتل السلطة، فاختار ابنه الأصغر إيهاب الزواج من سارة ابنة عمته، أما الابن الأوسط ياسر فقد فكر في الارتباط بواحدة من بنات كبار رجال الأعمال حتى يضمنوا الاندماج الاقتصادي معه، وكانت المرشحة هي نها ابنة محمد إبراهيم شريكهم في القناة الفضائية، وبذلك يضمنون السطوة الإعلامية أيضا... ولحس الحظ نها زميلة ياسر في النادى، ورفيقته في لعبة التنس. بقى كريم أكبر الأبناء، والذي سبق له تجربة الزواج، لكنها كانت تجربة فاشلة لم تستمر سوى عدة أشهر، وأثمرت عن طفلة تعيش مع والدتها، ولا يعرف كريم عنها الكثير... لذا فقد وقع اختياره على صديقته الحميمة الفنانة الشهيرة سها سعد النجمة السنيمائية اللامعة.....وهكذا تتوسع شهرتهم، ويضمنون ذكر اسم أسرتهم في كل المناسبات السياسية، والإعلامية، والاقتصادية، وحتى الفنية... أطلق إسماعيل ضحكة قوية، وكأنه حقق انتصارا لا حدود له.

يبقى يوريني سي عمر ده حا يعمل إيه مع التحالف القوي بتاعي أنا، وبهيرة، والناس اللي حا ناسبهم.

لم يترك إسماعيل لحظة تمر دون أن ينتهزها لتنفيذ خطته، فاتصل بأخته بهيرة، وأطلق أولاده لينفذوا خطط الارتباط.

كانت سعادة بهيرة لا توصف، وهي تستمع لخطة أخيها

للتحالفات ضد عمر، وتمنت التوفيق لكريم، وياسر، وأرجأت مسألة ارتباط إيهاب، وسارة حتى يكتمل موضوع ارتباط ابنها مع ابنة المسئول الكبير، وكذلك موضوع ارتباط ابني إسماعيل، فأهم شيء في التكتل هو التحالفات الخارجية أما مسألة إيهاب، وسارة فهي مرهونة بمدى نجاح التحالفات الخارجية. وافق إسماعيل بهيرة على كل ما توصلت إليه، واتفق معها على تبادل المساعدات.

رغم أن شهيرة لم تكن على علم بما يحيكه أخواها ضد عمر، وضدها بالتبعية، فمنذ انتهاء اجتماع مجلس الإدارة، وهي كانت على ثقة من أن الأمور لن تسير دون مؤامرات، لكنها كانت واثقة من أن ابنها يستطيع الانتصار على كل مؤامرتهم، فهم الذين يحتاجون إليه، وبدونه سيكون مصيرهم جميعا هو الهلاك. الشيء الوحيد الذي كان يقلق شهيرة هو عمر ذاته إنه ابنها الذي تعرفه، لقد تغير كل التغير.... لا...لا إنه لم يتغير لقد عاد إلى ما كان عليه عندما كان في حضن جدته.

أثار هذا الخاطر شهيرة، فشعرت بأنفاسها تختنق في صدرها الذي بدأ يؤلمها بشدة... كانت وقتها لا تزال في طريقها للمنزل، فأمرت السائق بأن يوقف السيارة قليلا، وفتحت النافذة لتستنشق بعض الهواء، واتصلت بابنها ليحضر لها على وجه السرعة كان عمر ينوي بالفعل الذهاب لوالدته ليرى ما ألمَّ بها، فالأمور من وجهة نظره تسير كما كانت، فلماذا هي قلقة كل هذا القلق ؟!

أثار سؤال عمر شهيرة، فانفجرت فيه، وهي تصرخ.

عمر إنت السبب.

اندهش عمر مما قالته والدته، فماذا فعل ليتسبب في قلقها الشديد هذا ؟

إنت مش عمر ابني... إنت عمر ابن ماما زينب... أيوه إنت عمر ابن ماما زينب !

لم يستطع عمر الرد عليها، كانت الدماء تغلي في عروقها، وعيونها تندفع منها ألسنة اللهب البركانية، ونبرات صوتها تتقطر بالغل، والحقد .

أيوه إنت عمر ابن ماما زينب... وأنا بأعرفك من عينيك نفس اللمعان اللي كان فيها وقت ما كنت عايش مع جدتك، وبأفكارها.

أحس عمر بالخوف من نبرات صوت والدته، وشعر بأن أمره انكشف أمامها، ولا مجال لإخفاء أي شيء، فغادر المكان مسرعا... فحقا لقد عاد إلى حضن جدته... كم حاولت شهيرة تغييره، وكم أسعدها الوهم بأنه تغير، وأصبح واحدا من عائلتها... كانت تلاحظ دائما أن له منطقًا خاصًا، ومعايير تختلف عن الباقين من حوله... وقتها كانت تتوغل في الوهم، وترجع ذلك إلى طبيعة دراسته، وأسلوب حياته المتأثر بالأفكار الأمريكية، لكن الحقيقة كانت العكس من ذلك تماما، فأفكار جدته، وقيمها ظلت دائما

مغروسة في قلبه، وعقله، ومهما غطى عليها الغبار كان لابد أن يأتي اليوم الذي يأتي فيه أحدهم ليحارب كل أشكال الدخان الذي يضعف القلوب، لكن هل تترك شهيرة ابنها ليترعرع في قلبه أشجار جدته التي حاولت أن تجتثها طوال السنوات الماضية... لا يمكن أبدا، فهذه الأشجار إن نمت ثانية فستفقد ابنها الذي انتزعته من حضن زينب، لكن زينب قد ماتت.

« فمن زينب الجديدة التي ستأخذ ابني مني؟!»

أشعل هذا السؤال النيران في قلب شهيرة، فانقلبت إلى وحش كاسر يحاول أن يدمر كل شيء... كل شيء، ويبقى ابنها بين أحضانها، ولا تأخذه زينب منها مرة أخرى.

(١١)

كان يوم عمر طويلا، وكم شعر فيه بالتوتر... آه كم يحتاج للهدوء.... آه كم يحتاج للراحة... آه كم يحتاج لرؤية وجه ياسمينا.

اتجه عمر إلى بيته الحقيقي إلى قصر البدرشين حيث الياسمين يحيط به من كل جانب. كان الليل قد هطل منذ فترة ليست قصيرة، وعم السكون المكان فاتجه عمر إلى شجرة الياسمين معتقدا أنه تأخر عن موعده مع ياسمينا، فقد تجاوزت الساعة العاشرة قليلا، لكنه لم يجد أحدًا ينتظره، فانتظر هو، وانتظر، وطال انتظاره...

بدأ القلق يساوره... لماذا تأخرت ياسمينا؟! أتراها قد حضرت، ولم تجده، فغادرت المكان؟! هل غضبت لتأخره أم هناك أمر آخر؟!

حاول عمر الاتصال بها، لكنها لم تجبه في أول الأمر، فألح في اتصاله، فردت عليه ياسمينا أخيرا. كانت ياسمينا قد قررت مسبقا ألا تدخل في دائرة عمر، فتصنعت البرود في الرد، وتحدثت بتكلف أحرج عمر الذي كانت اللهفة تقتله لسماع صوتها :

فيه حاجة يا ياسمينا ؟!

-أبدا.

صمتت ياسمينا، ولم تستطع استكمال حديثها. ظل عمر مندهشا من صدها العجيب له.

ياسمينا أنا منتظرك.

ليه؟

ليه؟! إحنا مش اتفقنا إمبارح.

ما فيش داعي واضح أن الكلام مش حا يفيد في حاجة.

طب...

صمت عمر، وردت عليه ياسمينا بصمت كاد أن يكسره صوت دموع خدعتها، وفرت من بين مقلتيها، لكن عمر أنقذها بإنهاء المكالمة...

شعرت ياسمينا بآلام شديدة تعتصرها، وكم حاولت إنكارها، لكنها لم تستطع، فأسرعت إلى البيانو تعزف مقطوعة حزينة، وصلت إلى مسامع عمر الأنغام الحزينة التي تعزفها ياسمينا، فأسرع إلى الشرفة التي تطل على حجرتها، فوجدها تعزف، وغلالة من الحزن تحيط بها..

احتار عمر في أمر ياسمينا، ما الذي أصابها؟! ماذا فعل حتى يجد كل هذا الصد منها؟! راجع عمر كل ما فعله معها، وأخيرا أدرك ما يمكن أن يكون السبب فيما أصابها... ابتسم عمر لنفسه.

«آه يا صغيرتي كم أنت طفلة خجولة»

وضع عمر خطة محكمة لمحاصرة ياسمينا بدأها في الصباح الباكر بالمرور على المصنع ليتابع أخباره خاصة ما تم بشأن موضوع البيئة، وبعد ذلك اتجه إلى المجموعة ليدخل في دوامة الصراع، والمؤامرات، وأخيرا عاد إلى قصر البدرشين بعد أن حصل على جرعة كافية من الخبرات الخاصة بشأن إحكام الحصار يضيفها إلى خبراته السابقة.

«آه يا ياسمينا كيف ستتمكنين من الفرار من هذا الحصار المحكم؟!»

عندما حل الظلام اتجه عمر إلى الشرفة التي تطل على حجرة ياسمينا ليتابعها... يرصد عاداتها... حتى إذا دقت الساعة العاشرة شعرت ياسمينا بالضيق الشديد، ولم تستطع أن تتنفس بسهولة، فأسرعت بالذهاب إلى الحديقة... انتهز عمر فرصة هبوط ياسمينا إلى الحديقة، وتجولها بين الزهور، فأسرع بالذهاب إليها... انتظر عمر حتى وجد ياسمينا تقف أمام شجرة الياسمين، فاتجه إليها، ووقف خلفها دون أن تشعر بوجوده..

واضح إن شجرة الياسمين زعلانة منك.

فزعت ياسمينا من وجود عمر، ونظرت إليه فزعة، لكن سرعان ما تحولت نظراتها إلى نظرات حادة، وانطلقت شرار الغضب من عينيها... كان عمر ينظر إليها ضاحكا.

إيه فزعتك؟

استمرت ياسمينا ترمي عمر بالسهام النارية المنطلقة من عينيها مما جعل الابتسامة تختفي من وجهه، ويحل مكانها الوجوم.

فيه حاجة يا ياسمينا ؟!

لم تجبه ياسمينا أول الأمر، فانطلقت من عينيه آلاف التساؤلات التي أجبرت ياسمينا على أن تقطع حبل صمتها، فاندفعت تتحدث بنبرات حادة، وصوت مرتفع قليلا...

فعلا إنت إنسان جريء جدا... بعد كل اللي عملته بتتكلم عادي جدا.

ارتسمت على وجه عمر كل علامات الاستفهام... لم تمهله ياسمينا كثيرا، وأكملت حديثها الحاد.

طبعا إنت مبسوط، وحاسس بالنصر، لكن والله العظيم...

قاطعها عمر، وصوته يملؤه الحيرة.

ياسمينا أنا مش فاهم إيه اللي حصل... ممكن تقعدي، ونتكلم بهدوء.

لم تستجب له ياسمينا، وظلت واقفة تتحدث بحدة، وهي تحرك يدها بعصبية.

هدوء إيه... إنت تعمل عملتك، وتقول بعد كده نتكلم بهدوء.

أمسك عمر بيدي ياسمينا.

أهدئي والله أنا مش فاهم إنت بتتكلمي عن إيه.

سحبت ياسمينا يديها من يدي عمر بعصبية.

النهاردة إنت ما كنتش في المصنع ؟

طبعا ما أنا كل يوم هناك..

آه... لكن النهاردة اتفقت إنت، وبابا على موضوع المصنع، والبيئة.

صمتت ياسمينا قليلا ثم عادت للحديث، والتوتر قد بلغ منها مبلغا كبيرا، فكانت يداها ترتجفان، وهي تحركهما بعصبية، وازداد ارتفاع صوتها.

وطبعا رسمتوا خطة ضدنا.

وطي صوتك بابا، وماما يصحوا.

صمتت ياسمينا، وأخذت نفسا عميقا، وحاولت خفض صوتها قليلا.

إنت طبعا مبسوط جدا، بابا وقف ضدي، وهددني عشان أسيب الحملة... طبعا ما أساليب الحرب القذرة دى لعبتك.

غضب عمر من تطاول ياسمينا عليه، فنظر لها بحدة مما أحرجها، فصمتت برهة، وتحدثت هامسة.

آسفة.

لكن سرعان ما عادت لنبرات صوتها الحادة.

لكن إنت عرفت موضوع إن بابا هو اللي اشترى الآلات ده

مني، ودلوقتي استخدمته ضدي.

بدأت الدموع تغزو مقلتي ياسمينا. كانت دموع ياسمينا المتلألئة في مقلتيها، والتي انسالت على وجنتيها أشبه بالنيران تحرق قلب عمر، فأخذ رأسها بين يديه، ومسح دموعها بإبهميه، واقترب منها، وهمس في أذنها بصوت يغلفه حنان نابع من قلبه دون أي قيود...

والله العظيم أنا ما افتكرتش إن بابا حا يقف ضدك. أنا كل اللي فكرت فيه بابا يرجع للشغل.

أبعدت ياسمينا يديه عنها بعصبية.

إنت قليل الأدب، وكل أساليبك قذرة.

همت ياسمينا بترك عمر، لكنه أمسك بذراعها بحدة.

قبل ما تيجي تحاسبيني حاسبي والدك اللي اشترى الآلات مش هو المهندس المسئول... أنا مجرد صاحب مصنع بأفهم في المكسب، والخسارة يا دكتورة يا صاحبة المبادئ، ولا المبادئ مع بابا لها مكيال تاني.

حاولت ياسمينا أن تخلص ذراعها من قبضة يد عمر، فتركها عندما شعر بأنه يؤلمها..

بكرة فيه عامل من مصنعك حا يعمل عملية خطيرة، وأنا حا أشارك فيها بحكم التخصص عشان حالة قلبه مش مستحملة البنج، وربنا يستر... يا ترى ضميرك مستريح، وإنت بتسد كل الطرق

عشان يفضل مصنعك يضخ سمه للناس.. أتمنى لك نوما هادئا... وعموما المنوم مالي الصيدليات لو ضميرك فكر يقلقك...

تركته ياسمينا، والغضب يملؤها، ويملأ عمر هو الآخر. كان كل واحد منهما يتذكر كلمات الآخر له فيمتلئ حنقا عليه، ويجافيه النوم، ويظل يفكر في شيء واحد هو كيف سيرد إهانته له...

ظل عمر يتقلب في فراشه، وكلمات ياسمينا ترن في أذنيه، فيستشاط غضبا

« أنا أهان، وأسب من هذه البلهاء التي تبحث عن المدينة الفاضلة... لا.. لا... إنها تكيل بمكيالين، وتخاف من والدها، وتتكبر عليَّ أنا فقط.. أتريدينها حربا ياياسمينا؟ لتكن الحرب.»

وأعلنت ياسمينا هي الأخرى الحرب على عمر، فقد كانت مثله تتقلب في فراشها، والدماء تغلي في عروقها من هذا الفاسد المتكبر، وهي تتذكر ثورة والدها عليها، وأمره لها بوقف حملتها ضد المصنع.

« إنه يستعدي والدي عليَّ، أنا المخطئة فقد أخبرته بكل شيء بمنتهى البلاهة، وألوم نفسي الآن طبعا، فقد عرف مني أن والدي ضدي، واستغل هذا أبشع استغلال، وها هو والدي الآن... آه.. ماذا أفعل ؟! هل أقف ضد والدي الآن واضح صورته كمصاص للدماء أم أتوقف عما بدأته... لا... لا لن أتوقف عن شيء... آه ياعمر أتريدها الحرب؟ إذن هي الحرب بيننا.»

تعمد عمر أن يخرج في موعد ياسمينا في الصباح الباكر، ووقف مواجها إياها، وهو ينظر لها في تحد، وبادلته ياسمينا نظرات التحدي... في المساء أخذت ياسمينا تعزف الألحان القوية العنيفة التي تعكس حالة الحرب بينها، وبين عمر... وقتها أسرع عمر إلى الشرفة يتابعها، وهي تعزف.

« آه... يا ياسمينا سنرى من هو القائد المنتصر ؟!»

انتهج عمر أسلوب استعراض القوى مع ياسمينا، لكنه فكر قبل تطبيقه معها أن يتدرب بإقامة مناورات ضد اتحاد إسماعيل، وشركائه، فقد علم عمر بما ينوي عليه إسماعيل، وبهيرة من تعزيز قوتهما بعلاقات النسب المتشابكة التي يخططان لها. كانت الأنباء قد تسربت إلى عمر سريعا، وقبل أن تصل الأنباء إلى شهيرة، وتزرع الأرض نيرانا... أسرع عمر بعمل مناورة لاستعراض قوته.. كان عمر يستعد لهذه المناورة منذ فترة، لكنه أعلن عنها بعد أن تأكد من نجاحها التام... عقد عمر اجتماعا استثنائيا لمجلس الإدارة لمناقشة مشروع إدارة المجموعة لسلسلة فنادق عالمية ستدخل إلى السوق المصرية لأول مرة، وكانت المفاجأة وجود شخصية سياسية كبرى شريكة في هذه الصفقة.

كان عمر قد نما إلى علمه سعي شركة الفنادق العالمية إلى الدخول إلى السوق المصرية، وفي ذات الوقت كان هناك شخصية سياسية كبرى تريد الدخول في هذه الصفقة، فسعى عمر لدى الشركة الأجنبية، وكان على ثقة من أن الشخصية السياسية هي التي

ستسعى إليه، وقد نجحت مناورة عمر على أحسن وجه، وكانت المرحلة الأخيرة بإعلان ما توصل إليه أمام مجلس الإدارة.

أسقط إسماعيل في يده، وظل واجما طوال الوقت، أما بهيرة فأسود وجهها، وتحدثت كالمجنونة.

طبعا مش عمر بيه... ما هو اللي يعرف يجيب الصفقات اللي يتوافق عليها، وطبعا مصدر أموال الشخصية دي ما حدش يقدر يتكلم عنها..

وبهدوء شديد يصل إلى حد البرود رد عليها عمر.

إحنا حا نتعامل في الأساس مع الشركة العالمية يعني لو شريكنا حصل له أي حاجة ما فيش حاجة حا تأثر على وضعنا.

صفق الجميع لعمر، فاضطر إسماعيل، وأولاده أن يشاركوا في التصفيق، وهذا ما فعلته بهيرة هي الأخرى. رغم سعادة شهيرة بما حققه ابنها من إنجازات، فقد ظل البريق الذي في عيني عمر يخيفها، ولم تستطع تجاهله أبدا.

كانت سعادة عمر بنجاح مناورته تفوق الوصف حيث تأكد من قوته، ومقدرته، فكانت العملية المهمة التي خطط لها، وهي عملية استعراض القوى أمام عدوته العنيدة. أدخلت هذه الكلمة الروع في قلب عمر، وظل يسأل نفسه.

«هل حقا ياسمينا عدوتي ؟! يا لني من كاذب أخرق»

ابتسم عمر لنفسه ساخرا من حماقته. أخرجه من حالته الشعورية

تلك دخول والدته عليه... كان عمر وقتها يستعد لمغادرة المكتب، فاندهش من زيارة والدته غير المتوقعة التي بادرته بالتهنئة لنجاح صفقته الجديدة، لكنها سرعان ما عادت لتوترها الذي كان يتقطر من نبرات صوتها.

عمر هو إنت سيبت المهندسين، وعايش في البدرشين دلوقتي؟

لم يجب عمر، ونظر إليها منتظرا أن تكمل حديثها.

هو فيه مشكلة في البدرشين..هي أخبار البنت اللي مضيقاك إيه؟

شهيرة هانم هو فيه إيه؟ إنت بقالك فترة متوترة جدا... ماتخافيش.

اقترب عمر من والدته، وقبلها من وجنتيها، عانقت شهيرة ابنها، والقلق يملؤها .

فقد وجدته يعانقها بحنان لم تعتد عليه منه، فنظرت له متوجسة، وعيناها تصرخان :

«آه لقد تغيرت يا عمر، فمن هي المسئولة ؟»

حاول عمر الفرار من نظرات أمه التي يملؤها الشك، وتحدث معها عن التكتلات التي يشكلها خاله.

أنا مش فاهم إزاي يفكروا في الجواز بالشكل ده ؟!

قصدك يفكروا إزاي ؟

يعني ده جواز مش صفقة...

هنا تأكدت شهيرة كل التأكد من أن قلب ابنها ينبض بالحياة . أسرعت شهيرة بالاتصال بمسئول الأمن في المجموعة، وطلبت منه جمع أكبر قدر من المعلومات عن ابنها، وعلاقاته الخاصة البعيدة عن أعمال المجموعة.

شعر مسئول الأمن حسن السيد بأن الفرصة مهيئة له ليلعب على كل الأحبال، ويتخلص من قبضة عمر عليه خاصة أنه كان على يقين من أن عمر لديه العديد، والعديد من العلاقات الخاصة التي يحاول دائما أن يجعلها في إطار من السرية، وها هي الفرصة قد سنحت بأن يخلع عن تلك العلاقات كل ما يسترها، ويفضح أمر عمر، وبأمر من والدته

«ها قد وقعت أيها المدير المسئول»

اجتمع حسن برجاله، ووضع خطة لمراقبة عمر، ومتابعة كل أعماله، وبدأوا في التنفيذ الفوري.

لم يلاحظ عمر أن أحدًا يراقبه، وهو يغادر مقر المجموعة بكل ثقة، وسعادة وهو يردد في نفسه:

« لأبدأ الآن مناورتي الخاصة جدا مع عدوتي العنيدة.. آه حقا عدوتي يا لها من عدوة.» في الطريق اتصل عمر بإحدى الشركات المتخصصة في الأدوات الطبية، والتي كان قد اتفق معها على شراء عدة أجهزة خاصة بأقسام القلب ليهديها إلى المستشفى العام الذي

تعمل به ياسمينا.

كان المستشفى متواضعًا، ويعاني من كل مظاهر نقص الإمكانات التي يعاني منها أغلب المستشفيات العامة؛ لذا كان اهتمام رجل أعمال بها محل احترام، وترحيب مدير المستشفى الذي رحب بعمر عظيم الترحاب، وأصر أن يجري له مجموعة من الفحوص.

على الأقل تكون أول من يستخدم الأجهزة.

رد عليه عمر بابتسامة مصطنعة.

ده عمل خير... يعني مش لازم الواحد يستفيد منه....

قاطعه المدير.

لا سمح الله.. إحنا بس عايزين الأجهزة تتبارك بعمر بيه.

ضحك عمر بتكلف.

آه.. دي مبالغة زايدة... عموما ماعنديش مانع لو قست الضغط، وممكن كمان أجرب جهاز رسم القلب لكن بشرط مش عايز إزعاج لحد يعني لو ممرضة أو دكتور صغير هو اللي يقوم بالكشف ده شرطي الوحيد، وياريت يكون الدكتور مهتم بالأعمال الخيرية عشان لو فيه حاجة ناقصة يشرحها لي.

يبقى ما فيش غير الدكتورة ياسمين الحكيم.

تصنع عمر البلاهة، ورسم على وجهه كل علامات الإنكار، وكأنه لا يعرف ياسمينا مطلقا، وعندما ذهب إليها مع الممرضة

التي كانت بصحبته استمر في إنكاره لها، وسلم عليها، وكأنه يراها للمرة الأولى.

بادلته ياسمينا حالة الإنكار تلك، وتعاملت معه كأنه مريض عادي تراه لأول مرة، لكنها لم تكن بارعة في تمثيل دورها كما أتقن عمر دوره.

لم تلاحظ الممرضة التوتر الذي بدا على ياسمينا، فقد كانت تركز كل اهتمامها بعمر بصورة مبالغ فيها مما جعل ياسمينا تأمرها بالانصراف، فقد كانت تتصرف بفجاجة أغضبت ياسمينا منها.

شعر عمر بنشوة الانتصار، وهو يجلس في حجرة الكشف بمفرده مع ياسمينا ليس كمريض عادي، بل هو رجل الأعمال العظيم الذي يحتفي به مدير المستشفى

نظرت له ياسمينا بحنق .

جميل قوي أسلوب استعراض القوى ده...

لم يرد عليها عمر بل وجه إليها نظرات المنتصر المتشفي في غريمه المهزوم، لكن ياسمينا لم تكن مهزومة، بل إنها وقفت أمامه في تحد واضح، وأشارت له بأن ينام على سرير الكشف لتجري له الفحص اللازم.

كان عمر يتابعها، وهي تركز في عملها، وفي استخدام الأجهزة، فاستشاط غضبا، وتحدث بعصبية، وانفعال.

هو أنا كرسي، ولا لوح خشب.

اندهشت ياسمينا من انفعاله، فتلعثم عمر قليلا من نظراتها المندهشة.

أقصد... يعني.

هو فيه حاجة غلط ؟!

ياسمينا إنت مركزة في جهاز الضغط، ورسم القلب أكتر مني..

نعم..

يووه... أف أنا مش عارف إنت... يعني لو الموضوع مسألة أجهزة ليه ما خلتيش الممرضة تشتغل أحسن منك.

نظرت له ياسمينا بحدة، وتحدثت بعصبية.

طبعا الممرضة أحسن مني بكتير تحب أناديها لك ؟

أسعدت نبرات صوت ياسمينا العصبية عمر، وأدرك بخبرته الكبيرة خيطًا رفيعًا من الغيرة تواريه باصطناع الجدية، لكن مهما حاولت، فهذا ليس بخاف عليه... هدأ عمر كثيرا، وابتسم قليلا.

لا... مافيش داعي للممرضة... المدير اختارك إنت... بعدين يزعل منك لو أهملتي، وأنا....

وضعت ياسمينا مقياس الحرارة في فمه حتى يصمت، وأعادت قياس الضغط له، وكانت من حين لآخر تختلس النظر إليه، وهو صامت لا يتحرك.

بعد انتهائها من قياس الضغط أسرعت إلى مكتبها حيث

كان هاتفها يرن.استمع عمر إلى حديثها، وهو يرتدي ملابسه بعد الكشف... كان حديثها مع شخص يدعى نادر، ودل كلامها على وجود علاقة من الود، والصداقة تربط بينهما. استشاط عمر غضبا، وارتجفت أوصاله من العصبية، وأمطر ياسمينا بوابل من السهام النارية المنطلقة من عينيه. أربكت نظراته ياسمينا، فحاولت الهروب منها بالنظر في رسم القلب، وكتابة التقرير، وأخيرا استطاعت النظر إلي عمر، وتحدثت معه بجدية، وتصنعت البرود

كل حاجة تمام، لكن الضغط عالي شوية... أنا مش حا أكتب لك أدوية.. أحسن تشرب يانسون أو كركديه، وتقلل الملح في الأكل، وبعدين نشوف قراءة تانية للضغط.

رد عليها عمر بتكبر، وحدة.

مش فاهم يعني أعرض نفسي على دكتور قلب، ولا باطني.

أحرجت كلمات عمر ياسمينا، لكنها استجمعت شجاعتها، وردت عليه بتحد، وكبرياء.

أحسن لو تسافر فرنسا الدكاترة هناك كويسين، وخصوصا في الجراحة.

ابتسم عمر لياسمينا، فقد نجح في إثارة أعصابها.

يعني مين يقيس لي الضغط ؟

أي حد.

عم كامل ينفع ؟

عمر... بعد يومين قيس الضغط في أي صيدلية أو أي مستوصف مش مشكلة... المهم تاكل بملح قليل، وتهدي نفسك، هو إنت فيه حاجة ضايقتك النهاردة.

نظر لها عمر بحدة، وتركها دون وداع، وكأنه يلقي عليها بكل تبعات آلآمه... رغم أن ضغطه كان مرتفعا من قبل أن يستمع إلى مكالمتها مع نادر، لكنها السبب في كل آلامه. كان عمر على قناعة تامة بذلك.

«كانت تعرف أن ضغطي مرتفع، ومع ذلك تحدثت مع هذا النادر بمثل هذه الطريقة المثيرة للأعصاب... أتريد أن أصاب بجلطة؟! ماذا تريد أن تفعل بي، لكن أكانت تعلم أنني سأغضب من حديثها مع نادر؟!... طبعا يالني من أحمق من المؤكد إنها بحسها الأنثوي كانت على يقين من ذلك؟! لا...لا يمكن أن أكون واضحا بمثل هذه الصورة أمامها... آه... يا ياسمينا إن رأسي يكاد أن ينفجر.»

تحامل عمر على نفسه، لكن ما أن دقت الساعة العاشرة حتى أسرع بالاتصال بياسمينا. كان يصرخ طالبا إياها. أسرعت ياسمينا لمقابلته عند شجرة الياسمين، وأحضرت معها جهاز قياس الضغط. لم تكن حالته سيئة بالصورة التي تدعو للصراخ، فطلبت منه ياسمينا أن يهدأ قليلا، ويجلس، وطلبت من عم كامل أن يحضر لهما كوبين من اليانسون.

ممكن تهدى شوية... إيه اللي مضايقك ؟

لم يجبها عمر، ونظر لها بحدة، واتهام.

طب احكي لي عن يومك.

أحضر عم كامل اليانسون لهما، واحتسيا الكوبين، وعمر يحكي لياسمينا عن يومه. فتح عمر قلبه لياسمينا، وتحدث معها بطلاقة. كان يحكي لها عما حدث في اجتماع مجلس الإدارة، ويعلق على انطباعه عن خاله، وماحدث له، وسرعان ما أطلق الضحكات، وهو يتندر على مؤامرات عائلته الواهية.

شعر عمر براحة غريبة، وبدأ الصداع يتلاشى من رأسه، واختفى كل غضبه، وتحدث بصوت هادئ، وحنون.

الدور عليكي كان يومك عامل إيه ؟!

عادي... يوم هادي باستثناء زيارة حضرتكم.

تبادل عمر، وياسمينا الابتسامات، ثم شرد عمر قليلا، وأطلق ضحكة صافية، فسألته ياسمينا عن سببها.

خير..

أبدا... لكن لو حد شافنا وإحنا قاعدين جنب بعض وسط الورد، والياسمين، وأنا بترننج البيت، وإنت بقميص النوم القطيفة تفتكرى حا يقول عننا إيه ؟!

أولا أنا لابسة جلابية، وأنا كتير بأنزل الجنينة كده، وإنت كمان بتنزل الجنينة بالترينج... يعني جيران قاعدين في جنينتهم.

الحمد لله جيران مش أعداء.

الحمد لله على كل شيء، لكن إيه المشكلة لما نكون جيران، وأعداء في نفس الوقت.

تبادل عمر، وياسمينا الضحكات التي حاولت ياسمينا الفرار منها بالعودة لموضوع ضغط عمر المرتفع.

ممكن نقيس الضغط دلوقتي.

مد عمر لياسمينا ذراعه باستكانة، واستسلام... كان يريد أن يظل بين يديها طوال الوقت... ابتسمت ياسمينا له، وهي تؤكد أن الضغط قد عاد لمعدله الطبيعي.

لكن المهم عدم الانفعال.. أنا عارفة إن شغلك..

قاطعها عمر.

الموضوع ما لوش علاقة بالشغل.

نظرت له ياسمينا بارتباك، ثم نظرت للأرض.

أنا آسفة... اتضح إن الراجل كان بيشرب حشيش.

اندهش عمر من كلام ياسمينا.

راجل مين ؟!

العامل اللي في مصنعك.

آه... بتاع العملية.

وقفت ياسمينا، وتبعها عمر... نظرت له ياسمينا بخجل، وأرادت الانصراف هربا من نظراته... ابتسم لها عمر، واقترب منها، وهمس في أذنها.

يعني ممكن أنام.

اشتعل وجه ياسمينا خجلا من كلمات عمر، وأسرعت لتعود إلى منزلها، فأمسك عمر بيدها، وأوقفها، فنظرت له بارتباك شديد.

يا ريت مادام الضغط بقى كويس بلاش الأكل العادب بتاع النهاردة.

ترك عمر يد ياسمينا التي كانت أوصالها كلها ترتجف من الخجل، ففرت منه تعدو نحو منزلها، وعمر يودعها ضاحكا....

(١٢)

كان ما يشغل عمر طوال اليوم هو ما هي الحجة التي سيسوقها لياسمينا حتى يتمكن من رؤيتها، لم يكن يفكر في هذا اليوم فقط بل في الأيام القادمة هي الأخرى... كيف سيجعل موعد لقائه مع ياسمينا ثابتا في كل يوم...فى الساعة العاشرة عند شجرة الياسمين... أيمكن أن ينجح في ذلك لم يكن هذا هو السؤال الذي يلح على عمر، بل شغل تفكيره سؤال آخر، وهو :

«أيمكن أن يمر يوم دون أن أرى ياسمينا، ونتحدث معا؟؟!!... ياه ما أجمل الشعور الذي يتغلغل إلى نفسي، وأنا أجلس بجوارها... آه يا ياسمينتي لقد استنفذت كل الحجج... ياربي ساعدني كم أصبحت أعشق المرض الآن حتى أتمكن من رؤية قطتي المشاكسة... آه ما أجمل عينيها وهما تتلألآن بالحماس، والنشاط... آه ما أجمل وجهها المشرق حينما يكسوه الخجل... أيمكن أن أملك قوى خارقة لأذهب طائرا إليها، وأخطفها لنحلق سويا في السماء»

أفاق عمر من أحلامه الجميلة ليجد أمامه خاله، وأولاده الثلاثة. شعر عمر بأنه يهبط من السماء حيث كان محلقا وسط

النجوم، ويتطلع إلى صورة ياسمينا على وجه القمر ليهبط إلى أسفل السافلين، ويرى وجوه الضباع التي تريد أن تصبح أسودا.

كان إسماعيل كعادته هو الذي يتحدث، وأولاده كومبارس صامتون. بدأ حديثه بالهجوم على عمر الذي استقبل هجومه ببرود شديد. كان إسماعيل يتهم عمر بالتقصير في إنهاء إجراءات المدينة السكنية، ويقترح الحلول الكثيرة التي على عمر تنفيذ أحدها. كان عمر يستمع إليه، ووجهه خال من أي تعبير، وفي النهاية قدم إسماعيل اقتراحا عجيبا لحل مشكلة الأرض كما ادعى، يوم الخميس اللي بعد الجاي نعمل خطوبة الأولاد كلهم، ونعزم حسين، وعلا ووقتها ننهي موضوع الأرض.

فى حفلة الخطوبة ؟!

ثار إسماعيل من برود عمر، وتعليقه.

هو إنت مش رجل أعمال؟! ما كل الصفقات بتم في الحفلات.

لم يترك إسماعيل لعمر فرصة للرد، وتركه، وغادر مكتبه هو، وأولاده.

ابتسم عمر ساخرا، وتحدث لنفسه.

« وسط كل المعازيم، وأصوات الموسيقى العالية، وبأعلى صوتنا نقدم رشوة للسياسي الكبير ليتوسط لنا في شراء أرض بأسلوب ملتوٍ، ونعم رجال الأعمال...

ولأول مرة يشعر عمر بالضيق من موضوع المدينة السكنية... تصارعت الأفكار، والتساؤلات في رأسه لترسم في النهاية صورة رجل أعمال فاسد يسرق الناس... كانت الصورة باهتة في البداية، لكن سرعان ما وضحت معالمها ليرى عمر الصورة بوضوح لقد كانت صورة عمر ذاته، فهو رجل أعمال يلجأ إلى كافة الأساليب الملتوية رغم أنه يؤكد دائما أنه ليس فوق القانون... شعر عمر بالاشمئزاز من نفسه، وبدأت الآلام تغزو رأسه، فوضعها بين راحتيه، وهنا رن جرس هاتفه... كانت المفاجأة التي لم يصدقها في أول الأمر، وظل ممسكا بالهاتف ليتأكد من أن الأمر حقيقة، وليس خيالا، فقد كانت ياسمينا هي التي تتصل به... أجاب عليها عمر بلهفة، وشوق، وسعادة... كان يتسابق مع الكلمات ليقول لها كل ما يريده من حجج ليتمكن من رؤيتها. كانت المفاجأة الثانية، فقد كانت ياسمينا تطلب مقابلته، فرد عليها بلهفة.

طبعا... طبعا تحبي أقابلك دلوقتي.

لاطبعا أنا بأخلص عند الدكتور اللي باشتغل في عيادته حوالي الساعة 8 يعني ممكن نتقابل في معادنا... لا.... مش عارفة أصل العربية عطلانة، وأنا مش عارفة حا أروح امتى كمان...

ارتبكت ياسمينا، وتلعثمت، فأنقذها عمر.

الدكتور ده فين ؟ أنا حاأخلص شغل في نفس الميعاد يعني أفوت عليك ونر...

قاطعته ياسمينا بحدة.

وبعدين.

رد عمر ضاحكا.

آخذ منك تمن التوصيلة، إحنا آخر الشهر..

وافقت ياسمينا بعد تردد على اقتراحه، وفي الموعد المحدد وجدته ينتظرها... كان الارتباك واضحا عليها، وكم ترددت في ركوب السيارة بجواره، لكن أمام نظرات عمر الحازمة ركبت السيارة بجواره، وانطلق بها في طريق البيت بالبدرشين...

كانت ياسمينا تشعر بالتوتر، فقد كانت تريد أن تخبر عمر بأمر هام. كان هذا الأمر يؤرقها، ويجعلها تشعر بالذنب، وقد رسم هذا الشعور لوحته على وجه ياسمينا.

لاحظ عمر ما ألم بياسمينا، فقد كان يختلس النظر إليها بين الحين، والآخر لكنه فسر توترها بما يعرفه عنها من إنها شخصية خجولة، فكان يبتسم لها كلما رأى ملامح التوتر على وجهها..

أراد عمر أن يخفف من حدة قلق ياسمينا، فأدار جهاز المسجل بالسيارة لتسري موسيقى هادئة تقطع حبل الصمت المسيطر عليهما. استمتعت ياسمينا بأنغام الموسيقى، وشردت معها قليلا، لكنها انتبهت على صوت عمر.

إنت بتحبى الموسيقى للدرجة دي.

نعم... آه... إنت عرفت إزاي ؟

أطلق عمر ضحكة خفيفة.

ما أنا جاركم، وأكيد بأسمع صوت البيانو اللي بيفتن على حالتك النفسية.

أحرجت كلمات عمر ياسمينا، فازدادت توترا... استمتع عمر بمقدرته على إثارة ياسمينا، وإشعال وجهها خجلا، فازداد في «منغاشاته» لها...

هو إنت طابخة لنا إيه النهاردة ؟

اشتعل وجه ياسمينا خجلا، وأطرقت رأسها.

هو إنت عرفت موضوع الأكل ده إزاي ؟

أطلق عمر ضحكة صافية.

أفتكر إن عندي خبرة تخليني أشم الريحة الحريمي في أي حاجة، واتأكدت لما لقيت الأكل أمبارح عادب يعني هو عم كامل كان عارف بموضوع الضغط كمان هو ما أخدش مني فلوس للأكل.

نظر عمر لياسمينا، وهو يضحك، لكنه وجدها واجمة، فكف عن الضحك، واحترم صمتها. ظلت ياسمينا صامتة فترة ليست بقصيرة، وعندما اقتربا من البدرشين تحدثت ياسمينا باندفاع، وكانت كلماتها كطلقات المدفع، وتدل على الحدة، والعصبية معا.

عمر... أنا لازم أعترف لك بسر خطير.

رد عليها عمر بسخرية.

يا الله... سر خطير.

ازدادت ياسمينا حدة.

عمر... الموضوع جد، وخطير لو سمحت.

تمام يا أفندم.. اتفضلي.

أف... إنت واخد الموضوع هزار.

أمسك عمر يد ياسمينا التي كانت باردة جدا. لم تحاول ياسمينا نزع يدها من يده، فقد شعرت بالأمان، وقل توترها، ووجدت في نفسها الشجاعة الكاملة لتحكي لعمر عن كل ما لديها.

عمر.

اهدئي يا ياسمينا لحظة ونوصل البيت.

ترك عمر يد ياسمينا، وركز في القيادة ليصلا إلى المنزل سريعا... اتجه عمر مباشرة إلى شجرة الياسمين، لكن ياسمينا وجهته نحو الجهة الأخرى من الحديقة، وسارا معًا حتى وصلا إلى نهايتها أو هكذا ظن عمر... وقف عمر بجوار ياسمينا التي أشارت إلى قطعة أرض صغيرة مزروعة بالخضراوات.

إنت عارف قطعة الأرض دي ؟

مالها ؟!

إنت ملاحظ إن سور الحديقة الكبير يحيط بيها، وفيه بس سور صغير بينها، وبين باقي الجنينة.

أومأ عمر برأسه.

استجمعت ياسمينا شجاعتها، وكشفت له عن سرها الذي أضج مضجعها في الفترة الماضية... بدأت القصة منذ حوالي سبع سنوات كانت وقتها مازالت طالبة في الجامعة تعشق الأعمال الخيرية، وكم شاركت في العديد منها، ووصل بها المطاف في النهاية إلى الاشتراك في إحدى الجمعيات الخيرية التي ترعى مجموعة صغيرة من الأيتام لا تزيد على عشرة أطفال. هنا فكرت ياسمينا في أن تكفل الأيتام أو على الأقل تشارك في كفالتهم، وفكرت في فائدة مدخراتها في البنك، وفائدة الوديعة التي أودعها والدها باسمها في البنك لجهازها عندما تتزوج... عرضت ياسمينا الأمر على العم حامد الذي كان يعطيها دائما من ماله للصرف على الأعمال الخيرية، هنا اتفق حامد معها على أن يخصص لها جزءا من أرض حديقة قصره، ويفصله عن باقي أجزاء الحديقة، ويخصص لزراعة الخضراوات، والفاكهة، وتتولى ياسمينا الاهتمام بالأرض، وتستخدم ما تنتجه في إعداد الطعام للأيتام كما خصص حامد مبلغا من المال أودعه في البنك تأخذ ياسمينا فائدته لشراء اللحوم، وباقي مستلزمات الطعام إضافة إلى تقديم ملابس للأطفال في المناسبات.... شاركت ياسمينا بجزء ضئيل في هذه الوديعة، لكن حامد جعل الوديعة كلها باسمها حتى تتصرف فيها كما تشاء، وبعد عامين من هذا الاتفاق توفي العم حامد فوقعت ياسمين بين خيارين محيرين : هل تخبر عمر بكل شيء، وتسلمه

الأرض، والمال أم إنها تحافظ على سرها مع العم حامد، وتستمر في عمل الخير الذي بدآه ؟!

فى النهاية قررت أن تخبر عمر بكل شيء، لكنها وجدته بعد فترة قصيرة من وفاة والده يأتي إلى البدرشين ليلهو، ويعبث، فرفضت بكل شدة تسليم هذا العابث أمانة والده...

والله العظيم لو كان عندي شك، ولو بسيط إنك حا تحافظ على اللي بنعمله، وتستمر في عمل الخير كنت قلت لك على كل حاجة...

وجم عمر مما سمعه من ياسمينا، ثم تحدث بصوت واهن..

دى وجهة نظرك تجاهي...طب بتحكيلي دلوقتي عن الموضوع ده ليه ؟!

ابتلعت ياسمينا لعابها، وامتلأ صوتها بالدموع.

لما عرفت موضوع الأكل حاسيت بمنتهى الحقارة... يعني أنا سرقت أرضك، وفلوسك، وإنت فاكر إني بأعمل لك معروف... أصل إحنا كلنا أنا وماما وبابا وعم كامل، وكمان كان عمو حامد معانا كلنا بناكل من نفس أكل الأيتام أنا أطبخ يوم الجمعة وأحط الأكل في الديب فريزر في ورق ألمونيوم ويوم السبت نوصل للجمعية الجزء بتاعها، والباقي يفضل لنا كانت دي فكرة عمو حامد عشان نعمل لهم أحسن الأنواع، وعشان كده بابا بيشارك هو كمان في مصاريف الأكل...

ياه.

انفجرت ياسمينا في بكاء حار.

أنا عارفة إني مجرمة، وفوق كده بهاجمك، لكن والله أنا لو معايا تمن الأرض كنت أشتريها، لكن دي أرض مباني، وكمان ده سبب تاني خلاني أخبي عنك الموضوع.

نظر لها عمر بحدة، وقد بدأت أوصاله ترتجف.. كان يرى دموع ياسمينا، وهي تحدثه عن مساحة من الأرض أقل من فدان، وترتسم أمامه صورته مع حسين شوكت، وهما يتحدثان عن أرض المدينة السكينة، والأساليب الملتوية للاستيلاء عليها بثمن بخس.

استكملت ياسمينا حديثها.

يعني أنا لو كنت حكيت لك عن الموضوع، إما أشرح لك الموضوع صح، وأبين لك قيمة الأرض أو أساومك عليها على اعتبارها جزءًا من الجنينة، وطبعا في الحالة دي حاأكون برضه حرامية..

ازداد عمر توترا، وقاطع ياسمينا بحدة، وهو يمسك ذراعيها بعنف، ويتحدث بصوت أقرب إلى الصياح..

إنت بتقولي الكلام ده دلوقتي ليه... عايزة مني إيه ؟ قلبتي حياتي، وجاية دلوقتي تكملي عليها... لا ياصاحبة المبادئ مش إنت الملاك اللي لازم نثق في كل تصرفاتها إنت ما لكيش أي حق

في فلوس أبويا، ولا في أرضه... إنت...إنت

تخلصت ياسمينا من قبضة عمر، وصاحت فيه.

أنا كنت واثقة إن رجل الأعمال عمر البرديسي لا يمكن يترك أي حاجة لعمل الخير.

ازداد توتر عمر وحدته، وكان يصيح، وهو يلهث.

وإنت إيه بتعملي خير بالسرقة ؟؟!!!

اثبت... هو مش ده القانون اللي ماشي اثبت... أبوك وكتب الفلوس باسمي، والأرض مزروعة خضار... إيه حاتعمل مشروع سكني عليها ؟!

استشاط عمر غضبا مما قالته ياسمينا، فقد ألهبت كلماتها جرحا يدمي قلبه، فرفع يده في محاولة لصفعها، لكنها واجهته بتحد، وكبرياء، واتجهت لترحل، فأمسك عمر بذراعيها، وجذبها بقوة نحوه، وأطبق شفتيه على شفتيها..

تجمدت ياسمينا في مكانها، وشعرت بأوصالها كلها ترتجف بين يدى عمر، وانقبضت معدتها، وارتفعت دقات قلبها التي كانت تجري لاهثة، فحاولت ياسمينا الفرار... لم تستطع في بادىء الأمر، لكنها سرعان ما قاومت عمر بكل قوتها، فتركها، وهي ترميه بوابل من السهام النارية المنطلقة من عينيها، وتركته، وجرت عائدة إلى منزلها واندفعت مسرعة إلى غرفتها قبل أن يراها أحد... أحكمت إغلاق باب الغرفة، وارتمت على سريرها تبكي بكاءً حارا....

(١٣)

حبست ياسمينا نفسها في حجرتها أغلب الوقت.. كانت تعود من عملها لتسرع إلى حجرتها، وتغلق بابها عليها... احتار محمد، ونجلاء في أمر ابنتهما، فقد كانت دائما ما تملأ البيت بالحركة، والنشاط، ورغم انشغالها في العمل، والدراسة كانت دائما لديها الوقت للحديث، والضحك، لكن الآن الحال اختلف، وعندما كانت والدتها تسألها عن سبب ما حدث لها من تغيير كانت تدعي أن لديها مذاكرة مهمة، لكنها في الحقيقة لم تكن تستذكر دروسها بنفس الدرجة التي كانت تفعلها من قبل، فكثيرًا ما كانت تشرد، وتشعر بالضيق في صدرها، ولا تجد سلوى لها سوى بالعزف على البيانو أنغاما حزينة تارة، وغاضبة تارة أخرى.

كان عمر يسمع أنغامها، فيتمزق قلبه حزنا عليها، ويسرع إلى الشرفة المطلة على حجرتها ليراها، ويظل يتأملها، وقد احتضنت قطتها، وأخذت تشكو لها ما يضيق به صدرها... لم تكن تصل إلى مسامع عمر كلمات ياسمينا، لكنه كان يشعر بكل كلمة تتفوه بها..

حكت ياسمينا لقطتها عما كان من أمر عمر، وماذا فعل معها...

كان صوتها يختنق بالدموع أثناء حديثها.

«ماذا يا قطتي لماذا فعل عمر معي ما فعل.... لماذا احتد، ولماذا....»

تلعثمت ياسمينا قليلا، وصمتت، فحتى قطتها كانت تخجل منها... كانت تخجل من كل شيء حولها... من كتبها... من مرآتها.. من الملابس التي كانت ترتديها وهي مع عمر، لكن كان هناك شعور غامض بدأ يتسرب إليها، وكأنه ومضة وسط الظلام الذي سيطر عليها... أيمكن أن يكون هذا الشعور حقيقيا؟؟ أهي مشاعر جديدة تطرق بابها أم أن ما حدث أزال الغيوم عن مشاعر كانت تتوارى خشية أن تظهر للنور؟؟!

زادت هذه التساؤلات من حيرة ياسمينا، وضاعفت من شجونها الذي لاحظه الجميع حتى زملاؤها في العمل، وأصدقاؤها الكل لاحظ ما ألم بها.. كانت أختها داليا أكثر الناس قلقا عليها، فحاولت عدة مرات معها لمعرفة ما ألم بها، لكنها كانت تتهرب منها، وتتحجج بالمذاكرة، وإنها متعبة من العمل، لكن داليا لم تقتنع بما تقوله ياسمينا، وفي نفس الوقت لم تستطع معرفة سر حزنها الدفين كما لم تستطع التخفيف عنها، لكن عمر لم يكن ليترك ياسمينا تتمزق بين الحزن، والغضب...

كان عمر واثقا من أن ياسمينا لن ترد على هاتفه، فبعث برسالة لها على هاتفها.

« أعتذر عما قاله لساني... أما ما فعله قلبي فأنت أدرى الناس بالقلوب»

كانت رسالة عمر إشارة للغيوم بأن تبدأ في الانقشاع لتفسح الطريق لمشاعر ياسمينا بأن تعلن عن نفسها ... استمرت رسائل عمر التي يعتذر فيها عما قاله، ويعتز بما فعل قلبه. كان عمر يتابع ياسمينا، وهي تتلقى رسائله، وتسرع إلى قطتها تقرؤها لها. ابتسم عمر لنفسه، وعرف بئر أسرار ياسمينا.

انقشعت الغيوم تماما عن مشاعر ياسمينا، فشعرت بالسعادة ،ترتسم ملامحها على وجهها، وتلون نبرات صوتها، وتبدلت النغمات التي تعزفها، وأصبح الفرح عنوانًا لكل ما تقوله أو تفعله.... تعجبت والدتها مما حدث لابنتها.

سبحان مغير الأحوال اللي يشوفك النهاردة ما يشوفكيش اليومين اللي فاتوا.

لم تجب ياسمينا على والدتها، وابتسمت خجلا من انكشاف أمرها بمثل هذه البساطة.. توقف عمر عن إرسال أي رسائل لياسمينا، فشعرت ياسمينا بالقلق، وكأن هناك شيئا تفتقده، بل كأن هناك ما تفتقده بالفعل، فقطتها اختفت، ولم تعثر عليها في أي مكان.

ظلت ياسمينا تجوب المنزل، والحديقة بحثا عن قطتها، والقلق يملؤها. شعر والدها بأنها تبالغ في قلقها على قطتها، فنبهها

لذلك.

هو في إيه ؟؟ ما قطتك كتير بتختفي، وبعدين تبان، ولا إنت غاوية تعملي قضايا، ومشاكل من الهوا..

فهمت ياسمينا تلميحات والدها، فقد كان دائما ما ينتهز أي مناسبة لفتح موضوع المصنع، لكن ياسمينا لم يكن لديها أي رغبة في الحديث عن هذا الموضوع، فقد كانت قد حسمته منذ فترة، ولا تريد مناقشته مرة أخرى..

تركت ياسمينا والدها، وعادت إلى حجرتها، وهي تحاول أن تخدع نفسها، وتفسر قلقها في أنها لا تجد قطتها، لكن الحقيقة التي كانت تعرفها جيدا هي أنها افتقدت رسائل عمر، وأنها تفتقده بشدة... حاولت ياسمينا الهروب من كل هذه الأفكار، وأغرقت نفسها في المذاكرة..

عندما اقتربت الساعة من العاشرة وجدت ياسمينا هاتفها يحمل لها رسالة من عمر، لم تكن مثل الرسائل السابقة، بل كانت كانت تحمل تهديدا غريبا.

« لو أردت رؤية قطتك قابليني في الحديقة الآن»

ابتسمت ياسمينا عندما قرأت الرسالة، ولأول مرة تستعد لمقابلة عمر... حرصت ياسمينا على التأنق فيما ترتديه، وتركت شعرها ينسدل فوق كتفيها، ووضعت قليلا من المساحيق على وجهها، ثم ذهبت لمقابلة عمر في الحديقة.

كانت ياسمينا قد تأخرت قليلا عن موعد العاشرة، فجلس عمر ينتظرها على الأريكة أمام شجرة الياسمين. تعجبت ياسمينا مما رأته فقد كان جالسا، وقطتها نائمة فوق ساقه .

إيه ده ؟!.. إنت..

لم تكمل ياسمينا جملتها، وتبسمت، فأكمل عمر كلامها.

حتى مع القطط.

شعرت ياسمينا بالخجل.

مش قصدي... لكن إزاي ؟!

تعالي، وأقعدي جنبي... معلش ما أقدرش أقوم بعدين أزعج جوليا.

أذعنت ياسمينا لكلام عمر، وهي مندهشة مما يحدث.

إنت عرفت اسمها إزاي ؟!

عادي سمعتك، وإنت بتنادي عليها، وبعدين اسم جوليا أنا بحبه ما أنا بحب الممثلة الأمريكية جوليا روبرتس، وإنت كمان بتحبيها مش كده ؟!

أومأت ياسمينا برأسها موافقة، ولكن ظلت حالة الدهشة تتملكها، فحاول عمر إزالة دهشتها.

فيه حاجات كتير بأعرفها عنك... أعداء بقى ولازم أعرف عنك كل حاجة.

ابتسمت ياسمينا، فعلق عمر على ابتساماتها.

لا.. لا بعدين ممكن أصدق إننا مش أعداء.

عمر...

صمتت ياسمينا، ولم تعرف ماذا تقول، فرفع عمر عنها الحرج.

ياسمينا إنت طبعا عارفة مين اللي في قلبي ما إنت شوفتي صورتها في رسم القلب، وعشان كده أنا مستغرب إنت زعلتي كل الزعل ده ليه ؟!

ضحكت ياسمينا، وبادلها عمر الضحكات.

والله حاجة ظريفة قوي بعد كل الدراسة دي نكتشف إن رسم القلب يبين صورة.

صمتت ياسمينا قليلا، ونظرت إلى الأرض خجلا.

يبين صورة اللي بنحبهم... ياسلام دي تبقى حاجة ظريفة قوي.

أخذ عمر يد ياسمينا بيده، ورفعها إلى شفتيه، وقبلها..

فيه مخلوق ما بيحسش باللي بيحبه... تحبي نسأل جوليا، وهي تقولك...

شعرت ياسمينا بالحرارة تسري في أوصالها، وبدأت قطرات العرق تغزو جبهتها... حاولت سحب يدها من يد عمر لكنها لم تستطع، فقد كانت مستسلمة لأسر عينيه. استيقظت جوليا، وهبطت من فوق ساق عمر، فانتبهت لها ياسمينا، وكانت فرصتها

للفرار من ذلك الأسر، لكن عمر ظل ممسكا بيدها.

مهما حاولتي مفيش فايدة.

نظرت له ياسمينا مستفسرة، وهي تسحب يدها من يده.

نعم ؟

أبدا أنا بأكلم جوليا مفيش فايدة مش ممكن تهرب هي خلاص حبتني.

ياه إنت مغرور قوي.

لا أبدا لكن لما الواحد بيحب يبقى عنده أمل واحد إن اللي يحبه يبادله نفس المشاعر.

أحكم عمر حصار عينيه حول ياسمينا، وتحدث بصوت هادىء نابع من قلبه.

أنا عارف إن فكرتك عني سيئة لكن أنا.. إنت...

صمت عمر لحظه ثم استأنف حديثه.

إنت قلبتي كل حياتي، وأنا...

تلعثم عمر في الكلام، فردت عليه ياسمينا مبتسمة.

مابلاش قلبتي كل حياتي بعدها بتحصل حاجات وحشة، وزعل.

ابتسم لها عمر.

أنا عمري ما أزعل منك، لكن أنا زعلتك، عذري الوحيد إن ثورتي كشفت عن اللي في قلبي...

قطع حديث عمر رنين هاتف ياسمينا، فاستطاعت أخيرا أن تفلت من حصار عيني عمر. كان المتحدث هو نادر. غضب عمر من جرأة نادر في أن يتحدث في هذا الوقت المتأخر، كما أنه أدرك من الحديث عمق العلاقة بين ياسمينا، ونادر الذي كان يحدثها عن والدته التي أصيبت بالدوار، وكانت ياسمينا ترد عليه ضاحكة.

طس وشها بشوية ميه... والدتك مش مريضة، وعموما أنا فاضية يوم الجمعة نتقابل، وأمر عليها، وأشوفها..

أغلقت ياسمينا هاتفها، وهي تضحك، لكن تجمدت ملامح وجهها عندما رأت عمر، وقد تبدلت ملامح وجهه ليصبح نموذجا لإله الغضب، وقبل أن تنطق بكلمة اندفع عمر، وتحدث غاضبا.

يوم الجمعة ده يوم الطبيخ للأيتام، والعيلة... إنت نسيتي إنك عشان تغيرى على جرحي صحتينى الساعة 6 الصبح.

اندهشت ياسمينا من حدة عمر، لكنها سرعان ما أدركت نبرة الغيرة في حديثه، فردت عليه بهدوء.

المطلوب.

هدأ عمر قليلا.

سيبك من ابن الدايخة ده، وركزي في عمل الخير.

أطلقت ياسمينا ضحكة صافية، نظر عمر متأملا إياها فاختفى من وجهه كل ملامح الغضب، وشاركها الضحك، ثم صمتا، واستسلم كل منهما لأسر عيني الآخر... اقترب عمر من ياسمينا

التي شعرت بأوصالها ترتجف، فأطرقت رأسها، ونظرت إلى الأرض، وعمر يقترب منها أكثر، ويهمس في أذنها.

إنت جميلة قوي النهاردة.

شعرت ياسمينا بلهيب الخجل ينبعث من وجهها، ففرت هاربة من أمام عمر، واتجهت تعدو نحو منزلها، فوجئ عمر بما فعلته ياسمينا، فظل متجمدا في مكانه، ثم حدث نفسه.

«والله العظيم أحبك يا ياسمينتي الجميلة... أحبك يا قطتي المشاكسة، ولم أفكر مطلقا في العبث معك.»

اتجه عمر إلى شجرة الياسمين، وقطف إحدى زهراتها، وظل يشم رائحتها طوال الليل حتى نام، وهو يضع زهرة الياسمين على الوسادة بجواره... أما ياسمينا فقد ظلت ساهرة حتى الصباح تحتضن قطتها، وتحكي لها عما حدث بينها، وبين عمر، وفي النهاية اعترفت لها..

« والله العظيم أحبه... أحبه»

وأسرعت إلى البيانو تعزف لحنا أنغامه كلها حب، وسعادة... استيقظ عمر على أنغام ياسمينا، فأرسل لها رسالة من هاتفه....

«صباح الحب، والسعادة يا أجمل أنغام حياتي.»

ملأت السعادة ياسمينا، وأصبحت كالفراشة التي تطير في الهواء، ولا تسير على الأرض... رغم سعادة والديها بها لكن كان هناك شعور غامض جعلاهما يتوجسان خيفة مما حدث، ويحدث

لابنتهما من تغيير. كانت نظرات محمد لنجلاء تشي عما بهما، لكن لم يجرؤ أي منهما على أن يتحدث بما يخفيه قلبه، فظلا طوال الوقت صامتين، لكن محمد كان يتوقع حدوث شيء ما... لم يكن يعلم ما هو، لكنه كان يخشاه.

صدق حدس المهندس محمد ، فقد فوجيء، وهو في مكتبه بعمر يطرق بابه... كانت المفاجأة كبيرة ليس لأن عمر ذهب لمكتب محمد لكن لخوف محمد من أن يتحول وهمه إلى حقيقة؛ لذا كان رد فعله عجيبا فقد أصيب بالوجوم، وتجمد في مكانه... ابتسم عمر له، وتحدث معه بود زائد لم يعتده محمد من عمر، فملأ الخوف قلب محمد، وأصبح كمن ينتظر الإعلان عن كارثة هو واثق من وقوعها.

لم ينتبه عمر لما حدث لمحمد، فقد كان متوترا، ولا يفكر في شيء إلا ما جاء من أجله لذا استمر عمر في حديثه الودي مع محمد عن المصنع، والعمال، وأحوالهم، ثم تحدث في موضوعات عامة، واطمأن على أحوال محمد، وأخيرا تطرق إلى ما جاء من أجله: أنا عايز حضرتك في موضوع شخصي ممكن نتكلم هنا، ولا نروح مكان تاني.

خفق قلب محمد، فقد كان على يقين من أن الكارثة قد حلت، فلم يستطع أن ينتظرإعلانها أكثر من ذلك، فوافق على الحديث مع عمر فيما جاء من أجله... ارتبك عمر قليلا، لكنه استجمع شجاعته، وتحدث بهدوء.

عمي...

أسقط في يد محمد عندما ناداه عمر بالعم، فقد تأكد من كل شكوكه، وأصبح لا يعرف ماذا يفعل، وتمنى أن يكون نائما، ويستيقظ من هذا الكابوس، لكنها كانت الحقيقة، وأكمل عمر كلامه.

عمي أنا يشرفني طلب أيد بنتك ياسمينا..

وجم محمد، وظل صامتا بعض الوقت... وأخيرا انتبه على صوت عمر.

عمي... رأيك إيه ؟!

تنهد محمد في ألم.

ليه ؟!

اندهش عمر من رد محمد، ونظر له في تعجب، فأجابه محمد.

ليه ياسمينا ؟!... إنت، وهي مش ممكن...

انتبه عمر لحيرة محمد، وفسرها لما هو معروف عن حالة العداء بينه، وبين ياسمينا، فابتسم موضحا له الأمر.

لو كان قصدك الخلاف على موضوع البيئة، فده موضوع منتهي إحنا كده كده حانطور المصنع، لكن ما تقولش لياسمينا حاجة على اللي حا نعمله خليها مفاجأة دي حا تكون أجمل هدية لها.

استمرت حالة الوجوم تسيطر على ملامح محمد.

يابني أنا ما قصدش موضوع المصنع... أنا أقصدك إنت.

صمت محمد قليلا ثم اندفع في حديثه.

شوف يا عمر إنت غيرنا.. إحنا حانروح فين وسط رجال الأعمال، وعالمهم.

إيه يا باشمهندس إنت أولا كنت صديق والدي، ولعلمي إنتم مش فقرا، ومن أسرة غنية كمان مافيش فروق اجتماعية بيننا... اللهم إذا اعتبرت إني أقل من ياسمينا.

لا سمح الله... لكن إنت مش شايف إن أسلوب حياتك مختلف عن أسلوب حياة بنتي يابني تفتكر ياسمينا حا تكون سعيدة معاك... وعيلتك حا توافق على إن ابنها وولي عهدها يتجوز من واحدة زى ياسمينا.

تفتكر لو كنت فكرت في الجواز وبابا عايش مش وقتها ياسمينا هي اللي حا تكون المرشحة الأولى ويمكن الوحيدة، مش ده هو موقف عيلتي، ولا أنا مش برديسي.

صمت محمد قليلا.

لكن عيلتك دلوقتي هي عيلة البسيوني، وإنت بتشتغل عندهم...

بدأ الغضب يتملك عمر، واحتد نوعا ما في حديثه.

عمي، أنا بحب ياسمينا، وده كل اللي بأعرفه، لكن عيلتي، وشغلي كل ده مالوش أي تأثير على قراراتي.

احتار محمد، ولم يعرف ماذا يقول له.

لكن يابني هو إيه اللي في ياسمينا... دي بنت عادية، ومعلش يمكن الكلام اللي داير وبنسمعه فيه مبالغات، لكن إنت لك معارف، وحبايب كتير، وكلهم زي القمر.

ابتسم عمر له.

صدقني ياعمي ياسمينا أجمل واحدة شفتها في حياتي... جميلة فعلا في شكلها، وجوهرها... وأنا فعلا بحبها.... تحب أحلف لك على المصحف.

أطلق عمر ضحكة خفيفة، لكن كان لهذه الجملة وقع الصاعقة على محمد، فهذه الجملة دائما ما تقولها ياسمينا عندما تضجر من المجادلة في أمر محسوم لديها، ولم تكن في يوم من الأيام من مفردات عمر... ماذا يحدث هل حقا صدقت مخاوفه، وهناك علاقة ما بين عمر، وياسمينا؟... الألحان الحزينة التي سرعان ما تتحول إلى نغمات سعيدة.. الاضطراب الذي لا سبب له وفجأة ينقلب إلى سعادة، وانطلاق.... الاختفاء الغريب بالليل، والذي لاحظته الأم أكثر من مرة، وفي كل مرة كانت توهم نفسها بأي عذر، وتعود للنوم دون أن تثير الأمر، كل هذه الملابسات ناقشها الوالدان ليتأكدا في النهاية من أن شكوكهما نحو ياسمينا لم تكن وهما، فهي فعلا تحب.... وتحب من... تحب عمر البرديسي...

صدمت هذه الحقيقة الوالدين فهما رغم عدم تأكدهما من

عبث عمر كانا واثقين من أن حياته لا تخلو من اللهو... حقا تغير كثيرا، و أصبح هذا شيئًا ملاحظًا، لكن إلى متى سيدوم تغييره، وهل يضحيان بابنتهما لمجرد أن عمر أصبح يصلي الجمعة؟ من يدري ربما أصبحت صلاة الجمعة صيحة بين رجال الأعمال في هذه الأيام... رغم اقتناع نجلاء بهذا الرأي، فقد كاد قلبها يتمزق حزنا على ابنتهما...

دي بنتي يا محمد، وأنا عارفة إن ده أول حب في حياتها دي عمرها ما فكرت في الحب يعني البنت اتخطفت، وده بيخلي الموضوع شديد قوي.

أنا أعمل إيه أنا كمان بحب عمر قوي ده ابن صديق عمري، لكن إزاي هو وياسمينا ما ينفعش، لكن هو بيحبها أنا شفت ده في عينيه..

احتدت نجلاء.

وأنا مالي ما يحبها، ولا ما يحبهاش.

إزاي يا نجلا مادام بيحبها يبقى حايعمل المستحيل، وعمر رجل أعمال ناجح، ودي حاجة مش سهلة ده بيقدر يسيطر على السوق يبقى مش حايقدر على قلب بنتك، وهي كمان غرقانة في حبه..

ابتعلت نجلاء دموعها.

شوف يا محمد أنا مش حا أكسر قلب بنتي أبدا... وأقف في

وش سعادتها.

سعادة إيه يا نجلاء... إنت نسيتي عيلة البسيوني هي بنتك تقدر على مجاراتهم... يارب أنا عملت إيه في دنيتي...

امتلأت عيون الوالدين بالدموع، لكن ما أن عادت ياسمينا إلى المنزل أخفى الوالدان كل اضطرابهما، وظلا يتابعان ابنتهما، والسعادة تنطلق من عينيها. آثر الوالدان النوم مبكرا عن موعدهما اليومي فقد كانا يهربان من ياسمينا من جهة، ومن الحديث في أمرها مع عمر من جهة أخرى..

على مسافة بعيدة، وفي إحدى قصور المنصورية كانت شهيرة هانم تعقد اجتماعا مع حسن مسئول الأمن بالمجموعة الذي أحضر لها تقريرا مفصلا عن علاقات عمر. كان حسن يجلس أمام شهيرة، وهو يشعر بالفشل فقد كان على عكس ما كان يتمنى. كان التقرير لا يحمل إلا كل الخير عن عمر، وسلوكه الذي ينم على الاستقامة، والصلاح حتى أمر مرافقته لياسمينا كان أقرب إلى إحضار طبيبة إلى مريض أكثر من أي شيء آخر، ولا يدل على وجود أي علاقة بينهما.

رغم أن شهيرة أظهرت أمام حسن أن تقريره لا يحمل أي شيء، وأن هناك إهمالاً في عمله، فقد عرفت من التقرير ما كانت تريد معرفته، وبدأ عقلها يرسم الخطط المختلفة، ووضع كل الاحتمالات..

كانت شهيرة على يقين من أن الفتاة التي حلت مكان زينب هي بنت المهندس محمد... عاد بها الزمن للوراء لسنوات طويلة مضت، وتذكرت العلاقة العميقة التي كانت تربط بين حامد، ومحمد... كان لدى محمد بنت وقت أن كانت تذهب مع حامد إلى البدرشين... فهل هي الفتاة التي ارتبط بها عمر أم هناك واحدة أخرى؟! في جميع الأحوال، فإن فتاة عمر قد أصبحت معروفة، ومن السهل توجيه ضربات قاضية لها. ابتسمت شهيرة لنفسها ابتسامة شيطانية.

«ها قد عدنا للبدرشين.»

(١٤)

فاقت سعادة عمر كل الحدود، وتلألأت نجوم الفرح في عينيه، فانزعج كل أعدائه في المجموعة، وكان إسماعيل على رأسهم... أسرع إسماعيل إليه ليؤكد له على موعد خطبة أبنائه في الغد. كان يعتقد أن تأكيده على الخبر سيقلق عمر، لكنه فوجىء به يزداد حبورا، ويدعو لهم جميعا بالخير.

كان عمر لا يفكر إلا في الإسراع بالعودة للبيت ليرى ياسمينا... في الطريق اشترى لها بعض الهدايا، وعندما وصل إلى المنزل اتصل بها بمجرد دخوله البيت... كانت ياسمينا في حجرتها تستذكر دروسها، فلم تحاول معرفة من يتصل بها، وردت وهي مازلت تطالع كتبها.

ألو..

ياسمينا.

ما أن سمعت صوت عمر حتى أسرعت دقات قلبها، وشعرت بالسعادة الغامرة

عمر.

كان صوت عمر يعزف على إيقاع الابتسامات لحنا صافيا من السعادة.

طبعا هو ممكن يكون حد تاني... إنت بتعملي إيه ؟

بذاكر... وإنت؟

أبدا... لسه واصل البيت، وعايز أتغدى... إنت طابخة إيه ؟

ابتسمت ياسمينا خجلا.

تعرفي حتى، وإحنا بنتكلم في التليفون أنا بأشوف وشك، وإنت مكسوفة.

عمر... كفاية.

خلاص بعد الغدا أو العشا بمعنى أصح... يعني كلها نص ساعة وتبقى الساعة عاشرة وشجرة الياسمين في انتظارنا ما تتأخريش... آه بالنسبة لبابا....

قاطعته ياسمينا...

بابا، وماما ناموا من بدري....وعلى فكرة أنا مشغولة جدا، وما عنديش وقت... شوف بعد نص ساعة حا أكون عندك، ومش حا نقعد كتير..

لم يعقب عمر على كلامها... لتقل ما تريد، لكنه سيفعل ما يريده هو، وهو لا يريد سوى البقاء معها ليس أطول وقت ممكن فحسب بل البقاء معها الوقت كله..

انتظر عمر ياسمينا في مكانهما المعتاد. جاءت ياسمينا، وهي

ترتدي ثوبا للمساء وردي اللون، وشعرها منسدل على كتفيها يتطاير مع نسمات الهواء الباردة، وقد وضعت المساحيق على وجهها، وكأنها ستذهب إلى احتفال خاص..

انعكست كل أضواء المكان على وجه ياسمينا ذي البشرة الوردية كلون ثوبها، فأشع وجهها بريقا أخذ عمر بعيدا، فظل واقفا في مكانه، وكأنه مسحور من تلك الجنية المتجهة نحوه.

أفاق عمر من سحر جنيته، وياسمينا تلقي عليه تحية المساء... اعتبر عمر وجهها المتلألئ بالفرح هو ردها على طلب الخطبة، فتهلل فرحا، وضمها إلى صدره، ودموع الفرح تختلط مع ابتسامات السعادة لتلون صوته بنغمات مختلفة..

حبيبتي... حبيبتي... كنت واثقًا إن ده حا يكون ردك... بحبك... بحبك.

اندهشت ياسمينا مما فعله، وقاله عمر لكنها لم تستطع غير أن تسايره فيما يفعله، فقد خارت كل قواها أمام دفء مشاعره، وكلمات الحب التي حاصرها بها..

ظلت ذراعا عمر تطوقان ياسمينا، ثم وضع يديه على خصرها جاعلا وجهه في مواجهة وجهها، ونظرات عينيه الثاقبتين يقتحمنها ليلقين عليها تعويذة الحب الساحرة، فلا تستطع فعل أي شيء غير الغرق في بحر عينيه.

داعبت نسمات الهواء خصلات شعر ياسمينا فتطايرت على

وجهها، فأسرع عمر بازاحتها عن وجهها. لمست يد عمر وجه ياسمينا، فأفاقت من تعويذة سحره، وتساءلت بصوت خافت.

عمر... ده ردي على إيه ؟!

اندهش عمر، وابتعد عن ياسمينا قليلا.

على الخطوبة... أنا طلبت إيدك من بابا النهاردة.

شعرت ياسمينا بشلال من السعادة يجرفها، فقفزت فرحا، وكادت أن تعانق عمر، لكنها ترددت، فرفع عمر عنها الحرج، وأخذها بين أحضانه، وهو يهمس في أذنها

بحبك من أول يوم شفتك فيه....

تجمدت ياسمينا في مكانها لحظات، ثم شعرت بنيران الخجل تغزوها من كل اتجاه فحاولت الفرار، والتواري وراء ستار واهن ليحميها من فيضان مشاعر عمر، فتركت أحضانه، وهي تنظر إلى الأرض، وتتحدث بصوت خافت نوعا ما به بعض العتاب .

أول يوم إيه.... إنت شتمتني..

نظر لها عمر، والابتسامة تملأ وجهه.

تعرفي في الليلة دي فضلت أفكر فيك طول الوقت.

نظرت له ياسمينا غير مصدقة، وعاتبته كالأطفال.

يا سلام..والله.... ولا بلاش...

والله فضلت أفكر في كل كلمة قلتيها، وفي عفويتك، وفي شكلك، وفي لبسك، في كل حاجة.

احتدت ياسمينا عليه.

عمر إنت كان معاك... يووه... أنا آسفة، لكن ما تضحكش عليا...

نظر لها عمر بحنان، وأخذها من يدها ليجلسا معًا على الأريكة، قطف لها زهرة ياسمين،وقبلها، ثم قدمها لها.

ليلتها، والمرة اللي بعدها كمان حصل لى حاجات غريبة... كنت عايز أفتكرها غريبة لكن الحقيقة كانت نظرات عينيكي هي اللي سحرتني... لا... هي اللي طهرتني، حاولت أنكر، لكن ما فيش فايدة.

شوف المرة اللي بعدها شفت الفزع في عينيك لما شوفتني، وأنا بأرميك بنظرات الغضب، والعنف.

قاطعها عمر.

وليلتها فضلت سرحان فيكي، وفي كلامك أفتكره وأضحك، وحصلت خناقة بسبب كده، وزعل حاولت أصلحه المرة اللي بعدها لكن عينيكي أعمل فيها إيه ؟!

لف عمر ذراعه حول كتفي ياسمينا، وضمها إلى صدره..

عارفة...أنا عمري ما فكرت إني ممكن أقع في الحب لكن ما أعرفش إزاي لقيت نفسي غرقان في حبك... حبيت كل حاجة فيكي حتى نظرات الغضب، والعنف حبتها... حبتها ياقطتي المشاكسة لكن..

انتبه عمر فجأة، واعتدل في جلسته..

بابا ماكلمكيش عن جوازنا ليه ؟!

ابتسمت له ياسمينا بعينين متلألئتين بمكر الأطفال، وهبت واقفة كأنها تقفز من أمامه، فتبعها عمر ووقف في مواجهتها.

مش لازم في الأول يكون بينا معاهدة سلام، ولاإنت فاكر إني حا أسيب موضوع المصنع، والله أبدا حا أفضل وراك حتى يتحقق النصر، ويتعدل حال المصنع.

اقترب عمر منها، ووضع يديه على وجنتيها.

بحبك.

اقترب عمر أكثر، ولثم شفتيها، وقبلها بحب، وحنان، وكأنه يترجم كل حرف من اعترافه بمشاعره تجاهها، وبادلته ياسمينا نفس حروف الاعتراف.

اشتدت برودة الجو، وبدأت الرياح تزداد سرعتها، وكأنها تريد أن تنقل للكون كله اعتراف المحبين... أحست ياسمينا بهمس الرياح،فأرتجفت أوصالها من الخجل، وهمست لعمر.

لازم أروح البيت دلوقتي.

رد عمر عليها هامسا، وهامته تلاصق هامتها.

إنت مستعجلة ليه... وراكي حاجة مهمة ؟!

أبدا...

ظلت ياسمينا في مكانها تتقاذفها أحاسيس متداخلة من فرح،

واضطراب، وخجل... كانت تريد البقاء، وفي نفس الوقت تبحث عن أي حجة للفرار، فقلبها لم يكن قادرا على تحمل شلالات الحب، السعادة التي يغمرها عمر بها، فابتعدت عنه قليلا أو هكذا توهمت..

لكن... آه... النهاردة حفلة كاظم الساهر.

أخيرا وجدت ياسمينا حجة مقنعة أو غير مقنعة، المهم أنها وجدت حجة للفرار من حصار عمر حتى يأخذ قلبها هدنة بسيطة... اصطنعت ياسمينا التلقائية في الحديث رغم أن دقات قلبها المتزايدة، والمضطربة كان لها رأي آخر..

ما أنا مستعدة للحفلة... شفت لابسة إزاي، وكمان عاملة شعري... أصل أنا بحب كاظم بجنون، وحفلته لها طقوس خاصة عندي.

تجمدت ملامح عمر، وتلونت نبرات صوته بالحدة.

ياسمينا إنت بتحبيني أنا... أنا وبس... ممكن يعجبك بعض الأغاني لمطرب، وياريت المرة اللي جاية تبقى مطربة، لكن إنت لابسة كده عشاني أنا...

وبعيون كلها شقاوة الأطفال، وعنادهم.

لا... عشان كاظم.. ما أنا دايما بقابلك بالجلابية... إيه الجديد؟؟!

أطلق عمر ضحكة صافية، وطوق ياسمينا بذراعيه.

تعرفي أنا بحب جدا جلابيتك الزرقا... دي الجلابية اللي كنت لابساها وقت ما أنقذتيني... عارفة لو كنت حطيتي شال على كتفيك كان الوضع اختلف..

رفعت ياسمينا رأسها، ونظرت إليه، وكأنها قطة مشاكسة تنظر إلى صاحبها

ليه؟!

يعني كان دل على إنك فكرتي، ولو لحظة لكن إنت جريتي من غير أي تفكير.. يعني قلبك هو اللي حركك يا طبيبة القلوب.

تبادل عمر، وياسمينا الضحكات، ثم ساد الصمت، لكن ياسمينا لم تستطع الفرار من بين ذراعي عمر... أحس عمر بقلبها، وهو يخفق مضطربا، وشعر بأوصالها ترتجف بين يديه، فأدرك مشاعرها المتداخلة، فتركها لتفر من بين ضلوعه التي احتوتها، وتسرع لمشاهدة حفل كاظم الساهر.

تابعت ياسمينا الحفل، وهي تذوب مع ألحان كاظم الساهر التي كانت تشعر بإنها قد وضعت من أجلها لتصف حالة حبها هي، وعمر، فعانقت وسادتها، وأغمضت عينيها سابحة في بحار خيالها... أما عمر فقد شعر بالغيرة من هذا المطرب الذي شاركه في الاحتفال بخطبته، فأسرع لمتابعة حفله ليكيل له اللعنات، وهو يتخيل هيام ياسمينا في ألحانه العذبة.

استيقظت ياسمينا على رسالة على هاتفها... كانت الرسالة

من عمر..

« أحبك»

وبعد أقل من ساعة، وياسمينا تستعد لمغادرة المنزل حمل لها هاتفها رسالة أخرى.

«لقد أهديت لشجرة الياسمين الرقة، والجمال، والرائحة العطرة، وهي تريد أن ترد لك جزءا من هديتك لها.»

أسرعت ياسمينا إلى شجرة الياسمين، فوجدت لفافة تحمل ألوانا زاهية معلقة في الشجرة، فأخذتها، وفتحت الهدية لتجدها مجموعة من « السي.. دي» لأغلب الأغاني، والألحان التي كانت تعزفها ياسمينا منذ أن التقت بعمر.. تحولت دقات قلب ياسمينا إلى لحن جميل يتردد طوال الوقت، ويسمعه عمر رغم المسافة التي تفصل بينهما.

ذهب عمر منذ الصباح الباكر إلى المجموعة، ولم يمر كعادته على المصنع، فقد كان عليه أن ينهي ما عليه من أعمال هناك سريعا، ففي المساء هناك حفل خطوبة أبناء الخال إسماعيل... غرق عمر في العمل المتواصل، وكان هذا هو حال ياسمينا هي الأخرى.

كان عمر ينتهز أي فرصة للاتصال بياسمينا... لايهمه مدة المكالمة يكفي أن يسمع صوتها، وهي تجيبه في عجلة، وبأسلوب رسمي نوعا ما فيسرع بإنهاء المكالمة حتى لا يشغلها عما هي فيه.

بعد أن انتصف النهار وجدت ياسمينا لديها الوقت الكافي للتحدث مع عمر... كان عمر يجلس وقتها مع إسماعيل الذي كان يرسم له الخطة التي عليهم السير عليها في حفل الخطوبة لتحقيق الاستفادة القصوى من وجود الشخصيات الكبرى في الحفل خاصة حسين شوكت.

كان عمر يحاول جاهدا أن يخفي ضحكاته التي يثيرها كلام خاله، وخططه العجيبة، فحاول تنبيهه إلى ضيق الوقت، لكن إسماعيل ظل يكرر ما سبق أن قاله، ويؤكد على أهمية الالتزام بكل نقطة من خطته... أنقذ عمر اتصال ياسمينا الذي أسرع بالرد عليها، موضحا لخاله أنها مكالمة خاصة، واستأذن منه، فغادر إسماعيل مكتب عمر...أسرع عمر بالحديث إلى ياسمينا

ألو.. ياسمينا يا ملاكي المنقذ... شكرا على اتصالك أنقذتيني من خطط خالي العجيبة.

ردت عليه ياسمينا، وصوتها تملؤه ابتسامات الفرح.

شكرا على الهدية.

تصنع عمر البلاهة.

هدية إيه ؟!... آه، وأنا مالي دي شجرة الياسمين هي اللي جابتها لك عشان ترد شوية من فضلك عليها... إنت نسيتي إنها خدت منك كل الصفات الجميلة اللي خلت الناس تعشقها مع إنهم المفروض يعشقوكي إنت... لكن أحسن.. بدل ما كنت

أتجنن من الغيرة.

امتزجت نبرات صوت ياسمينا الفرحة ببعض الخجل.

عمر.. أنا... أنا..

لم تستطع ياسمينا استكمال كلامها، فأكمله عمر نيابة عنها، وهو يطلق ضحكة صافية.

بتتكسفي من كلامي.

توقف عمر عن الضحك، وتحدث بصوت رخيم.

ياسمينا وحشتيني.

لم تجبه ياسمينا، فقد كانت واقعة تحت تأثير سحر كلماته، وكأنها مخدرة. استمر عمر يتحدث بصوته الرخيم الهادىء :

الحقيقة ما وحشتنيش... أصل أنا ما بتحركش إلا وإنت معايا دايما شايف صورتك... صوتك في عقلي لكن قلبي إنت أدرى باللي فيه.

ظلت ياسمينا صامتة.... فانتهز عمر الفرصة لمناغشتها.

ياسمينا إنت نمتي ؟!

عاد عمر لضحكاته، فانتبهت ياسمينا، وتلعثمت بعض الشيء.

لا... آه... عمر... هو أنا ممكن أعرف أرد عليك.

إنت مش بتردي عليا وبس إنتِ بتبهدليني كمان.

ياسلام يعني إنت اللي ما بتتريقش عليا.

بحبك.

شعرت ياسمينا بالخجل الشديد الذي وارته باصطناع الحدة في الحديث.

عمر والله حا أنهي المكالمة...أنا في الشغل...وإنت...

قاطعها عمر.

خلاص ياستي عارف إنك في الشغل... المهم النهاردة حفل خطوبة أنجال خالي التلاتة، وعاملها في بيته تيجي معايا أعرفك على العيلة، ونعلن خطوبتنا يعني بالمرة نوفر في تمن حفلة الخطوبة.... كمان أنا واثق إن الأكل اللي في الحفلة يكفي قبيلة غير المعازيم، وأطباق كاملة ما حدش حا يبص لها نبقى ناخدها بدل ما تتعبي نفسك في الطبيخ بكرة... متفقين.

ردت عليه ياسمينا ضاحكة، ولم توافق على الذهاب معه لحفل الخطبة، فوالدها لم يخبرها بعد بأمر طلب عمر يدها؛ لذا ليس من اللائق أن تظهر علمها بالأمر. أذعن عمر لرأي ياسمينا، وأنهى مكالمته معها، وهو يردد كلمات الحب لها... أشعلت كلماته وجه ياسمينا خجلا فلاحظت زميلاتها ما ألم بها، وحاولن حملها على الاعتراف، لكنها تهربت منهن، وعادت مسرعة إلى منزلها، فقد كانت واثقة من أن هاتفها لن يهدأ في هذا اليوم.

ظل عمر يتصل بياسمينا مع كل خطوة يفعلها، وهو يستعد للحفل يستشيرها في ألوان ملابسه، وفي نوع العطر الذي يضعه،

وفي أفضل موعد للذهاب للحفل... كانت معه طوال الوقت حتى دلف إلى حديقة فيللا خاله حيث الأضواء الباهرة التي حولت ظلام الليل إلى وضح النهار...

كان الاحتفال يفوق كل حدود الوصف، فقد اجتهد إسماعيل في جعل الحفل، وكأنه خرج من كتاب الأساطير... كان البذخ هو المرادف لكل مفردات الحفل... الحديقة كلها تم تزيينها، وأعد ديكورها خبير ديكور عالمي.... الموائد، والمقاعد تم تزيينها بقماش من الستان الخالص، واختير لها تصميمات خاصة... طقم الخدمة كان من أرقى الفنادق... المشروبات الحلال، والحرام تتنقل بلا انقطاع بين الموائد، وكأن من يحملونها يقدمون فاصلا استعراضيا يتبادلون فيه الخطوات مع حاملي صواني المقبلات.

أما الحضور فكانوا يتبارون فيما بينهم في صيحات الملابس التي كانت تمثل كل بيوت الأزياء العالمية، واختصت النساء بالمجوهرات من كافة الأشكال، والألوان... ولم لا؟ فأغلب أثرياء مصر حضروا هذا الاحتفال المهيب الذي لم يكن حفل خطبة واحد لثلاثة أبناء، بل كان حفل خطبة مضاعفًا ثلاث مرات..

استعان إسماعيل بمخرج محترف لإخراج الحفل ليحدد وقت ظهور كل خطيبين، والفقرات التي ستقدم، وطرق تقديمها ، وكأن الأمر عرض مسرحي أقرب من كونه حفل خطبة.

لم ينبهر عمر بأي شيء في الحفل بل كان يضحك ساخرا بين الحين، والآخر على ما يحدث، وكثيرًا ما كان يتحجج

ليدلف إلى الفيللا حتى يتمكن من الاتصال بياسمينا ليحكي لها عن كل صغيرة، وكبيرة في الحفل... لم تفارق الابتسامة وجه ياسمينا، وهي تشارك عمر الحفل عبر الهاتف، وشعرت، كأنها معه بالفعل... كانت تشعر بنظرات عيني عمر تحاصرها من كل جانب... لقد كانت تعانقها هذه المرة... كان عمر هو الآخر يشعر بياسمينا معه يحس بها، وكأنها واقفة بجواره يشم عبيرها من حوله... يشعر برجفة أوصالها، وهي بين يديه، وكأنه يعانقها لا يحدثها في الهاتف بين الحين، والآخر.

لم يهتم أحد باختفاء عمر المتكرر، لكن والدته التي كانت تراقبه عن كثب لاحظت ما يفعله، فأسرعت بتنبيهه بضرورة ألا يختفي من الحفل، وإن عليه الجلوس على مائدة حسين شوكت، والترحيب به، وبخطيبته. لم يرغب عمر مطلقا في الجلوس بجوار علا رأفت، لكنه لم يستطع سوى الإذعان خاصة أن خاله كان يلح عليه هو الآخر.

لم تظهر علا أي ضيق، أو خوف من جلوس عمر على مائدتها هي، وخطيبها، وعلى العكس كانت نظرات عينيها تشي بأنها تتملكها مشاعر الانتصار، وكأنها تعتقد أن عمر قد أذعن أخيرا لطلبها... شعر عمر بالضيق من هذا الوضع فاستأذن، وترك تلك المائدة البغيضة، وأسرع بالاتصال بياسمينا... كان الوقت قد تأخر، وداعب النعاس عيون ياسمينا...

ألو ياسمينتي.

ردت عليه ياسمينا بصوت يغلفه النعاس.

عمر... هي الخطوبة دي مش حا تنتهي.

لا... لسه بدري.

آه... يعني حا أفضل صاحية.

إيه يا ياسمينتي إنت مش عايزة تكلميني.

ردت عليه، وهي تتثاءب.

عمر هو فيه حاجة في الحفلة ما قلتهاش لي.

كان عمر يشعر بضيق خفي لا يعرف أسبابه، ولذا كان يريد أن يبقى مع ياسمينا أكبر وقت ممكن.

ياسمينا أنا بأفكر أعلن خطوبتنا دلوقتي و...

قاطعته ياسمينا..

لا... مش معقولة... الأول نشوف بابا... ده لسه ما كلمنيش في الموضوع..

لم ينه عمر مكالمته لياسمينا بل استمر يتحدث معها في أشياء ليست ذات أهمية، ويحكي لها، ويزيد عما يراه في الحفل، لكنه لم يستطع أن يحدثها عن وجود علا رأفت، وحسين شوكت..

كان صوت عمر هادئا نابعا من قلبه حتى أن ياسمينا كانت تغفو، وهو يحدثها...انتبه عمر لذلك، فتركها ليعود إلى الحفل.

كانت الفرقة الموسيقية تعزف أنغاما هادئة عذبة، وقام أغلب الحاضرين للرقص، لكن عمر لم يكن لديه أي رغبة في المشاركة

في الرقص، فياسمينته ليست معه، فمع من يمكن أن يتمايل على أنغام الموسيقى ليتخيلها بجواره الآن... لا..لا إنها معه بالفعل... هي بين يديه كفراشة تحلق في السماء، وقبل أن يأخذه الخيال بعيدا أفاق على صوت أمه التي دعته لمشاركتها في الرقص... حاول الاعتذار في البداية، لكنها أصرت على طلبها...

تفحصت شهيرة ابنها بنظراتها الحادة، ثم فاجأته بأنها تريد أن يذهب معها بعد الحفل إلى منزلها، وعللت ذلك بأن عضو الشركة الأجنبية المسئول عن تنفيذ مشروع سلسلة الفنادق تحدث معها، واتفقا على مقابلة الشخصية السياسية الشريكة في المشروع، واستطاعت شهيرة تحديد موعد اللقاء في شرم الشيخ يوم الجمعة...

يادوب نخلص الحفلة، ونروح نستريح شوية، وبعدين نطلع على المطار على طول.

تعجب عمر من اتفاقات والدته، وترتيباتها الغريبة.

إيه هو فيه شغل من ورا ضهري، ولا إيه يا شهيرة هانم ؟

لم يكن الاتفاقات السرية التي قامت بها شهيرة هي ما تعني عمر، لكن كان ما يعنيه هو المدة التي سيغيب فيها عن ياسمينا، وفي نفس الوقت لم يستطع أن يرفض المشاركة في اجتماع شرم الشيخ أو التحجج بأي شيء أو حتى يجد أي عذر للذهاب للبدرشين، ولو لفترة قصيرة قبل أن يذهب لشرم الشيخ.... تحولت الابتسامة

التي كانت تعلو وجهه إلى حالة من الوجوم لم تكن خافية على والدته فهي التي خططت لكل شيء... وبسرعة خاطفة وجد والدته توجهه في الرقص نحو كريم الذي كان يرقص مع خطيبته سها سعد، وفجأة طلبت شهيرة من كريم أن يرقص معها، وتبادلت هي، وسها الأماكن.

وجد عمر سها بين يديه، ولم يعرف ماذا يفعل، فقد كان عمر في فترة سابقة على علاقة بسها، واستمرت علاقتهما فترة طويلة نسبيا بالنسبة للفترات التي كانت تستغرقها علاقاته القصيرة دائما، وكم حاولت سها الزواج من عمر حتى، ولو كان زواجا عرفيا، لكن هذه الفكرة لم تكن مطروحة لديه، والغريب أن سها بعد أن انتهت علاقتها بعمر طرحت شباكها حول كريم ابن خاله، والمرشح لمنافسته.

شعر عمر بالتوتر، وهو يرقص مع سها، وكأن الأيام الخوالي جبل يجثم على صدره. كان سعيدا أنه لم يعد يتذكر شيئا عنها، كما أنه كان لايريد أن يتذكر أي شيء فعله في تلك الأيام، لكن ها هي سها بين يديه، ويرقصان معا... انتبهت سها لملامح عمر التي يرسم الضيق خطوطها، فابتعدت به قليلا عن تجمعات الراقصين، وحدثته بصوت منخفض.

ياريت ننسى كل اللي كان بيننا.

وببرود شديد رد عمر عليها.

ما فيش ورقة طوتها، وافتكرت كان فيها إيه.

ابتسم لها عمر بتكلف، وتركها ليسرع إلى الداخل، ويتصل بياسمينا التي كانت غارقة في النوم فقد قاربت الشمس على الشروق... لم تجب ياسمينا على هاتف عمر أول الأمر لكنه ظل يتصل بها حتى ردت عليه في النهاية... تحدثت كالأطفال عندما يستيقظون بعد عناء للذهاب إلى المدرسة في الصباح الباكر دون أن يكونوا قد نالوا قسطا كافيا من النوم.

عمر، أنا نايمة.

ضحك عمر ضحكة حانية، وكأنه يداعب طفلة صغيرة.

ياسمينا.. أنا...أنا.

تلعثم عمر بعض الشيء، فقد كان يشعر بصدره يكاد أن ينفجر من شدة الضيق، والألم. أحست ياسمينا بما يشعر عمر به، فأفاقت من نومها، وجلست على السرير تترقب ما سيخبرها عمر به، لم تستطع الانتظار، فاندفعت مستفسرة.

عمر فيه حاجة ؟!

رغم أن عمر كان في أشد الحاجة لياسمينا فهي الوحيدة التي يرمي على كتفيها دائما بكل الأحمال التي يضيق صدره بها، فلم يستطع أن يحدثها في أي شيء... ماذا يقول لها... هي نائمة، فكيف يزعجها بمثل هذه الدرجة ؟!!

ياسمينا... بحبك.... بحبك.

ضحكت ياسمينا برقة، وودعها عمر، وتركها لتنام، لكنها لم تستطع استئناف نومها، وظلت جالسة على السرير تفكر في عمر، وكل ما قاله لها ... لحظات، واستيقظت جوليا، وجاءت ترقد بجوارها، ربطت ياسمينا على ظهرها، وأخبرتها بكل ما قاله عمر لها... كانت ياسمينا تملؤها كل المشاعر الجميلة من فرح، وإشراقة، وأمل، وخجل، و....و... وكأنها ملكت الدنيا كلها، ولم لا..أليس حبها هي، وعمر أكبر من الدنيا كلها، وكل ما فيها؟؟!!

نظرت ياسمينا لجوليا، وهمست لها :

« آه يا جوليا... أيمكن أن يتحمل قلبي كل هذا الحب ؟!... آه يا قلبي كم أشفق عليك من فيض مشاعر عمر... آه يا قلبي وكم أحبك لأنك أصبحت ملكا لعمر هو... هو وحده، ولا أحد غيره.»

(١٥)

حاصرت شهيرة عمر طوال الوقت، فلم يستطع الاتصال بياسمينا، وهو بمفرده لذا تحدث لها بصورة رسمية أمام والدته، وأخبرها بصورة مقتضبة عن سفره المفاجيء. رغم أن شهيرة كانت متأكدة من أنه يحدث ياسمينا، فقد أظهرت أنها لم تلاحظ حتى أنه أجرى مكالمة تليفونية فقد كانت لا تريد أن تتحدث معه في أي موضوع يمكن أن يمهد الطريق للحديث عن ياسمينا بأي شكل من الأشكال...

أدخلت شهيرة عمر في دوامة من المشاكل الخاصة بالعمل، والمخاوف حول مستقبله لم يستطع عمر الخروج من هذه الدوامة إلا على موعد السفر.

قبل أن تتحرك السيارة في طريقها للمطار أدعت شهيرة التعب من جراء الليلة السابقة، ودعت ابنها علي بأن يذهب بدلا منها مع أخيه عمر... رحب عمر جدا بمصاحبة علي، فقد كان بالنسبة له أفضل بكثير من شهيرة، وصحبتها، فرغم فارق السن بينهما، فعمر دائما ما يعتبر عليًّا رفيقًا محببًا لقلبه خاصة في الرحلات، وكان هذا هو حال عليّ الذي رحب بالسفر مع أخيه.

ابتسمت شهيرة ابتسامة شيطانية، وهي تودع ابنيها، فقد مرت المرحلة الأولى من الخطة كما رسمتها، وبقيت المرحلة الثانية التي أعدت لها جيدا، ولم يبق أمامها سوى التنفيذ.

كان مصطفى قد أحضر لها مظروفا يضم بعض الصور للحفل حرصت شهيرة على التقاطها. أخذت شهيرة الصور، وأحضرت سيارتها، واتجهت مباشرة إلى البدرشين. كانت شهيرة تضبط الوقت بحيث يكون موعد وصولها لقصر ابنها يتفق مع موعد ركوبه الطائرة، وبذلك يكون الاتصال مقطوعا بين عمر، وبين ياسمينا، وحتى بعد هبوط الطائرة سيتجه عمر مباشرة إلى الاجتماع المطول مع الشركاء، ووقتها سيغلق هاتفه، وهذه الفترة من الاتصال المقطوع بين الحبيبين كافية لتنفذ شهيرة خطتها كاملة.

ظلت شهيرة في سيارتها حتى موعد إقلاع الطائرة، ثم طرقت على بوابة قصر ابنها، وعندما ظهر لها عم كامل تهللت فرحا مدعية سعادتها برؤيته، وسألته عن ابنها، وعندما أخبرها عن عدم وجوده تصنعت الضيق، وخيبة الأمل، وادعت أنها تحاول الاتصال بابنها،ولا تجده، ثم سألته عن المهندس محمد، وأسرته، وهل مازالوا يقطنون في الفيللا المجاورة، ثم تصنعت الفرحة المبالغة عندما علمت بأنهم يعيشون حتى الآن في الفيللا المجاورة، فأسرعت تطرق بابهم...

لم تتعرف نجلاء في باديء الأمر على شهيرة، فعاتبتها شهيرة وهي تذكرها بنفسها... رحبت نجلاء بشهيرة، وتذكرا معًا الأيام

الماضية، وقت أن كانت شهيرة تأتي كثيرا للبدرشين، لكن وقتها لم تكن تقابل نجلاء كثيرا فلم يكن الود بينهما موصولا بدرجة كبيرة... كانتا فقط تلتقيان في المناسبات خاصة أن حامد كان يحرص على دعوة صديقه محمد وأسرته ليحتفلوا معا في كل المناسبات... كانت تحرص شهيرة وقتها على مراعاة مشاعر زوجها خاصة بالنسبة للطريقة التي تعامل بها معارفه، وأصدقاءه، لكن سرعان ما تفاقمت الخلافات بينها، وبين زوجها، فكفت شهيرة عن الذهاب للبدرشين حتى وقع الانفصال أخيرا..ومنذ تلك الفترة لم تحضر شهيرة للبدرشين حتى بعد أن ورث ابنها كل أملاك والده، هناك لم تفكر شهيرة في أن تطأ قدماها المكان، ولم تحاول أن تسأل عن أهل المكان، ولو مرة واحدة لذا فقد اختلفت ردود الأفعال حول زيارة شهيرة، ففي الوقت الذي لم يرتح محمد لهذه الزائرة، وحياها ببرود..كادت ياسمينا تطير من الفرح، فقد أعتقدت أن عمر تحدث بشأنها مع والدته، وهي قد جاءت لخطبتها.

استعدت ياسمينا عظيم الاستعداد لمقابلة شهيرة، واتصلت بأختها داليا لتزف لها الأخبار، لم تكن داليا تعرف شيئا عن الموضوع لذا لم تتمكن ياسمينا من شرح التفاصيل لها، واكتفت بالخطوط العريضة، وتركتها تنتظر على أحر من الجمر لتعرف التطورات... تجمعت النساء الثلاث في حجرة الجلوس، ووسط حفاوة الاستقبال تفحصت شهيرة ياسمينا جيدا مما أزعج والدتها،

فانتبهت لما تفعله، وأظهرت إعجابها المتزايد بياسمينا، وجمالها، ورقتها، وحتى دراستها التي اعتبرتها مكسبا لهم جميعا في مثل هذا العمر...وتعجبت من أنها لا تعرف شيئا عنها حتى ذلك الوقت،فقد ولدت ياسمينا بعد انقطاعها عن البدرشين، فتنهدت تلعن الأيام التي فرقت بينهم، ثم تطرقت للحديث عن أحوال أسرتها تحدثت عن أختها، وأخيها، وعن زوجها مصطفى، وابنها علي... كانت تتحدث بود مبالغ فيه فانخدعت نجلاء، وياسمينا، وتحدثتا معها بطلاقة، وكأنها صديقة قديمة، وأخيرا تطرق الحديث لعمر الذي بدأته بالشكوى من عدم زواجه حتى الآن، وإنها تبحث له دائما عن الزوجة المناسبة...

لكن المشكلة مين اللي تنفع عمر... ولا مين اللي تدخل دماغه، وتناسبه، وتناسب عيلتنا.

ثم تحدثت مباشرة عن خطبة أبناء أخيها الثلاثة. كانت تتحدث عن مظاهر المغالاة في الحفل باستعراض زائد عن الحد، وتربط كل شيء فيه تبذير بأسلوب حياتهم، وتعتبره شيئًا أساسيًا... شعرت نجلاء بأن شهيرة تود أن تفهمها رسالة فحواها أن ابنها من عائلة شديدة الثراء، ومستواهم لا يمكن أن تصل إليه ياسمينا، لكن ياسمينا لم تهتم بكل ما قالته شهيرة، فتفاصيل الحفل الأسطوري تعرفها جيدا، فلم تعر شهيرة أي اهتمام.

واصلت شهيرة حديث التباهي بكل شيء... وأي شيء تذكره تذكر ثمنه المقدر دائما بآلاف الجنيهات... حاولت نجلاء تغيير

مجرى الحديث، والكلام في موضوعات عامة، فوجدتها شهيرة فرصة للتباهي بمعارفهم من نجوم المجتمع الذين يتمنون تلبية أي رجاء لهم.

شوفي يا ياسمينا إنت زي بنتي لو عايزة أي حاجة في الدراسة أنا أوصي عليكي كل دكاترة القصر العيني أصحابنا.

ابتسمت ياسمينا ببلاهة، وهمت بمغادرة المكان، لكن شهيرة ما كانت تتركها تذهب دون أن تقدم لها الهدية التي أعدتها لها..

زعمت شهيرة أنها لا تعرف مكان ابنها، ولا تستطيع الوصول إليه عبر الهاتف، وهي ستسافر في رحلة طويلة، وقد جاءت لتحضر له صوره في حفل خطبة أبناء خاله، وزادت في ادعاءاتها بأن تلك الصور مهمة جدا لعمر، وهو قد ألح في طلبها..

أنا حتى مش عارفة هي مهمة كده ليه ؟!

أخرجت شهيرة مجموعة الصور من المظروف، وعرضتها على ياسمينا، ونجلاء، وطلبت منهما توصيل الصور لعمر فور مجيئه. غادرت شهيرة البدرشين بعد أن أنهت مهمتها كما تريد لها فقد قدمت لياسمينا مجموعة صور لعمر قد رتبتها باتقان تضم صوره وهو يجلس على مائدة حسين شوكت، وعلا رأفت ترمقه بنظراتها الشرسة، وهو يضحك معهما أو هكذا أظهرت الصورة، كما ظهر عمر في صور وهو يرقص مع سها سعد، وصور له مع العديد من الشخصيات السياسية، والاقتصادية المشهورة بالفساد...

أمسكت ياسمينا بالصور، وظلت تطالعها، وهي تتذكر اتصالات عمر بها، وحديثه معها طوال الحفل.

« أكان يردد لي كلمات الحب ويذهب ليجلس مع من تغويه للسقوط في مستنقع الفساد المركب؟!... هل أذعن لها في النهاية؟!... أم تراه أذعن لأخرى علها تهدده بمسدس، وليس بخنجر ؟!.... أم أنه مذعن في الحقيقة لحلقة الفساد التي لا يعرف غيرها ؟!»

صرخ قلب ياسمينا من الغضب، وتحجرت الدموع في مقلتيها، فأسرعت باللجوء إلى حجرتها لتدفن آلامها في وسادتها..

ظل هاتف ياسمينا يرن مرة داليا، ومرات عمر لكنها لم تستطع الرد. شعر عمر بالقلق الشديد فواصل الاتصال فقد كان قد أنهى لتوه الاجتماع، وكان في أشد الحاجة لسماع صوت ياسمينا... كان لديه غصة ما من تلك الصفقة التي يقوم بها، فلماذا يجعل من نفسه واجهة خفية لسياسي فاسد؟! لكن ما العمل؟ هذا هو حال «البيزنس» وإلا ستذهب الصفقة لشخص آخر فهو إذن لايفعل إلا المفروض أن يفعله، ولا يظلم أحدًا. رغم محاولة عمر إقناع نفسه بكل هذه التبريرات فقد شعر بأنفاسه تختنق في صدره، وأراد استنشاق هواء نقي، فلم يجد غير هاتفه يتصل بياسمينا لتهب عليه الريح الطيبة، لكن ياسمينا لا تجيبه... كم هو في أشد الحاجة لسماع صوتها.

لاحظ أخوه توتره، وعلق على ذلك ملمحا بأن هناك قصة ما

يعيشها عمر، فقد كان علي كالآخرين على يقين بأن لدى عمر العديد من العلاقات، لكن لا أحد يعرف عنها شيئا... تعجب علي عندما وجد عمر يحدثه بجدية عن تلك القصة.

تحب تعرف التفاصيل ؟

اندهش علي مما يقوله أخوه، ونظر له ببلاهة، فمن المعروف عن عمر أنه لا يبوح بأي شيء يتعلق بحياته الشخصية، لكن هذه قصة مختلفة يريد عمر أن يعلنها للجميع، وليبدأ بأخيه.

أنا بحب، وخطبت، وجوازي قريب جدا.

تهلل وجه علي فرحا، وعانق أخاه.

كل ده، وإحنا آخر من يعلم.

الموضوع جه بسرعة، وأنا لسه مستني رد والدها عشان نحدد كل حاجة.

أكيد والدها وزير، ولا أكبر من كده يمكن ملك، وهي أميرة.

هي ملكة على عرش قلبي.

إيه الرومانسية دي.

اقترح عمر على أخيه الذهاب للتجول في السوق لشراء هدية لياسمينا، فرحب علي بالفكرة، وفى الطرق استأنف عمر اتصاله بياسمينا فقد كاد الشوق لسماع صوتها أن يقتله... أخيرا ردت عليه ياسمينا. كان صوتها واهنًا، فقد أتعب قلبها البكاء الحار. قلق عمر بشدة عندما سمع صوتها، وخاف أن يكون مكروه أصابها.

ياسمينا، خير فيه حاجة ؟!

أبدا مافيش...إنت راجع امتى؟

هدأ عمر... وحدثها مبتسما.

بكرة الصبح حا أكون عند شجرة الياسمين.. دي وحشاني قوي.

أشوفك على خير.

عاد القلق على ياسمينا يغزو قلب عمر، فنبرات صوتها لم يعتدها من قبل.

ياسمينا إنت بخير يا حبيبتي... فيه حاجة تعباكي؟... آه النهاردة كان يوم الطبيخ، وأنا تعبتك امبارح بكلامي الكتير، ما علش أسيبك تنامي، ونتقابل بكرة.

آه نتقابل بكرة.

ياسمينا... بحبك.

أسرعت ياسمينا بإغلاق الهاتف، فقد انتصر الحزن عليها، وانفجرت في بكاء حار. اقتربت جوليا منها، وأخذت تلعق دموعها..

شوفتى يا جوليا عمر... عمر إيه؟!... ممكن يكون هو كده... آه هو كده، وأنا أكتر واحدة عارفاه أنا اللي خدعت نفسي، وافتكرت إنه ساب الناس الوحشين زي ما فضل يكلمني عن الفساد المركب...آه يا جوليا ده قالي الكلام ده قبل ما يحصل أي

حاجة بينا يعني ما كنش فيه داعي للكدب... لا... لا أنا بأخدع نفسي تاني... طول الوقت فيه حاجة بينا.

عادت ياسمينا إلى بكائها الحار الذي قطعه دخول والدتها... كانت نجلاء على يقين من أن ياسمينا تعرف كل شيء عن موضوع خطبة عمر لها... كما شعرت نجلاء بكل ما تعانيه ابنتها في تلك اللحظة..

جلست نجلاء بجوار ابنتها، ووضعت رأسها على صدرها، فانفجرت ياسمينا في بكاء ثانية.

ياسمينا هو الموضوع وصل لحد كده إزاي؟!

ما عرفش يا ماما، لكن ده اللي حصل.

مش يمكن الصور دي عادية... مجاملة للناس اللي في الخطوبة، وبعدين هو عايش في وسط عادي إن الراجل يرقص مع أي واحدة... ولا يضحك معاها بالقوي... هو إنت لما اتعلمتي البيانو مش أخدتي فكرة عن الرقص برضه.

توقفت نجلاء عن الكلام، فقد أدركت أن كلامها غير مجد، فقد ظلت ياسمينا تبكي، ووالدتها تأخذها في أحضانها حتى بلغ بها الاجهاد مبلغا، فتركتها نجلاء لتنام..

وعلى العكس من ياسمينا كان حال عمر الذي كانت تحوط به السعادة من كل جانب، وهو يجوب سوق شرم الشيخ باحثا عن هدية لياسمينته، وبعد طول بحث وقع اختياره على أن يحضر

لها زجاجة رمل أوصى البائع أن يكتب على الرمل عمر، وياسمينا وسط قلب، واختار تاريخ يومين طلب كتابتهما بجوار الاسمين.

تعجب علي من هدية عمر.

إزازة رمل !! رجل الأعمال الكبير عمر البرديسي يهدى خطيبته شوية رمل!!!

أصلك لسه صغير، وكمان إنت ما تعرفش ياسمينا.

على الأقل جيب لها حاجة لها قيمة.

تعرف إيه عن الرمل، وتأثيره يابني أنا أخوك الكبير.

ده كريم مرة جاب لسها هدية خاتم ألماظ أربع قراريط.

وجم عمر عندما سمع اسم سها، وتذكر رقصته معها في اليوم السابق، فعقد العزم على إخبار ياسمينا بكل شيء، فهو لا يريد أن يخفي عنها شيئا، وهل هناك شيء في حياته لا تعرفه ياسمينا... أخذ عمر زجاجة الرمل بين أحضانه.

«آه يا ياسمينتي لو كان لي جناحان لذهبت طائرا إلى شجرتنا الآن... أنا لا أدري كيف استطعت البعاد عنك طول هذه الفترة حقا هما يومان، لكنهما بالنسبة لي سنوات طوال.»

في الصباح الباكر استعدت ياسمينا لمقابلة عمر. ذهبت إلى شجرة الياسمين حاملة مظروف الصور، وظلت تنتظر قدوم عمر.

كان عمر يسابق الزمن ليصل إلى ياسمينا حتى أنه فكر في استئجار سيارة لتنقله مباشرة من المطار إلى البدرشين مما أثار

تعليقات أخيه الساخرة... لم يفكر عمر في أي شيء سوى الإسراع في الوصول إلى ياسمينا.

وأخيرا وصل إلى البدرشين... خرج من السيارة مسرعا يعدو إلى شجرة الياسمين، وعندما رأي ياسمينا فرد ذراعيه، واندفع نحوها ليضمها إلى صدره... فوجيء عمر برد فعل ياسمينا، فقد أوقفته، وهي تنظر إليه بعيون كلها غضب، تعجب عمر مما تفعله ياسمينا.

ياسمينا فيه إيه ؟! إنت...

قاطعته ياسمينا بحدة.

إنت قلت لوالدتك حاجة عن خطوبتنا.

استمرت حالة الدهشة التي انعكست على نبرات صوت عمر.

لا... إحنا مش اتفقنا على انتظار رد والدك.

تأكدت ياسمينا من أن جميع كلام والدته كان صحيحا، ولم يكن لديها أي هدف للإيقاع بينهما، كما استنتجت أختها داليا التي كانت لا تعترف بمنطق الصدفة، وكانت على يقين من أن وراء زيارة شهيرة هانم هدفًا خبيثًا، لكن الآن الأمر اختلف...

هاجمت كل أحاسيس الغضب، والحنق، والازدراء ياسمينا، وعلا صوتها، وتحدثت بحدة، وهي تقدم لعمر مظروف الصور، وتحكي له عما فعلته والدته بالأمس... استعرض عمر الصور، والدموع تتلألأ في مقلتيه، فقد أدرك مؤامرة والدته التي لم يكن

يتوقعها... تنهد عمر، وتحدث بصوت تخنقه الدموع.

يعني تصدقي إن شهيرة هانم تيجي من المنصورية بعد أكثر من 30 سنة عشان توريني شوية صور.

نظرت له ياسمينا بتحد، وكبرياء.

داليا لها نفس الرأي، وأنتم صح، لكن الصور صح كمان.

تلألأت عينا عمر بالدموع، ووضع رأس ياسمينا بين راحتيه، واقترب منها.

والله العظيم كنت حا أقولك كل حاجة عن موضوع الرقص مع سها.

أزاحت ياسمينا يديه بحدة، وهي تصرخ فيه.

إنت فاكر إني غيرانة ؟!.... إيه شايفني تافهة للدرجة دي، وبأغير من مجاملة.

انفعل عمر، وضرب الأرض بقدمه.

أيوه أنا عارف... أنا حقير، لكن الموضوع ما كنش بإرادتي.

استمرت ياسمينا في انفعالها، وهي تحرك يدها بعصبية، وتحدثت بصوت مرتفع يصل إلى حد الصراخ.

موضوع إيه اللي ما كنش بإرادتك... حلقة الفساد المركب، ولا ضحكك مع كل الفاسدين اللي في البلد.. إيه إنت ماخلتش حد حتى علا رأفت إيه رضخت لها... وأخيرا احتفالك بخطوبة صاحبتك السابقة طبعا أصلها أكتر واحدة جت البدرشين، ولا...

ولا...

قاطعها عمر، وتحدث بصوت واهن.

متكمليش أنا عارف إني غلطان، لكن كان ممكن أعمل إيه؟!

صرخت ياسمينا فيه.

لا متعملش حاجة كمل... أحسن المرة اللي جاية تنضرب بالسكينة، ولا بالرصاص.

حاول عمر تهدئتها، والإمساك بيدها التي كانت تحركها بعصبية.

والله....

قاطعته ياسمينا، وهي تصرخ، وتبعد يديها عن يديه.

حذار من الحلفان ربنا بريء من أعمالك... إنت أكبر فاسد في الدنيا.. إنت عايز كل حاجة في الدنيا... إنت عايز مكاسب الفساد، وفي نفس الوقت عايز تعيش بأمان، وما تدفعش تمن أي حاجة عشان كده عامل بهلوان، وبتلعب على كل أحبال القانون مرة فوقه، ومرة تحته المهم إنك تكبش، وتجري.

كانت كلمات ياسمينا كالسياط تلهب ظهر عمر الذي صرخ من الألم.

آه... حرام عليك يا ياسمينا أنا...

صمت عمر أمام نظرات ياسمينا الحادة الغاضبة، وبصوت واهن..

أنا غلط... أنا مش عارف حصل ده إزاي... كانت حفلة خطوبة، وكنت أجاري الموقف، لكن علا ضحكت لي بتشفي ، وسها رقصت معايا... ودايرة الفساد إتلفت حول رقبتي... أنا مش عارف... شهيرة ورطتني، ولا...

قاطعته ياسمينا وهي تصرخ من شدة الغضب.

كفاية... كفاية كدب، وخداع... بص للحقيقة إنت صاحب مصنع، وسايبه عشان تغرق نفسك في بحر فساد إنت اللي عامله... رشاوي... صفقات سرية... واجهات لشخصيات كبيرة... كفاية كدب، وخداع عن كرهك للفساد ... إنت فاسد... إنت فيروس قاتل... إنت...

انفجرت ياسمينا في البكاء، فلم تستطع استكمال كلامها... حاول عمر تهدئتها، واقترب منها، فنفرت منه، وأخذت تضربه بكلتا يديها على صدره، وكتفيه، وهو تصرخ بأعلى صوتها، وعمر ثابت لايتحرك، وقد تركها تضربه كما تشاء.

إنت فيروس قاتل لازم تخرج من حياتي... إنت عملت معايا كده ليه؟! إطلع بره حياتي... إطلع بره البدرشين كلها اوعى أشوفك هنا تاني... والله العظيم لو شفتك....

لم تستطع ياسمينا إكمال حديثها، فقد خارت قواها، وكادت أن تهوي على الأرض، فوجدت يدين حانيتين تمسكان بها... كانت أمها التي خرجت على صوت صراخ ابنتها، فأخذتها، وضمتها إلى

صدرها، وصعدت بها إلى المنزل، وكان والدها هو الآخر قد هرع على صوت صراخها، لكنه ظل ثابتا ينظر إلى عمر الذي تجمد في مكانه، وظلت الدموع متحجرة في عينيه ينظر إلى ياسمينا، وهي تغادر المكان حتى إذا أغلقت بابا منزلها... انهار فوق الأريكة الخشبية، ووضع رأسه بين يديه، وانفجر في بكاء حار.... ربت المهندس محمد على كتفه، لكن عمر ظل يبكي، وهو يردد جملة واحدة.

« والله العظيم بحبها..... والله العظيم بحبها»

(١٦)

لم يدلف عمر إلى بيته كما أرادت ياسمينا، وعاد إلى شقته بالمهندسين... كان طوال الوقت يرن في أذنيه صوت ياسمينا، وهي تسبه، وتلعنه... أهذه هي حقيقته حقا ؟! ظل يسأل نفسه، ودائما ما تكون الإجابة واحدة.

«نعم... أنا فاسد... أنا فاسد... أي وصف أريد أن تصفني ياسمينا به... فتاة تستقطع جزءا من المال المخصص لجهازها لكفالة الأيتام، وتزرع أرضًا لعمل الخير، وأنا ماذا أفعل.... أتفق مع فاسد على التدليس على أراضي الدولة، وأدخل في شراكة مع الشخصيات السياسية الكبرى للتغطية عليهم... آه يالني من فاسد، وأريد الآن أن أطهر نفسي بالزواج من هذه الملاك لأدنسها معي، ماذا لو كنت أخذتها إلى حفل الخطبة وجلسنا معًا على مائدة حسين شوكت، وعلا رأفت... ماذا كان سيحدث لها؟! حقا إن عالمي غير عالمها، لكن قلبي لا...لا.... يجب أن أخرج من حياتها كما أرادت، ويكفي ما سببته لها من آلام... آه يجب أن أخرج من حياتها... آه يالني من وغد حقير، عدت للخداع مرة أخرى... من هذا الذي سيخرج من حياة ياسمينا ؟!.. أي وهم

أتحدث عنه... إنها حياتي، فكيف سأخرج من حياتي؟! لأهذي كيفما شئت، فياسمينا ستظل حياتي التي لن أستطيع تركها مهما حدث، فلتفعل الأقدار بنا ما تفعله فلن يتغير في الأمر شيء.»

كان الشعور بالاشمئزاز هو المرادف لشعور عمر تجاه كل ما يحيط به من أشياء، وأشخاص حتى هو ذاته كان يشعر بالاشمئزاز من نفسه... ظهر هذا الشعور واضحا للجميع، فتحاشاه الكل حتى لا ينفجر فيهم.

حاولت بهيرة استغلال حالة عمر تلك، وترويج الشائعات حوله بأنه يشعر بعدم التوازن بعد التحالفات الكبرى، والتكتلات ضده، وأن أيامه في المجموعة قد أصبحت معدودة. أثلجت هذه الشائعات صدر إسماعيل الذي استغلها، وحاول تأكيدها عبر البرامج الاقتصادية الموجهة التي كانت تقدمها القناة التي يشارك إسماعيل فيها... كان عمر يتابع هذه المهاترات ببرود، وتبلد، ويبتسم لنفسه ساخرا.

« يالني من أحمق حتى أخسر نفسي مع هؤلاء البلهاء.»

دعا عمر إلى عقد اجتماع مجلس إدارة استثنائي، وفيه ناقش موضوع الشائعات التي تروج ضده، وبهدوء شديد تحدث.

بالنسبة لشخصي المتواضع، فأنا مجرد موظف، وأسهمي في المجموعة محدودة يعني لو المجموعة اتهزت من الإشاعات بالكتير حا أخسر تمن سهرة في فندق خمس نجوم، لكن أعتقد إن

فيه ناس تانية حا تخسر أكتر، فياريت ننتبه لموضوع الإشاعات.

انفعل إسماعيل كعادته، وقام، وجلس، وأخذ يضرب المائدة بقبضة يده، وكأنه يقوم بأداء مشهد تمثيلي في إحدى المسرحيات الهابطة... ظل عمر ينظر إليه بعيون باردة، وكأنه يشاهد مسلسلًا تلفزيونيًّا مملًا، ومعاد حتى أن عمر تثاءب، وإسماعيل يتحدث صائحا.

استفز منظر عمر إسماعيل، فزاد في صياحه

عمر...إنت ما بتحترمش اللي بيتكلم ليه ؟

العفو يا إسماعيل بيه، لكن ماتنساش إن القناة بتاعتك إنت ووالد خطيبة ابنك هي اللي بتذيع البرامج المشبوهة.

صمت عمر برهة، فأجبر إسماعيل على الصمت ثم عاد لجدول الأعمال، وناقش بعض الموضوعات العاجلة ذات الأهمية، وفي ختام الاجتماع فجر المفاجأة التي أربكت كل الحاضرين.

نظرا للإشاعات، والبرامج العظيمة في قناة إسماعيل بيه، فشريكنا في سلسلة الفنادق فكر في الانسحاب... طبعا الشخصيات دي ما بتحبش العك... شكرا يا سادة الاجتماع انتهى.

لم يستطع أحد أن ينطق بأي كلمة، وظل كل واحد ينظر للآخر... ترك الجميع قاعة الاجتماعات، وظلت شهيرة مع عمر... أربكت نظرات عمر الحادة شهيرة، لكنها حاولت تجاهلها، وتحدثت في موضوع سلسلة الفنادق، وكأنها لم تفعل شيئا، وتتآمر ضده.

أنا عارفة إن شريكنا ده صاحبك، وكان زميلك في الجامعة....

قاطعها عمر بنظراته الحادة، فلم تستطع شهيرة استكمال حديثها، وقررت ترك المكان، وقبل أن تغادر حدثها عمر بصوت خال من أي تعبير.

شكرا على الصور، لكن بدل ما تتعبي نفسك، وترتبي كل الترتيبات دي كنت اصبري فياسمينا بتعرف عني كل حاجة، وأنا كنت حاكي لها عن الخطوبة بالتفصيل الممل، عموما شكرا يا شهيرة هانم.

ارتبكت شهيرة، وتلعثمت في كلامها، لكنها تمالكت نفسها، ونظرت لعمر في تحد :

عمر أنا مش موافقة على ارتباطك بياسمين.

ابتسم عمر بسخرية.

وأنا ما كنتش موافق على جوازك من مصطفى بيه.

احتدت شهيرة عليه.

عمر إنت ابني مش أنا اللي بنتك، ومصطفى من العيلة، ودوره مهم في المجموعة، لكن ياسمين دي حاتفدنا في إيه ؟!

على فكرة يا شهيرة هانم أنا اللي خلتها مجموعة دي كانت شركة صغيرة، وأنا عارف فايدة ياسمينا كويس، وبلاش تبقي زي إسماعيل، وبهيرة بيخربوا المجموعة عشان الانتقام مني.

صرخت شهيرة بحدة.

ننتقم منك ليه ؟!

رد عليها عمر ببرود شديد:

عشان عملت لكم مجموعة اقتصادية محترمة.

أثارت كلمة « محترمة» لدى عمر كل الشجون، وتذكر جدته، وتربيتها له على احترام كل شيء، وعادت سياط ياسمينا تلهب ظهره، فصرخ قلبه محتجا على ما أوصله عمر إليه... كيف، وهو تربى على المبادىء التي تقرب بينه، وبين ياسمينا، يقذف بتلك المبادىء في سلة المهملات ليضع ألف عائق، وعائقًا بينه، وبين ياسمينا.. كيف يمزق قلبه بيده، ولمصلحة من ؟!

خرج عمر من مبنى المجموعة مسرعا... كان يحاول الهروب من ثورة قلبه عليه.. وقف برهة أمام مبنى المجموعة، وظل يتأمل الصرح الاقتصادي الذي لعب دور البطولة في ترسيخه، والنتيجة ثورة قلبه العارمة عليه... أيمكن أن يعود إلى الطريق الذي يرضي قلبه عنه... أيمكن أن يعود البدرشين مرة أخرى ؟!

وضع عمر قدميه على أول الطريق المؤدي إلى البدرشين عندما نفذ ما كان ادعاه في اجتماع مجلس الإدارة بتخلي الشخصية السياسية الكبرى عن الشراكة... كانت هذه المهمة في منتهى البساطة، فقد قام إسماعيل بيه بالدور الأكبر في تلك المهمة، وما كان على عمر سوى الانتهاء منها كما يريد، فقام بالاتصال

بالسياسي الكبير، وطلب تحديد موعد للمقابلة، وبدأ في الترتيب مع الشريك الأجنبي هو الآخر لتصبح الصفقة محترمة أو ينتهى كل شيء لا يهم، فما كان يسعى عمر إليه هو ألا يكون واجهة لأحد، ألا يسمح بوجود شخصيات من الباطن تستغله.

كان لعمر ما أراد، فمع الشائعات المتزايدة على عمر، والهجوم الشديد عليه أبدى عمر رغبته في أن يكون كل شيء واضحًا، ومحددًا، وخاصة بالنسبة لشراكة السياسي الكبير مما أقلقه، ففضل الانسحاب من الصفقة، وبهذا أصبحت الصفقة خالصة بين المجموعة، والشركة الأجنبية التي كان شرط ممثلها الوحيد في إتمام الصفقة هو استمرار عمر معهم، فالشركة لا تريد التعامل مع شخص آخر غيره...

شعر إسماعيل بسعادة مطلقة عندما التقى بممثل الشركة الأجنبية، فقد صور له خياله أن عمر قد تخلى عنه أنصاره من كبار السياسيين، وأصبحت لعبة السياسة في يديه هو، وأخته بهيرة وحدهما. أما ما يذكره ممثل الشركة الأجنبية فهو من المؤكد من تدبير عمر الذي شعر بانسحاب السجادة من تحت قدميه، فلجأ لهذه الحيلة البلهاء لضمان استمرار وضعه، فتمادى إسماعيل في توجيه ضرباته لعمر من خلال قناته التلفزيونية التي تم توجيه أغلب برامجها للنيل من عمر.

شعر عمر بالسخف مما يفعل خاله إسماعيل، فرغم حرص عمر على ألا تضار المجموعة، وأن تتحول إلى مجموعة محترمة

بمعنى الكلمة، وتتخلص من كل أشكال الفساد، فخاله إسماعيل يجرها لمستنقع من الفساد، والخراب، ويقف وراءه شريكه، ونسيبه، والذي يغريه بمجموعة من المشروعات الغريبة التي تقطر بكافة أشكال الفساد.

لم ييأس عمر نتيجة سلوك خاله، وخالته معه، واستمر في خطته للوصول إلى البدرشين، فراجع كل مشاريع المجموعة، وحاول تنظيفها... كان يفعل ذلك، وهو لا يفكر إلا في شيء واحد وهو آلام السياط التي ألهبت بها ياسمينا ظهره.

« ياسمينا... يالك من قاسية القلب... كيف فعلتي بي كل ذلك؟!»

كانت هذه العبارة تتردد كثيرا في رأس عمر كلما وجد نفسه مندفعا في طريقه نحو البدرشين، وياسمينا لا تجيب على هاتفه مهما حاول الاتصال، وإذا حاول الاتصال بها من هاتف آخر تنهي المكالمة بمجرد سماعها لصوته...

حاول عمر أن يقابل ياسمينا عدة مرات، لكنه كان ملتزما برغبتها في ألا يذهب للبدرشين، ففكر في أن يراها أثناء عودتها من الكلية... كان يعرف مواعيد ذهابها للقصر العيني، فانتظرها أمام مدخله، وعندما رآها حاول أن يتحدث معها، لكنها نظرت له شزرا، وتركته قلبه يدمي من صدها له... واصل عمر طريقه في تطهير نفسه من أي فساد عل الله يستجيب لدعائه، ويرضى قلب ياسمينا عنه مرة أخرى.

استمرت حالة الهجوم الشديد من التكتلات، والتحالفات ضد عمر، وما يقوم به من إصلاحات. والغريب في الأمر أن شهيرة لم تكن مع عمر فيما يقوم به، بل اعتبرته يلعب دورا ليس دوره، وأصبح شخصا آخر... لم تجد شهيرة حرجا في أن تشكل هي، وزوجها تكتلًا آخر ضد عمر... كان هدف مصطفى، وشهيرة التعرف على كل ما يقوم به عمر في المجموعة بدقة، وذلك لنقل صلاحياته لابنهما علي بدلا من عمر...

سارت الأحداث بسرعة فائقة فقد كانت نوازع الضغينة في قلوب الجميع أشبه بالقاطرة الطائشة الكل يسعى للنيل من عمر الكل يبحث في كل الأوراق عله يجد الورقة الرابحة التي تخلصهم من عمر «المصلح» كما كانوا يتندرون عليه.

أما عمر، فلم ينظر لأحد... كان يعدو بكل قوته ليصل إلى البدرشين... كانت صورة ياسمينا أمامه دائما... يندفع نحوها ليجد نفسه يسير في طريق الإصلاح... كان كل ليلة يلقي بنفسه على سريره يراجع كم الأعمال الهائلة التي قام بها ليجد نفسه يقترب أكثر، وأكثر من ياسمينته، فيسرع إلى الهاتف يتصل بها، وهو واثق أنها لن تجيبه يكفيه أن يتصل برقمها، وبعد عدة محاولات يبعث لها برسالة تبدأ بكلمة «أحبك»، ثم يقدم لها تقريرا بما فعله في يومه، وكيف تخلص من فساد الرشاوي، وكيف أصبح لايمثل واجهة لأحد، وكيف أنه أنهى كل علاقاته مع الشخصيات الفاسدة...

كانت ياسمينا تشعر بالتوتر الشديد عندما تصلها رسالة عمر اليومية... لا إنها تشهد صراعا عنيفا بين قلبها، وعقلها، فعقلها يرى أن كل ما يفعله عمر لا جدوى منه، فهو عقل طبيبة، ويعرف جيدا أن الفساد إذا دخل أي جزء من الجسم، فلا حل سوى البتر... أما قلبها، فكان يصرخ ألما، وشفقة على حاله هو، وحال قلب عمر، فكلا القلبين تعبا من طول الفراق، فكانت صرختهما الدائمة...

«يالك من قاسية يا ياسمينا... كيف، وإنتِ تداوين آلام القلب تتسببين بعنادك في آلام قلبين»

حتى إذا دقت الساعة العاشرة ازداد أنين القلبين.... لم يكن عمر ليتحمل كل هذا العذاب... قد يصبر على عذاب قلبه، أما قلب ياسمينا فكيف له أن يتحمل أنينه، فيسرع إلى هاتفه يبعث برسالة خاصة جدا لياسمينا عبارة عن مقطع من أغنية مطربها المحبوب كاظم الساهر «الحب المستحيل»، كان المقطع يعذب ياسمينا أي عذاب، وهو يحمل توسلات عمر فقد اختار الكلمات بعناية لتعبرعن حاله، فيصل إلى مسامع ياسمينا.

« يا امرأة تمسك القلب بين يديها سألتك بالله لا تتركيني... لا.. لا تتركيني»

كانت ياسمينا تزداد توترا من توسلات عمر، ويتفاقم الصراع بين قلبها، وعقلها، فتحاول الفرار، ولا تجد غير النوم هو وسيلتها الوحيدة، لكن حتى في أحلامها ترى عمر يقف وسط دائرة من الفساد يحيط به من كل جانب رجال الأعمال، والسياسيون

الفاسدون... النساء اللاتي حضرن معه إلى البدرشين، وفي الوسط تقف علا رأفت تقدم له كؤوس الخمر، وعمر يحاول أن يفر من الدائرة، ولا يقدر أن ينفذ منها... يمد يده صائحا ينادي على ياسمينا لكي تساعده في الخروج من تلك الدوامة، لكنها لا تستطيع، تقف خائفة، عاجزة، يظل هذا الكابوس يطارد ياسمينا في نومها حتى تستيقظ، وهي تصرخ تنادي على عمر...

كانت نجلاء تستيقظ من نومها فزعة على صراخ ابنتها الذي كان قلبها يشعر به، وإن لم يصل إلى مسامعها، فتهرع إلى حجرة ياسمينا لتأخذها بين أحضانها، وتربت على ظهرها، وهي تقرأ عليه بعض من آيات القرآن الكريم لتهدأ ياسمينا، وتعود إلى نومها مرة أخرى.

لم تعرف نجلاء ماذا تفعل، فهي ترى ابنتها على شفا الانهيار، فقد أنهكها الصراع بين عقلها، وقلبها، وعمر يشدد الحصار من حولها، ويبتكر كل يوم أسلوبا مختلفا لتطويقها من كل اتجاه، فلا تستطيع سوى الاستسلام، لكن نجلاء كانت واثقة من أن ابنتها لن ترجع عن قرارها، والنتيجة هي مزيد من الذبول لياسمينة الدار.

كان منظر ياسمينا يجعل نجلاء تشعر بالحسرة التي سرعان ما تتحول للغضب، وهي ترى حيل عمر الجديدة لاستمالة ياسمينا، والتى كان آخرها إرساله كل يوم في الصباح الباكر باقة زهور بيضاء وفي وسطها مجموعة من الورود الحمراء على هيئة قلب... كانت نجلاء في كل مرة تحاول إعادة الباقة، لكن ياسمينا كانت تؤكد لها

دائما أن كل ما يفعله عمر لن يؤثر على قراراتها... كانت ياسمينا تتحدث إلى والدتها، وهي تحاول تصنع الابتسام، وإظهار أن كل شيء طبيعي، لكن نجلاء كانت ترى الدموع المتلألئة في مقلتي ابنتها، والتى سرعان ما تنتقل إلى عينيها، فلا تعرف ماذا تفعل.

هدى نجلاء تفكيرها أخيرا إلى الاتصال بعمر، وطلبت مقابلته... رحب عمر بطلبها، وأسرع للقائها... كانت نجلاء صريحة، ومحددة في حديثها مع عمر، فشرحت له ما وصل إليه حال ابنتها، وتأثيره السلبي عليها، وطلبت منه أن يكف عن ملاحقتها..

يابني أنا عارفة إنك بتحبها، وللأسف هي كمان، لكن إنت شفت زيارة واحدة من والدتك عملت، فيكم إيه..

صمت عمر برهة، وتنهد في أسى، فأكملت نجلاء كلامها..

ياسمينا تعبانة، وعلى طول زعلانة، وما بتعرفش تنام، والأسوأ إنها لأول مرة ييجي يوم الجمعة، وما تعملش حاجة للأيتام... إحنا لما كنا بنروح المصيف كانت بتطبخ لهم، وتبعت الأكل من الإسكندرية.

شعر عمر بالأسى لما وصل له حال ياسمينا، وأحس بالسياط تلهب ظهره، فياله من وغد حقير.. كم أساء لهذه الفتاة التي يعشقها... لم يستطع عمر أن يرد على نجلاء في طلبها، أو يشرح لها شيئا... فقط اكتفى بوعده إياها بأنه سيفعل ما فيه الخير

للجميع.

ظلت صورة ياسمينا تطارد عمر... كان يراها متعبة ذابلة، فتزداد آلامه... يصرخ قلبه هلعا على من سكنت بين حناياه... كيف يفعل بها صاحبه ما فعل ؟؟!!

كانت صرخات قلب عمر أشبه بطعنات خنجر تمزقه بلا رحمه، فيصرخ طالبا الرحمة :

«آه.. يا ياسمينا... آه... لماذا كل ما تفعلينه... كفى عنادًا! لأذهب أنا إلى الجحيم، لكن إنت... لماذا تطعنين نفسك بنفس الخنجر الذي يمزق قلبي ؟؟!! آه ياحبيبتي العنيدة...»

لم يستطع عمر تحمل مطاردة صورة ياسمينا له، فأسرع إلى هاتفه، وأرسل لها برسالة مقتضبة... لم تكن رسالته كباقي الرسائل التي اعتادت عليها ياسمينا منذ خصامهما بل كانت تحمل ما يشبه الأمر بضرورة أن تقابله في العاشرة عند شجرة الياسمين لبحث أمر خطير يتعلق بوالده.

رغم الدهشة التي تملكت ياسمينا عندما قرأت رسالة عمر، فقد تغلغل في قلبها صوت خافت يهمس بالسعادة، فها هو القلب انتصر في معركته مع العقل، وأذعنت ياسمينا للقاء عمر الذي كانت تشتاق إليه، وكم تمنت حتى لو عادت إلى الأيام التي كانت تراقبه فيها دون أن يشعر... عندها كان عقلها يؤنبها على هذيانها، ألم تكن هي التي طردته من البدرشين، وما فعله عمر كان

تنفيذا لإرادتها؟ وحتى عندما حاول أن يراها خارج البدرشين ألم تنفر منه؟ فلماذا الآن ينطلق ذلك القلب الطائش، ويفرح برؤية عمر؟!... وضعت ياسمينا رأسها بين راحتيها عل الصراع يهدأ قليلا بين قلبها، وعقلها... وإن كانت في الحقيقة قد حسمت الأمر، فقد وجدت في رسالة عمر حجة، وإن كانت واهية، لكنها في النهاية ستمكنها من لقائه..

انتظرت ياسمينا مقابلة عمر، وكأنها تنظر الحكم في قضية عمرها... كانت تنظر في الساعة كل دقيقة، وكم شعرت بأن عقاربها لا تتحرك، فتبحث عن ساعة أخرى علها تجد الوقت قد مر أسرع لكنها للأسف لا تجد غير أن الوقت لا يمر، وعليها الانتظار... والانتظار.

لم تحاول ياسمينا الاستعداد للقاء عمر، فرغم ما كان يشعر به قلبها من الحنين لهذا اللقاء، فقد خافت من شدة غضب عقلها، فلم تجار قلبها، وتظهر هذا الحنين، بل العكس أظهرت أنها لا تهتم باللقاء.... عندما دقت الساعة العاشرة حاولت التأخر بعض الشيء، لكنها لم تستطع أكثر من خمس دقائق فقد كان قلبها يعنفها بشدة لتباطئها... وضعت ياسمينا شالا على كتفيها، وخرجت لمقابلة عمر...

تملكت الفرحة عمر عندما رأى ياسمينا، لكنه حاول قدر المستطاع التحكم في مشاعره... كان قلبه، وروحه، وكل كيانه يشتاق إليها... ذراعاه كانتا تتشاجران معه تريدان أن تتركاه،

وتطوقان ياسمينا، أما صدره، فكان ينتظر رأسها ليضمه إليه، لكن عمر عصاهم جميعا، وظل واقفا في مكانه لايتحرك، فغافلته نظرات عينيه، وذهبن لعناق ياسمينا التي كانت تحاول هي الأخرى التحكم في مشاعرها، واصطناع الغضب، والضيق من إلحاح عمر على مقابلتها، لكنها مهما حاولت كانت عيناها تتلألآن بالفرحة التي عزف قلبها ألحانها...

مد عمر يديه لمصافحة ياسمينا... صدمت ياسمينا من برودة اللقاء، فتصنعت هي الأخرى اللامبالاة، ومدت له يدها، وهي شبه متجهمة... حاول كل منهما أن يبعد نظرات عينيه عن الآخر حتى لا ينفضح أمره.

تحدث عمر مباشرة فيما أدعى أنه جاء من أجله، وبدأ بالهجوم على ياسمينا لإهمالها رعاية الأيتام. اندهشت ياسمينا من علمه بما حدث، وسرعان ما تحولت دهشتها لهجوم مضاد تريد أن تعرف كيف يعلم بما تفعله، فرد عليها عمر بحدة

مش مهم إزاي عرفت... المهم فيه حاجة اسمها التزام يا صاحبة المباديء.

أثارت كلمات عمر، وأسلوبه ياسمينا التي شعرت بأوصالها كلها ترتجف، وبدأ العرق يغزو جبينها، فارتفعت نبرات صوتها الحادة...

وإنت دخلك إيه بالأيتام، ولا تعرف إيه عن المبادىء، ولا...

قاطعها عمر بحدة.

من يوم ما أخبرتيني عن اللي عمله والدي ده كان التزام منا إحنا الاتنين، ولا إنت فاكرة الأمور سهلة تدخليني في الموضوع وقت ما إنت عايزة، وبعد كده أنا ما ليش دعوة... إيه هو أنا لعبة في أيدك..

نظرت له ياسمينا بحدة، ثم استدارت لتعود إلى منزلها، فجذبها عمر بقوة من ذراعها، فوجدت نفسها قريبة جدا منه... اقترب عمر من ياسمينا حتى كادت هامته تلامس هامتها، فسقطت كل أقنعة القسوة، والحدة التي كان يرتديها، وتحدث بصوت هادىء حنون يملؤه الحب، واللهفة.

ليه يا ياسمينا شوية زعل يأثروا كل ده عليكي... عشان خاطري إن كان لي خاطر عندك ما...

وضعت ياسمينا يدها على شفتي عمر في إشارة لكي لا يكمل كلامه... أمسك عمر يدها، وقبل أناملها في شوق، ولهفة... كان قلبه يصرخ معتذرا عن كل ما سببه لها من آلام... حاولت ياسمينا الابتعاد عن عمر، لكنها ظلت متجمدة في مكانها، وعمر يحدثها هامسا.

أنا اتغيرت، وغيرت كل الحاجات اللي كانت بتضايقك... بعني ما فيش داعي للزعل. لف عمر ذراعيه حول خصر ياسمينا، واقترب منها أكثر، وحاول تقبيلها... شعرت ياسمينا بالنيران

تشتعل في كل أوصالها، وكادت أن تضعف أمام إلحاح قلبها، لكنها استجمعت شجاعتها، وابتعدت عنه وهي تصرخ.

إنت إيه...؟! إنت فاكر إيه ؟!

نظر لها عمر بحزن، وأسى مما تفعله.

أنا بحبك، وطلبتك من والدك، وكل اللي مضايقك...

قاطعته ياسمينا، وهي تصيح بحدة.

حب إيه ؟!... إنت بتتكلم عن إيه ؟! عمر إنت وسط الوحل، وبتمسح ايدك بمنديل ورق.

ازداد شعور عمر بالحزن، وبدأت الدموع تغزو مقلتيه، فتحدث بصوت واهن.

كان ممكن أعمل إيه ؟! دي المجموعة اللي أنا عملتها، وكانت مجرد شركة .

ردت عليه ياسمينا بحدة، وحسم.

عمر إنت أكتر واحد عارف دايرة الفساد المركب، ومافيش حد بيدخل فيها، ويتنجي، وإنت لما عملت المجموعة كنت لوحدك دلوقتي فيه كتير موجودين، وكلهم متلفين حولك، وإنت شفت اللي حصل في الخطوبة.

أطرق عمر رأسه بأسى.

ياسمينا ارحميني... كفاية قسوة.

شعرت ياسمينا بالإحراج من شدة قسوتها على عمر.

آسفة... لكن يمكن اللي بتعمله دلوقتي كان ينفع قبل كده لكن الوضع اختلف، وكل اللي في المجموعة بيجري بأقصى سرعة للوصول إلى قمة الفساد.

أخذ عمر يدي ياسمينا في يديه، وتحدث بصوت يملؤه الشجن.

إحنا ذنبنا إيه ؟! ليه بتبعدي في الوقت اللي أنا فيه محتاجلك.

أبعدت ياسمينا يديها عن يديه، وعادت لحدتها في الكلام.

إنت مش عايز تفهم الناس دي مش حاتسيبك تنجح، وتحقق اللي إنت عايزه بشرف... إنت مش شايف برامج القناة بتاعت خالك إسماعيل.... أنا واثقة إنهم قريبًا جدا حايعملوا فيك حاجات وحشة قوي.

ابتسم عمر من ألفاظ ياسمينا الطفولية، فازدادت حدة، وغضبًا، وارتفع صوتها.

إنت مش مصدق يارب يعملوا فيك كل الحاجات الوحشة اللي إنت دايما بتخاف منها.

صمتت ياسمينا قليلا... كانت ترتجف من العصبية، وحاول عمر تهدئتها، فوضع يديه على ذراعيها، فأبعدتهما بعصبية.

والله العظيم حايوصلوك للسجن أنا واثقة من قذارة خالك إسماعيل، واللي معاه... والله العظيم... هات لي مصحف وأنا أحلف لك عليه...

عاد عمر، ووضع يديه على ذراعي ياسمينا، وربت عليهما.

إهدى يا حبيبتي الموضوع مش بالخطورة دى إهدي..

نظرت له ياسمينا بحدة..

ما تسمعش الكلام، وخليك مغمي عينيك، والمرة اللي الجاية شوف مين اللي حايجري عليك، وينقذك، وإنت بتنزف...

تركته ياسمينا غاضبة، وأسرعت لمنزلها... ظل عمر متجمدا في مكانه، وهو مطأطئ الرأس، والدموع تحجرت في عينيه، وصوت ياسمينا كضربات السياط تلهب ظهره، والسهام النارية المتطايرة من عينيها تحاصره من كل اتجاه... أخذ عمر يضرب الأرض بقدمه، وهو يصرخ.

« غبي.... حقير.... ضائع»

(١٧)

سارت الأحداث بسرعة قصوى لم يكن يتوقعها عمر... كان كل همه هو إصلاح أحوال المجموعة، وإبعادها عن أي شبهة فساد، وتوهم أنه يمكن أن يقف في وجه الجميع... رغم أن كلمات ياسمينا كانت ترن دائما في أذنيه، وتجعله يشعر بصدره يضيق، وقلبه ينقبض، فقد استمر فيما أقدم عليه، وكان كل هدفه هو أن يثبت لياسمينا خطأ ظنها، فكانت النقطة الحاسمة في خطته، والمتمثلة في إنهاء أي علاقة تربط المجموعة بحسين شوكت...

كان مجرد ذكر اسم حسين شوكت أمام عمر يصيبه بحالة من الاشمئزاز تصل لحد الغثيان، فقد ارتبط اسمه بعلا رأفت، وعلاقته معها... وأكثر من ذلك ارتبط الاثنان بغضب ياسمينا منه.

سرب عمر أخبارًا لحسين شوكت بأن المجموعة قد عدلت من خططها، ولن تقيم المدينة السكنية على الأرض التي سبق، وأن اختارتها، وتتجه لشراء أرض أخرى في محافظة 6 أكتوبر... أسرع حسين بالاتصال بعمر الذي عامله بجفاء، وأكد له بأسلوب غير مباشر على المعلومة التي سربها له... استشاط حسين غضبا، واتجه مباشرة إلى إسماعيل الذي شاركه في الغضب، وتوهم أن

الفرصة أصبحت سانحة الآن لتحديد ساعة الصفر للقضاء النهائي على عمر، فقد خسر أصدقاءه من السياسيين، فمن سيقف معه ؟!

في أقل من 48 ساعة من بعد انتهاء الصلة بين حسين شوكت، وعمر... وجد عمر استدعاء للنيابة للتحقيق معه في البلاغ المقدم ضده من خاله إسماعيل باعتباره رئيس مجلس إدارة المجموعة، وذلك لبعض المخالفات المالية التي يتهم عمر بها، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أصدر إسماعيل قرارا بإيقاف عمر عن العمل لحين انتهاء تحقيقات النيابة، وكرست القناة الفضائية التي يمتلكها كل برامجها لمهاجمة عمر، وكان الهجوم واضحا، وصريحا، وقد انتقلت عدوى الهجوم لبعض القنوات الأخرى، وكأن هناك اتفاقًا مسبقًا لمثل هذه الحملة الشرسة.

أصيب عمر بعدم اتزان في بادىء الأمر، ولم يدر ماذا يفعل، لكنه سرعان ما استعاد اتزانه، واتصل بمحاميه الخاص كما أجرى اتصالات مع بعض الموالين له في مجلس إدارة المجموعة، وعلم بأبعاد المؤامرة المحكمة ضده، فقد استغل إسماعيل موقعه كرئيس مجلس إدارة المجموعة، وطلب مراجعة الملفات الخاصة بالتبرعات التي تقوم بها المجموعة، ورصد ما بها من مخالفات تمثلت في مبالغ تم صرفها بأمر مباشر من عمر، ولم توضح جهة صرفها، ولم تقدم فواتير بشأنها... كانت هذه المبالغ بسيطة جدا بالنسبة لحجم إنفاق المجموعة في مجال التبرعات، وكان كل من في مجلس الإدارة يعرف كيف يتم صرف تلك المبالغ في شراء

الهدايا للمسئولين كفتح باب للصداقة بينهم، وبين المجموعة، وكان عمر قد سبق، وأعطي الحق في التصرف في مثل هذه الأمور، لكن إسماعيل تغافل عن هذا القرار الذي صدر قبل أن يتولى منصبه... أسرع إسماعيل بتقديم بلاغ للنيابة كان يكفيه فقط التحقيق مع عمر، وهز الثقة فيه ليتخلص منه بسهولة، فوقتها ستكون المساواة سهلة...

شعر عمر بالإحباط، والضيق... كان يدرك جيدا أن المؤامرة محكمة ضده، ولا يعرف ماذا سيحدث له بعد ذلك، فقد كان على قناعة بأنه لا يوجد في الدنيا كلها أسوأ من مؤامرات البلهاء، فقد يقضون على الأخضر، واليابس في سبيل إغاظة طفل صغير لا يضحك في وجههم..

وازداد الأمر سوءا أن كل الأوراق الخاصة بعقده مع الشركة، والقرارات التي صدرت وتعطيه الصلاحيات المختلفة كلها في خزينة والدته، فوقتها كان عمر في بداية عهده بالشركة، ووالدته كانت مسيطرة على جميع أمور العمل، وهي التي كانت ترعى عمر، وتوجهه في أول الأمر، كما أنها كانت من اقترحت موضوع المصاريف الخاصة التي يتصرف فيها عمر كما يشاء...

واجه عمر نفسه بحقيقة أعماله القذرة... لقد كان ما يفعله هو تقديم الرشاوي، ويستحق ما وصل إليه... حقا كم وجد لنفسه آلاف الأعذار لتبرير ما كان يفعله لكن ها هي الحقيقة قد ظهرت جلية أمامه الآن... لقد كان كل ما يفعله هو أعمال قذرة، وحقيرة،

وعليه أن يواجه نفسه بها الآن...

استسلم عمر لقدره تمام الاستسلام، وأسرع بالذهاب إلى البدرشين فقد كان كل ما يريده أن يرى وجه ياسمينا... كان طول الطريق يدعو الله بأن توافق ياسمينته على مقابلته... لتكن المرة الأخيرة، لترميه بسهامها النارية المنطلقة من عينيها، لتهاجمه بأشرس الطرق، لكن لتوافق في النهاية على مقابلته أيمكن أن يحدث هذا ؟؟!!

كان عمر يتأرجح بين اليـأس، والأمل، وقبل أن يصل إلى بيته، وجد هاتفه يرن كانت المتصلة هي ياسمينا التي علمت لتوها بما حدث له... فقبل أن تلحق نجلاء زوجها بالذهاب للنوم أخبرت ابنتها بكل ما حدث لعمر... كانت تعرف أن محمد لا يريد أن تعرف ياسمينا شيئا، لكن نجلاء كانت تعلم جيدا أن ياسمينا ستعرف بكل شيء، فالقصة منتشرة في كل مكان، فضلا على أن نجلاء كان يطاردها الشعور بالذنب مما فعلته مع عمر، فآثرت أن تخبر ابنتها بكل شيء، وتركتها، وهي واثقة من أن ياسمينا ستكون طوق النجاة لعمر في تلك الأزمة، فيكفي أن يسمع صوتها ليواجه هؤلاء المتآمرين.

صدق ظن نجلاء، فبدون تفكير أسرعت ياسمينا بالاتصال بعمر... كان صوتها مختنقا بالدموع، ففزع عمرعندما سمع صوتها، وحدثها بلهفة، وخوف.

ياسمينا... فيه حاجة حصلت ؟

انفجرت ياسمينا في البكاء، وتلعثمت في الكلام.

عمر... القضية..

تنفس عمر الصعداء لأن ياسمينا لم يصبها ضرر... كان وقتها قد وصل إلى البيت، فطلب منها أن تأتي لمقابلته.... دون أي تفكير خرجت ياسمينا تجري للقاء عمر... ما أن رأته حتى اندفعت بكل قوتها نحوه، وارتمت بين أحضانه، وهي تبكي بكاءً حارًا... ضم عمر ياسمينا إلى صدره، وأخذ يمسح بيده على شعرها... أحست ياسمينا بالراحة، ويد عمر تلامس شعرها، لكن عاد قلبها للانقباض مما حدث، فابتعدت عن عمر قليلا، ونظرت إليه، والدموع تنسال من عينيها، وتحدثت باكية.

أنا السبب... أنا السبب... أنا اللي بشرتك باللي حصل... أفكاري السودا .

لم تستطع ياسمينا استكمال كلامها، فقد غلبها البكاء الحار، وضع عمر رأس ياسمينا بين راحتيه، وأخذ يمسح دموعها بإبهاميه.

اهدئي يا حبيبتي... اهدئي...

استمرت ياسمينا في انفعالها، وأخذت ترتجف من فرط البكاء بعصبية

عمر..والله العظيم صدقني أنا ما قصدتش إلا أنبهك... والله.

قاطعها عمر، وهو يضمها إلى صدره.

بحبك... ممكن توقفي الدموع دي.... ولا والله والله أزعل منك.

كان عمر يقلدها في طريقة كلامها، وكأنه يداعب طفلة صغيرة. انتبهت ياسمينا لسخريته منها، لكنها لم تعلق على ذلك، فلم تكن تريد أن تخرج من دائرة ذراعيه.. كانت تشعر بأن العالم واسع جدا، وهي تائهة فيه، ولا مكان لها سوى أحضان عمر لتشعر بالأمان، وتتخلص من الخوف الشديد الذي تملكها... كانت دقات قلبها سريعة، ومتلاحقة، فأراح عمر هامتها على صدره، وأخذ يداعب خصلات شعرها، بدأ الهدوء يتسرب إلى قلب ياسمينا، واستراحت قليلا عندما سمعت دقات قلب عمر هادئة، ومنتظمة، فادركت أن لا مكان للخوف فيه... تعجبت ياسمينا من هدوء عمر، فابتعدت عنه قليلا.

إنت هادي قوي ليه ؟!... هو اللي حصل ده مش حقيقة... لازم يكون مش حقيقة، وإنت...

صمتت ياسمينا، فقد اختنق صوتها من الدموع الحبيسة، فرد عليها عمر بحنان.

ياسمينا... أنا غلط كلي غلط، ومش حا أخدع نفسي أكثر من كده.

لكن إنت بريء.

ياسمينا أنا عمري ما خبيت عنك حاجة أنا شاركت في أشياء

مش صح يمكن كنت بأحاول أحللها، وأوهم نفسي بإن ده نظام الشغل، وأنا ما بخدش حق غير حقي، والذنب على اللي خلوا نظام الشغل كده... لكن الحقيقة أنا غلط، ولازم أتعاقب.

فزعت ياسمينا من كلام عمر، وارتجفت أوصالها... لاحظ عمر ما أصابها، فأخذ يتأملها بحب... كانت عيناه تمتلئان بعاطفة جياشة كأنها فيضان يكاد يغمر ياسمينا التي استسلمت له تماما، وتركت عينيها تقع في أسر عينيه...تحدث عمر بصوت هادئ نابع من قلبه.

أكيد أنا عملت في دنيتي حاجة عظيمة قوي عشان أنعم بلحظات الحب معاكي... أنا لو كنت حلمت بكنوز الدنيا كلها كانت حاتبقى أقل بكتير من اللي حصلت عليه.

كانت ياسمينا تستمع لكلمات عمر، وهي غارقة لأذنيها في بحر عينيه العميقتين... اقترب عمر من ياسمينا رويدا... رويدا حتى كادت هامته أن تلامس هامتها، فهم أن يقبلها، لكن قاطعه رنين هاتفه... كانت المتصلة هي والدته... لم يرغب عمر في أن يجيبها أول الأمر لكن أمام إلحاح ياسمينا بأن يرد على هاتفه وافق في النهاية... كانت ياسمينا تعتقد أن والدته يقتلها القلق على ابنها، لكن عمر كان على ثقة من أن هناك أمرًا آخر تسعى شهيرة له؛ لذا استخدم مكبر الصوت لتستمع ياسمينا إلى مكالمة والدته.

بدأت شهيرة مكالماتها بالصياح في عمر؛ لأنه لا يرد عليها، ثم تحدثت مباشرة في موضوع القضية، وأملت شروطها عليه، فهي

تملك الورقة الرابحة التي ستقلب القضية رأسا على عقب؛ لذا فما على عمر إلا الإذعان التام لأوامرها، وهي تراها أشياء بسيطة جدا عليه الالتزام بها، بل هي ترى أن اتجاهها لمثل هذا الأسلوب الذي قد يبدو قاسيا بعض الشيء هو شكل من أشكال التربية الواجب عليها تجاه ابنها الذي سيضل طريقه... لخصت شهيرة شروطها في ضرورة أن يقطع عمر كل صلة بينه، وبين البدرشين، وأن يبيع كل أملاكه هناك... ثم طرحت عليه أسماء ثلاث بنات لمسئولين، ورجال أعمال عليه تحديد اسم واحدة منهن ليتزوجها، وبهذا تضمن ألا ينفرد أخواها بمصاهرة الكبار.

كان عمر يستمع لحديث والدته، وهو صامت، ويكتفي فقط بالنظر إلى ياسمينا التي ظهرت عليها كل علامات الدهشة، والفزع، والاشمئزاز مما تسمعه... بعد أن انتهت شهيرة من إلقاء أوامرها رد عليها عمر باقتضاب شديد، بكلمة واحدة

لا... لا..

فزعت الكلمة شهيرة، فثارت، وهددت، وتوعدت، ثم أغلقت هاتفها بحدة..

كان الفزع قد تملك ياسمينا، فلا يمكن أن تتخيل أن أمًّا تساوم ابنها على حريته، نظر لها عمر بعينين حانيتين، وابتسم لها، وكأنه يداعب طفلة صغيرة صدمت لتوها من أحد شرور الحياة المعروفة... حاول عمر أن يبدل مجرى الحديث كله، فتناسى كل ما قالته شهيرة، وركز فقط على ما فعلته.

مش ملاحظة أن شهيرة اختارت الوقت المناسب عشان تعكنن علينا.

اختفت ملامح الفزع من وجه ياسمينا، ونظر لها عمر مداعبا إياها.

هي شهيرة كده.... والدليل من يوم ما تدخلت في حكايتنا، وإحنا زعلانين مع إن أكتر زعل بينا كان يستمر....

صمت عمر لحظات.

عارفة أنا عمري ما زعلت منك بجد حتى، وأنا بواجهك كان قلبي ضدي، وواقف في صفك...

نظرت له ياسمينا بعينين يملؤهما مكر الأطفال.

أنا زعلانة منك على طول... حتى قبل موضوع المصنع إنت عمرك ما عملت خير...

صمتت ياسمينا، وكأنها تذكرت شيئا هاما، فأضاء وجهها بالابتسامة التي أسعدت عمر، وجعلت وجهه يتهلل فرحا..

إيه ياربي دخلت في حرب مع طفلة، ووقعت في غرامها.

نظرت له ياسمينا بحده، فأحس بالخطأ.

خير ؟!... فيه حاجة غلط.

طبعا... إنت حبتني قبل الحرب اعترف.

أعترف، وعندي الدليل.

أسرع عمر إلى سيارته، وأحضر لياسمينا زجاجة الرمل التي

حال خصامها دون أن يقدمها لها... كانت الزجاجة تحمل تاريخ يوم أن قابلته، وأخبرته بقصة المصنع، وتاريخ يوم أن هرعت لإنقاذه... لم تصدق ياسمينا نفسها عندما رأت الزجاجة، وما كتب عليها.

إنت مش معقول... إنت هايل.. إنت...

كفاية بعدين أتغر.

إنت فعلا إنسان جميل، وتستحق الدنيا كلها..

احكم عمر حصار نظرات عينيه حول ياسمينا، واقترب منها، وهو يحدثها بصوت هادئ.

إنت دنيتي كلها... وأنا مش عايز أكتر من كده.

اقترب عمر أكثر، وأكثر من ياسمينا، وأخذها بين ذراعيه، وقبلها من شفتيها... شعر كل منهما بأنفاس الآخر في صدره، فأحسا بالأمان، وسرى الدفء في أوصال كل واحد منهما، وتمنيا أن يغفل الزمان عنهما، وليتوقف قليلا، فقد أراد عمر أن يحكي لياسمينا قصة قلبه الذي يهيم حبا بها، وهي كانت مشتاقة لسماع تلك القصة... بارك الكون حكاية العاشقين، وزفت لهما السماء البشرى، فهطلت الأمطار.

كانت الأمطار غزيرة، وفاجأت عمر، وياسمينا اللذين رفعا رأسهما للسماء مهللين فرحا بهذه البشرى، وجريا معًا، وهما متشابكا الأيدي، وضحكاتهما تملأ المكان حتى وصلا إلى منزل

ياسمينا، فترك عمر ياسمينته لتصعد إلى بيتها، وأسرع هو إلى الشرفة التي تطل على حجرتها ليتأمل حبيبته... أحست ياسمينا بأن الوقت تأخر، ويجب أن ينال عمر قسطا وافيا من النوم، فخرجت إلى شرفتها، ورفعت رأسها تجاهه. فهم عمر إشارة ياسمينا، فأطاعها، وذهب لينام...أما ياسمينا فقد ظلت طوال الليل تفكر في كيفية إنقاذ عمر حتى غلبها النوم، لكن ظل عقلها يفكر، ويفكر، وفي النهاية هداها قلبها إلى الطريق الذي ستسير عليه.

(١٨)

لم يكن وكيل النيابة مقتنعا بالقضية التي أمامه... كان البلاغ ضد عمر يفضح نفسه بالكذب، والتجني، لكن لم يكن في يد وكيل النيابة أي شيء سوى التحقيق في البلاغ المقدم له... زاد الأمر سوءا فجور التسليط الإعلامي على القضية، فقبل أن يقف عمر أمام النيابة كانت هناك محاكمة إعلامية شديدة الشراسة معقودة له.

كان عمر يتوقع كم الكاميرات التي تنتظره، وهو في طريقه لمكتب المحقق، فافتعل الابتسام حتى لا يتم تفسير ملامح وجهه بطرق مختلفة، لكن مهما ادعى عمر من عدم الاكتراث، فقد كان على يقين من أن المؤامرة المحكمة ضده من الصعب النفاذ منها، وحتى لو طلب محاميه إحضار القرارات الخاصة به من المجموعة، فمن المؤكد أن إسماعيل يملك القدرة على إخفاء أي مستند في صالح عمر، كما أن شهيرة التي لديها الورقة الرابحة تساومه عليها... استسلم عمر لقدره تماما، وليحدث ما يحدث... خير أم شر... كل ما كان يعنيه هو ألا يترك ياسمينا تحت أي ظرف ليسجن أو يخرج من أزمته سالما لا يهم... استمر التحقيق مع عمر

فترة ليست بقصيرة.... كان عمر يجيب عن الأسئلة الموجهة له بصراحة تامة، ودون أي تحفظات.

أثناء التحقيق حدث أمر عجيب كان مفاجأة للجميع، فقد طلب أحد الأشخاص مقابلة وكيل النيابة مدعيا أن لديه مستندات هامة في القضية، ولقناعة وكيل النيابة بأن القضية ليست أكثر من تمثيلية سخيفة، فقد وافق على دخول الشاهد العجيب مباشرة... كانت ياسمينا هي التي طلبت مقابلة وكيل النيابة، وقدمت له مجموعة من الفواتير، وشرحت له ماهيتها، فقد استطاعت ياسمينا أن تحصل على الفواتير الخاصة بتسلم المستشفى التي تعمل بها للأجهزة الطبية التي تبرع بها عمر لقسم القلب، والتي تزيد قيمتها على المبلغ المتهم عمر بالتلاعب فيه... ليصبح الأمر كله إهمالاً أو تأخيرًا في إحضار الفواتير مما يؤكد على وجود تآمر ضد عمر كما كان يؤكد محاميه طوال الوقت خاصة أن مراجعة دفاتر التبرعات تمت بصورة فجائية، ومتعسفة، وهذا ما أكد عليه المحامي، وطلب إثباته... فهم المحامي كذلك نظرات عمر له، وماتحمله من دلالات، فأظهر موقف ياسمينا، وكأنه كان معروفا لديه، وهو من طلب منها إحضار الفواتير بصفتها الرسمية... لم يحاول وكيل النيابة مناقشة هذا الأمر فقد فهم هو الآخر نظرات عمر سواء لمحاميه أو لياسمينا..

انقلبت القضية رأسا على عقب، وتحول عمر من متهم إلى مجني عليه يراد النيل منه.

فاقت سعادة عمر كل الحدود ليس لنجاته من مؤامرة محكمة، لكن لأن نجاته كانت على يد ياسمينا لذا فبعد خروجه من سراي النيابة لم يلتفت لحشود الإعلاميين التي تحاصره بل أسرع يعدو نحو سيارته ليطير بها إلى البدرشين ليلحق بياسمينا... لم يستطع عمر الانتظار، واتصل بياسمينته التي كانت قد غادرت النيابة بعد شهادتها مباشرة، لكنها لم تستطع العودة إلى منزلها فقد كان القلق يقتلها تريد أن تعرف ماذا حدث لعمر، ولم تستطع في نفس الوقت البقاء وسط هذا الحشد من الإعلامين.

ظلت ياسمينا تجوب الشوارع، ورأسها يكاد ينفجر من التساؤلات.... وأخيرا رن جرس هاتفها، وكان المتصل هو عمر... لم تصدق ياسمينا نفسها، وظلت تصرخ من الفرح ثم انفجرت باكية.. فداعبها عمر.

هيه... أنا بخير، ولا إنت بتعيطي عشان ما اتحبستش زي ما كنتِ بتدعي عليَّ.

انفعلت ياسمينا من سخرية عمر اللاذعة.

والله إنت دمك تقيل، وأنا مش حا كلمك.

خلاص... بلاش كلام نتقابل.

قبل أن تجيبه ياسمينا لاحظ عمر أن هناك بعض السيارات تلاحقه، فأدرك أن ملاحقة الإعلام لن تنتهي، فأسرع بتغيير كل خططه، وعدل عن مقابلة ياسمينا بعد أن أفهمها الموقف، وعاد

مباشرة إلى شقة المهندسين... لم يحاول عمر الرد على أي اتصال تليفوني يكفيه هو أن يتصل، ومن المعروف بمن اتصل، وسيتصل دائما.

وقتها كانت ياسمينا تشعر باضطراب شديد من كم المشاعر التي تتصارع بداخلها، فبعد قلق طويل أنهك قواها ملأتها مشاعر الفرح، والأمل في اللقاء، والضيق من عدم التمكن من رؤية عمر.... كان عليها إخفاء كل هذه المشاعر، والعودة إلى بيتها. حاولت ياسمينا الابتعاد عن والديها اللذين عرفا بأمر نجاة عمر، لكنهما لم يعرفا التفاصيل بعد؛ لذا لم تكن ياسمينا تريد الحديث معهما في أي شيء، فأسرعت بالاختباء داخل حجرتها مدعية الإرهاق، وأن عليها أشياء كثيرة عليها إنجازها؛ لذا فهي ستنام بعض الوقت لتتمكن من السهر ليلا، ولا تريد أن يزعجها أحد... كانت تلك الحجج كافية لتبتعد عن والديها، وتبقى في حجرتها ممسكة بهاتفها تنتظر مكالمة عمر... حاولت الاتصال به، لكنها تراجعت في عناد طفولي.

«هو الذي يجب أن يتصل بي... ألم يكن هو من اعتذر عن عدم اللقاء، فعليه أن يتصل معتذرا، وشارحا لكل ما حدث»

وكأن عمر كان يستمع لكل ما تفكر ياسمينا فيه، فأسرع بالاتصال بها، ولم ينتظر سؤالها، بل أعطى لها شرحا مفصلا لكل شيء، لكنها عارضته كعادتها.

ياسلام... طب ماجتش البدرشين ليه ؟

ليه يا ياسمينتي عايزاني أموت.

تموت ؟!

طبعا... ما أنا حايكون ورايا كل وسائل الاعلام يعني مش حاأقدر أشوفك، وطبعا لما تكوني جنبي في نفس المكان، وما أقدرش أشوفك يبقى أيه غير الموت ده حتى الموت أقل بكتير من العذاب ده... هو أنا عرفت أروح البيت طول ما إنت كنت زعلانة مني.

صمتت ياسمينا، وصمت عمر منتظرًا أن تتكلم... كان وجهه كله فرح، وهو يتخيل وجهها، وقد اكتسى بالخجل، فآثرت الصمت قليلا، لكنه لم يشجعها على الحديث، بل ظل صامتا يستمتع بسماعه أنفاسها... وأخيرا استطاعت ياسمينا أن تتخلص من خجلها قليلا، وتعود لحديثها معه..

عمر أنا كان نفسي أشوفك... أنا لحد دلوقتي خايفة ليكون كل اللي حصل ده كان حلم، ومشكلتك لسه ما تحلتش.

يا الله... عارفة حتى لو حكموا عليَّ بالإعدام... كفاية إني سمعت منك الكلام ده.

احتدت ياسمينا في الكلام.

عمر، والله لو جيبت سيرة أي حاجة وحشة تاني أنا...

قاطعها عمر مداعبا.

حاتضربيني تاني... ياريت.

ردت عليه ياسمينا بصوت خافت، وتلعثمت قليلا.

عمر... أنا آسفة والله ما كنتش... مش عارفة أنا..

إيه كملي... إنت إيه ؟... إنت حبيبتي، وروح قلبي، ودنيتي كلها، وأنا أستاهل الضرب عشان زعلتك حتى لو كان ده مش بقصدي..

صمتت ياسمينا، ثم فاجأت عمر بسؤالها.

يعني إنت فعلا بخير... والموضوع انتهى ؟!

رد عمر عليها ضاحكا...

تحبي أحلف لك على المصحف...

قبل أن تجبيه ياسمينا تبدلت جميع ملامح عمر... سكنه الخوف، والقلق، والغضب فقد انفتح باب شقته، وكان القادم هو والدته.... أنهى عمر مكالمته سريعا مع ياسمينا، وطلب منها العفو فقد لا يتمكن من الاتصال بها قبل الغد، ثم استعد للموقعة الكبرى.

كانت نظرات والدته حادة، وخالية من أي عاطفة تتصل بالأمومة... لقد كانت كنمرة شرسة جريحة تحركها رغبة مسعورة للافتراس... شعر عمر بها، فأوجس خيفة، لكنه وقف في مواجهتها لتعرض ما لديها.

تحدثت شهيرة بنبرات ساخرة مما يظنه عمر انتصارا، فالقضية كانت ستنتهي كما بدأت فهي قضية واهية، لكن الأهم أنها كشفت

بجلاء عن شخصية صديقته أو بمعنى آخر علم الجميع من هي ملاكه المنقذ، وليواجه عمر قدره، فهو بيده سيقضي على ملاكه، وقتها من سيكون المنقذ؟... ضحكت شهيرة ضحكة شيطانية جعلت الدماء تغلي في رأس عمر الذي رد عليها بحدة شديدة.

إنت بتهددني بياسمينا.

لوحت له شهيرة، وهي تتجه لمغادرة المنزل.

مش أنا اللي بهدد، كل أعدائك، وحبابيك نفسهم يتخلصوا منها.

استشاط عمر غضبا من كلام والدته، لكن كلماتها في نفس الوقت قد أدخلت الفزع إلى قلبه، فأسرع إلى هاتفه ليتصل بياسمينا... تحدث إليها بلهفة، وخوف.

ياسمينا... إنت بخير؟!

اندهشت ياسمينا من طريقة عمر في الحديث الذي أنهاه مسرعا، وبدأ بعده سلسلة من الاتصالات بأفراد أمن المجموعة جندهم كلهم ليكونوا عيونا على إسماعيل، وشهيرة، وعيونا بعضهم على البعض.... كما أجرى سلسلة من الاتصالات الأخرى ليحدد الطريقة المثلى للخروج من مستنقع الوحل الذي يكاد أن يغرقه.... لم يكتف عمر بالاتصالات فقط، بل عقد لقاءات عمل متواصلة حتى بلغ منه الإعياء مبلغا، وتأخر الوقت، فكان عليه العودة إلى المنزل، وقبل أن يستسلم للنوم اتصل بياسمينا ليطمئن

عليها... ورغم ما كانت تشعر به ياسمينا من إرهاق، فلم تستطع أن تنام هي الأخرى قبل أن يتصل بها عمر... كان كل واحد منهما يشعر بالإرهاق الشديد، لكنه كان في حاجة ملحة لسماع صوت الآخر حتى يزول كل ما يشعر به من تعب... يكفي كلمة واحدة، ولتكن «أحبك» يقولها عمر.... أو كلمتين «أتمنى رؤيتك» تعترف بهما ياسمينا، وربما أكثر، وأكثر، وأكثر...

ليستمر حديث العاشقين عن كل شيء، وأي شيء... كان يتحدثان، وقد استلقى كل واحد منهما على سريره حتى راحا في سبات عميق.

استيقظ عمر بعد فترة ليست طويلة، فوجد الهاتف في يده، والاتصال مازال قائما... استمع قليلا لأنفاس ياسمينا، وهي نائمة، أو هكذا ظن، ثم أغلق هاتفه بسرعة حتى لا يحدث أي صوت، فيقلقها.

رغم الإرهاق الشديد الذي كان عمر يعاني منه، فقد أصر على مواصلة طريقه، فعامل السرعة حاسم في مثل هذه الأمور، فاتصل بالشريك الأجنبي في صفقة الفنادق، وأبلغه بالخلافات المتصاعدة بينه، وبين الشركاء الأساسيين في المجموعة مما يعني ضياع الصفقة دون أي شك، ولم يكتف عمر بذلك بل سرب لجهات كبرى كل ما لديه من معلومات مؤكدة عن الأعمال القذرة التي يقوم بها شريك إسماعيل، ونسيبه ليريا كيف ستواجه قناتهما هذا السيل من المعلومات المؤكدة... أخيرا قرر عمر الذهاب

للمجموعة ليدخلها كقائد منتصرا.

كان النهار مازال في أوله، والجو معتدل رغم وجود بعض نسمات الهواء الباردة، فقرر عمر أن يستمتع بالهواء الجميل، وهو يحتسي الشاي في شرفة حجرته... كان وهو يعد الشاي يتذكر الليلة التي احتسى فيها الشاي هو وياسمينا وكلماتها عن الشاي الساخن التي جعلته يعشق هذا المشروب، لكن كيف سيستمتع به دون أن تكون ياسمينا معه ؟!

لم يتردد عمر لحظة، واتصل بياسمينا... كانت ياسمينا تستعد للذهاب إلى المستشفى، وكانت تشعر بسعادة غريبة، وتملكتها رغبة ملحة في الاستمتاع بالطقس المنعش مع كوب من الشاي الساخن... لم يصدق عمر، وياسمينا أنفسهما عندما وجد كل واحد الآخر يفعل مثله، ويتملكه نفس الشعور.

وبعفوية الأطفال صاحت ياسمينا.

إنت على طول بتحب تقلدني في كل حاجة.

رد عليها عمر ضاحكا.

طب نشوف مين اللي صحي الأول عشان يبقى التاني هو اللي بيقلده.

أنا مش عارفة إيه اللي حصل... أنا لما صحيت كان التليفون في إيدي...

من غير زعل، ولا خجل إحنا فضلنا نتكلم لحد ما نمنا سوا..

قاطعته ياسمينا بحدة لتخفي خجلها.

عمر.. أنا ورايا شغل... سلام.

أنهت ياسمينا المكالمة بسرعة، وعمر يضحك من تصرفات تلك الطفلة التي تحمل لقب دكتورة...

«آه يا طفلتي الخجولة كم أشتاق لرؤيتك... آه متى يأتي اليوم الذي تكونين فيه بجواري دائما... لماذا أتأخر لأسرع بإتمام زواجنا... وقتها نحتسي الشاي معًا في الشرفة، وأنت أمامي، وليس عبر الهاتف... وقتها سأكون أنا، وأنت فقط معا... لن نسرق لحظات قصيرة من الزمن لتفري بعدها مني مسرعة، بل سيكون الزمن كله لنا... آه ياقلبي.... أيمكن أن تتحمل كل هذه السعادة ؟!.

سبح عمر في بحار خياله يحلم بياسمينا معه في كل مكان، وكأنها أصبحت جزءا منه... لا هي بالفعل جزء منه يطير به محلقا في سماء السعادة...

انتبه عمر على صوت جرس الباب، فأسرع بفتحه... كانت المفاجأة التي أدهشت عمر للحظات، لكنه عاد لطبيعته، ورحب عظيم الترحاب بالزائر... لقد كان المهندس محمد هو الذي حضر لعمر بعد أن قرأ، وشاهد كل ما قيل، وأشيع عن التحقيق معه، وكيف تم ذكر اسم ابنته على أنها الطبيبة الشابة التي أنقذت رجل الأعمال.. رغم عدم وجود أي تلميحات سيئة حول ياسمينا،

فمجرد ذكر اسمها في مثل هذه القضية أزعج والدها، فأسرع بالذهاب لعمر...

كان عمر لا يجد أي شيء يستحق التوتر، بل على العكس انتهز الفرصة ليتحدث مع محمد في الترتيبات الخاصة بارتباطه بياسمينا... احتد محمد قليلا على عمر، لكن الغضب لم يتملكه، بل حاول أن يقلل من انفعاله في حديثه مع عمر.

شوف يابني من غير مقدمات سيب بنتي في حالها، وكفاية اللي حصل لها.... أنا عرفت إن نجلا كلمتك، وإنت...

قاطعه عمر بحدة.

إيه اللي بتقوله ده ؟! هو كان كلام عيال مش سبق وخطبتها منك.

يابني إنت نسيت اللي حصل بينكم، وإحنا كنا شاهدين عليه.

رد عمر ببرود.

خصام بيحصل ما بين أي اتنين مخطوبين، وبعدين اتصالحنا، والمفروض إنك تحدد ميعاد كتب الكتاب.

مخطوبين إيه ؟! أنا ما كلمتش ياسمينا في موضوع الخطوبة لما شفت اللي حصل بينكم.

شعر عمر بالحرج، وكأنه ارتكب جرما، ووشى لوالد ياسمينا بأشياء ما كان يجب أن يبوح بها.... وزاد من شعوره بالحرج نظرات محمد التي كانت تحمل معاني كثيرة... استكمل محمد

كلامه.

أنا عارف إنك بتقابل ياسمينا، لكن أرجوك سيب بنتي في حالها أنا ما ليش في الدنيا غيرها هي، وأختها، وإنت شايف حياتك كلها لخبطة، ومؤامرات حتى من أقرب الناس لك... يعني بنتي تعمل إيه وسطهم، ربنا يستر عليها، وما ينتقموش منها على وقفتها معاك... يابني حرام تعرضها للأذى عشان وقفت معاك، ونجتك من مؤامرة قذرة.

نظر له عمر بحدة، وغضب.

إنت شايفني ضعيف للدرجة دي، ومش حاأقدر أحمي البنت اللي بحبها... وبعدين ياسمينا خطيبتي، وحاتبقى مراتي... إنت ليه عايز تقف ضد سعادتنا ؟! فيه حد يحرم بنته من الشخص اللي بيحبها، ومستعد يفديها بروحه.. يعني إنت عايز تجوزها لواحد يخدها كأي واحدة عادية، وفي أي موقف صعب يهنها، ويبهدلها..

صمت محمد...ثم تنفس بعمق، وأصدر حكمه النهائي.

حبك لبنتي أكبر بهدلة لها... كفاية يابني حرام عليك... لا أمك، ولا عيلتها حايسيبوا بنتي، ولو حصل لها أي حاجة إنت مش حا تقدر تتحمل... كفاية... دي علاقة لا يمكن تكمل... كفاية.

ترك محمد عمر، وقد أدخله في دائرة مغلقة من الحيرة، والقلق... أصبح رأسه مسرحا للعديد من التساؤلات، وطاردته

الخيالات حول ما يمكن أن يفعلوه في ياسمينا انتقاما منها أو منه، وظل يسأل نفسه كيف يمكن أن يحميها، وإن لم يستطع ماذا سيكون مصيره ؟! لم يستطع عمر حتى تخيل أي ضرر يمكن أن يصيب ياسمينا... كان ينتفض فزعا كلما جال بخاطره صورة أي مؤامرة قد تحاك ضدها، فماذا لو نجحوا في تنفيذها، ولم لا؟ ألم تتآمر أمه سلبا ضده، فماذا لو تآمرت إيجابيا.

صرخ عمر من شدة الآلام التي تمزق صدره، وأسرع بمغادرة المنزل، والذهاب لعرين الأسد ليواجه أعداءه وجها لوجه... كان إسماعيل قد استشعر الخطر عندما وصل إليه نبأ نجاة عمر، فأسرع بمغادرة البلاد، فقد كان يضع في حسبانه هذا الاحتمال، وأعد العدة للفرار، لكنه ظل على اتصال دائم بأولاده الثلاثة الذين انضمت إليهم بهيرة، وأسرتها لتكوين جبهة قوية ضد عمر..

لم يعبأ عمربكل ما يقومون به من تكتلات عنكبوتية، واستمر في تنفيذ خططه، وليكن ما يكون.... كل ما كان يقلقه هو خوفه على ياسمينا، والذي ضاعف منه ما وصله من أفراد أمن المجموعة بأن شهيرة تجمع معلومات عن ياسمينا، وتحركاتها... هنا أدرك عمر أن الانتقام من فتاته قادم لا محالة... فكان على عمر أن يتخذ القرار الحاسم، وياله من قرار إنه الحكم بالإعدام على قلبه، لكن لا يوجد مفر... كيف سيطاوعه ضميره في أن يلحقق الضرر بياسمينته... كان قلبه ثائرا عليه، وضلوعه تصرخ فيه تعده بحمايتها بأن تضعها بداخلها بأن تفتديها، لكن عقله لم يكن يطاوع

طفولية القلب، وأحلامه. فمهما حاول هم الأقوى، وعليه أن يخرج ياسمينا من دائرة الفساد التي تحيطه، وتضيق عليه.... ربما ينجو منها، وقتها قد يجد ياسمينا بعد طول عذاب.... وربما لا ينجو، والأسوأ ألا يجد ياسمينا بعد طول العذاب... حتى، وإن حدث ذلك يكفي سلامتها.

غرق عمر في تفكيره الذي قطعه اتصال ياسمينا، فرد عليها باقتضاب شديد، واتفق معها على اللقاء في نفس المكان، ونفس الميعاد.

استعدت ياسمينا للقاء عمر عظيم الاستعداد، وارتدت أجمل ما لديها من ثياب، وأسدلت شعرها فوق كتفيها... شعرت جوليا بسعادة صاحبتها فظلت تقفز حولها... أخذتها ياسمينا بين أحضانها، وألبستها طوقا من الياسمين؛ لتبدو في صورة جميلة استعدادًا للقاء عمر، وأخذت تحدثها عن كل ما يهمس لها به قلبها..كانت ياسمينا تشعر بالسعادة تغمرها، فهمست في أذن جوليا تخبرها بسر خطير.

أنا واثقة يا صديقتي إن عمر عايز يعلن خطوبتنا رسميا... لا... لا عمر عايز أكتر من الخطوبة... آه ياجوليا أرد عليه، وأقوله إيه؟!

حاولت ياسمينا أن تسيطر على انفعالاتها، وتستعد لمفاجآت عمر، وتضع السيناريوهات المختلفة، وكيف سترد عليها... رغم كم السيناريوهات التي وضعتها ياسمينا، فهي لم تضع مطلقا

السيناريو الذي فاجأها عمر به.

تعمد عمر أن يتأخر عن موعده قليلا، ولم يرد على ياسمينا عندما اتصلت به، ثم ظهر لها. كان يسير ببطء عابث الوجه لا ينظر إليها، بل يوجه نظراته بعيدة عنها، وكأنها لا تعني له شيئا. اندفعت جوليا نحوه، فحملها بين ذراعيه، وضمها إلى صدره، وأخذ يقبلها، ويشم رائحة الياسمين المنبعثة من بين شعرها.... كان قلبه الدامي يصرخ ألما يريد أن يرتمي بين أحضان ياسمينا لينعم بالحياة، لكن عمر كان قد أصدره حكمه النهائي بإعدامه، ولا مجال للتراجع.

احتارت ياسمينا في أمر عمر، وتجمدت في مكانها من برودة اللقاء.. تقدم عمر منها، وهو يحمل جوليا لتكون حاجزا بينها، وبين ضلوعه التي كانت تقاومه لتخبىء ياسمينا بينها، فتمنع الشر عنها، وتنقذ قلبه من حكم الإعدام، لكن عمر أصر على تنفيذ حكمه، فتحدث إلى ياسمينا مباشرة، ودون أي مقدمات حتى دون أن يلقي عليها تحية أو سلام.

ياسمينا... إحنا لازم ننهي كل حاجة بينا... أنا راجعت نفسي فعلا أنا مقدرش أسيب المجموعة... دي الحياة اللي ما أعرفش أعيش غيرها، وكمان أنا أكتشفت إنك كنت بالنسبة لي مجرد بنت صعبة، وأنا بحب التحدي.. وعموما كويس إن ما حصلكيش حاجة ولا تعرضتي لأذى من علاقتنا.

نظرت له ياسمينا بعيون زجاجية، ووجه ميت خال من أي تعبير، وانتزعت جوليا من بين ذراعيه، وجرت عائدة إلى منزلها....ظل

عمر واقفا في مكانه يتابع ياسمينا، والدموع متحجرة في مقلتيه، وقلبه يصرخ مناديا عليها.

«ياسمينا... ياسمينا.... لا تصدقي هذا القاتل الحقير، وصدقيني أنا.... أنا القلب الذي لا يكذب... ياسمينا ارجعي... ارجعي... أنا في أشد الحاجة إليك... ارجعي... ارجعي...»

(١٩)

كانت كلمات عمر كالأشباح تطارد ياسمينا تسرع الخطى لتهرب منها، لكنها تجدها في مواجهتها ترن في أذنيها... حاولت النوم، فاضجت كلمات عمر مضجعها، وضعت الوسائد فوق رأسها، فأخترقت كلماته كل الحواجز، وظلت كالخناجر تدمي قلبها..

كان قلب عمر أكثر منها تألما، فقد خاصم صاحبه، وظل يحاول الفرار من صدره حاول، وحاول القفز من بين ضلوع عمر حتى تعب، فصاحت دقاته تعلن العصيان، وكأنها أصوات ثائرين، فأجبرت عمر على الاندفاع نحو الشرفة المطلة على حجرة ياسمينا ليراها، ويطمئن عليها، لكنها كانت قد أحكمت إغلاق شرفتها.

استرق عمر السمع علها تلجأ إلى البيانو لتحكي له عن عذابها، لكنه لم يستمع إلا لصوت الهواء البارد العاصف الذي نقل له أنين قلب ياسمينا... ظل عمر يضرب الأرض بقدمه، ويضرب كل ما يراه من أشياء، وهو يصيح :

« لماذا يحدث معي كل هذا؟! إن كان هذا هو عقاب السماء لي

على ما اقترفته من أعمال مشينة، فما ذنب ياسمينا؟.. آه... آه يالني من وضيع أدميت قلب من أحبها... يالني من ملعون... ملعون.»

كاد عمر أن يعصى عقله، وكل ما أصدره من أحكام، وهم أن يذهب إلى ياسمينا... يطرق بابها، يأخذها بين ذراعيه... يضمها إلى قلبه لتستمع لنبضه الذي يصرخ بحبها، أو ليركع أمامها طالبا العفو، والسماح.

قبل أن ينفذ عمر ما هم به دق جرس هاتفه... كان الاتصال من أخيه علي الذي حذره مما يدبر ضده هو، وياسمينا. كان علي شديد التعاطف مع قصة حب أخيه، لكن ما وجده من مؤامرات تحيكها والدته جعله يسرع لينبهه إلى سوء العواقب خاصة مع هروب إسماعيل، وسعي شهيرة جديا لإحكام سيطرتها على المجموعة....وطبعا لن يناسبها مطلقا وجود ياسمينا في الصورة..

شعر عمر بالدنيا كلها تدور من حوله، فما حسبه نصرا على خاله تحول فجأة إلى هزيمة نكراء لقلبه... ماذا يفعل هل يقلب المائدة على والدته هي الأخرى ؟! أم عليه أن يضحي بالمجموعة كلها؟! وحتى إن فعل ذلك فهل ستنجو ياسمينا ؟!... حقا لقد عرفوا نقطة ضعفه...

كان على عمر أن يترك البدرشين كلها، ويرحل تاركا قلبه مع ياسمينا.. استسلم عمر لقدره، فأي محاولة للخروج من المجموعة ستقابل بكل شراسة... وازداد الأمر سوءا ما حدث

مع إسماعيل، ففى أقل من أسبوع كانت المعلومات التي سربها عمر عنه قد أتت ثمارها، وقلبت كل الموازين ضد إسماعيل، وأحرجت أولاده، وازداد الأمر بالتحقيق مع شريك إسماعيل مما عقد الأمور ضد إسماعيل الذي لجأ إلى الاختفاء التام، لكن أولاده لم يستطيعوا الهروب، وانشغلوا بالتحقيق معهم، وقد انعكس ذلك على ارتباطاتهم الشخصية حتى علاء أجل المسئول الكبير ارتباطه بابنته حتى ينتهي موضوع إسماعيل، وهكذا استتبت الأمور كلها لشهيرة، ففي لمح البصر وجدت نفسها تحكم سيطرتها على المجموعة، وتتوج ابنها رئيسا فعليا لمجلس الإدارة دون أن يجرؤ أي شخص على المعارضة..

كان الاحتفال بتولي عمر رئاسة مجلس إدارة المجموعة بالنسبة له أشبه بشخص يحضر جنازته، فقد وجد نفسه، وقد أصبح جسدا يسير وسط الناس، ويتلقى التهاني، أو بمعنى أصح التعازي، فمنذ عشرة أيام كان يغط في السعادة رغم أنه كان مهددا بأن يخسر كل شيء، وهو الآن يملك كل شيء، لكنه خسر روحه التي تركته غير نادمة ليصبح جسدا ميتا سرعان ما سيتعفن، فروحه لم، ولن تترك البدرشين، لقد ظلت هائمة حول ياسمينا التي أكلها الذبول، لكنها كانت تقاوم بالانغماس في استذكار دروسها، فقد أصبح مستقبلها الدراسي هو همها الأول، والأخير، وهو وسيلتها الوحيدة للهروب من كلمات عمر القاتلة... لقد وجدت عزاءها في شفاء قلوب الناس علها تجد يوما ما دواءً لقلبها...

رغم محاولة ياسمينا بأن تظل متماسكة، فروح عمر الهائمة حولها أحست بآلامها، فذهبت إليه لتضج مضجعه، فكيف ينعم بالنوم، وياسمينا يأكلها السهاد؟!... كان عمر كل ليلة يستيقظ من نومه فزعا، وهو يرى ياسمينا حزينة، ويسمع صوت بكائها يهز كيانه حتى كانت الليلة التي تولى فيها رئاسة مجلس إدارة المجموعة، وقتها وجد نفسه في محاكمة شرسة من روحه، وعقله وقلبه، الكل يدينه، فهو ليس أكثر من شخص جبان باع حبه، وقبض الثمن، ويمثل الآن دور الشهيد... لم يستطع تحمل كل هذه الاتهامات، فهرب لحجرة جدته، فوجدها جالسة فوق سريرها، وتشيح بوجهها عنه.

لم يتردد عمرلحظة، وغادر المنزل مسرعا ليعود إلى بيته... ليعود إلى البدرشين.

كانت أصوات كل شياطين الإنس، والجن ترن في أذنيه مهددة، ومتوعدة إياه هو، وياسمينا، لكن قلب عمر كان أقوى منهم جميعا... وكان حكمه نافذا، وليس على عمر سوى الإذعان... لتختفي كل الأصوات، ولا يبقى غير صوت ياسمينا يرن في أذنيه عندما وقفت تتحدى الجميع في سبيل مبدئها، ولم يكن لها أي مصلحة أو هدف شخصي، فلماذا يكون أقل منها... ليتحداهم جميعا؟! وظل يسأل نفسه.

«ألست رجلا؟! فلماذا أهرب من تحمل مسؤولية حماية حبيبتي؟! أي رجل أنا حتى لا أحمي بيتي، وأهله؟! أهي تجازف،

ولا تهتم بالعواقب لتنقذني مرة من غدر علا، ومرة ثانية من مؤامرات إسماعيل، وأنا أتسبب في حزنها أياما، وليالي طوال... يالني من وغد حقير... أحمق... أحمق !!»

ظل عمر يؤنب نفسه طول الطريق حتى وصل إلى بيته... كان الوقت قد تأخر كثيرا، لكن ياسمينا كانت لا تزال مستيقظة... صعد عمر مسرعا إلى الشرفة التي تطل على حجرة ياسمينا.... رغم اندماج ياسمينا في المذاكرة، فقد شعرت بعيني عمر تعانقانها حاولت إنكار هذا الظن في البداية، لكن قلب عمر المحترق شوقا هرع إليها ليعانق قلبها الذي كان مثله يحترق شوقا، فأسرعت ياسمينا وخرجت إلى شرفتها، ونظرت لأعلى لتجد عمر واقفا يتأملها، فظنت أنها تتوهم، لكنها كانت الحقيقة، فأطلقت وابلًا من السهام النارية من عينيها، وتركته، وعادت إلى حجرتها..

أدرك عمر رسالة ياسمينا، وأيقن أن الوسائل السلمية لن تجدي... أذن هي الحرب ابتسم عمر، وهو يتذكر معاركه معها.

« آه يا عدوتي العنيدة... أتريدينها الحرب؟ لتكن فهي تجدد المياه الراكدة كما يرى أحد الفلاسفة... كم خضنا من معارك في حربنا حول المصنع... لتكن المعركة الأخيرة... ونرى من سيكون القائد المنتصر... آه ياقطتي المشاكسة مهما تكن النتيجة، فأنا دائما أسير هاتين العينين المتلألئتين بالحب، والعناد، وشقاوة الأطفال.»

ظل عمر يخطط لمعركته مع ياسمينا حتى غلبه النوم، وفي

أحلامه رأى جدته تقدم له النصائح لتحقيق الانتصار في معركة قلبه.

استقبل عمر يومه في همة، ونشاط. اتجه مباشرة إلى مصنعه. وقف أمام اللافتة الكبيرة التي تحمل اسم البرديسي، وشعر بالزهو، وكأنه يرى مصنعه لأول مرة. إن كل هذا الكيان الضخم ملكه هو... هو وحده بدون أي مؤامرات أو فضائح.

دخل عمر مكتبه في المصنع، وكأنه ملك متوج يدخل قاعة عرشه. كان أول ما فعله الاتصال بأحد سماسرة العقارات لبيع شقة المهندسين، وفيلا المعادي، ثم واصل عمر اتصالاته التي كان قد بدأها من قبل، وذلك حتى يخرج من المجموعة دون أي خسائر.

عندما قارب اليوم على الانتصاف عقد اجتماعا مغلقا مع المهندس محمد لمناقشة أحوال المصنع، ومراجعة خطة التطوير.

كان محمد يشعر بالإحراج من عمر الذي كان يحدثه بأسلوب رسمي لا يخلو من التكلف مما زاد من توتر محمد... في نهاية الاجتماع تحدث عمر برزانة، وهدوء، وإن كانت نبرات صوته تحمل بعض السخرية.

أتمنى إنك تكون سعيد بالحالة اللي وصلنا لها أنا، وياسمينا.

تردد محمد قليلا ثم رد عليه بنبرات بها خبث.

ما إنت دلوقتي بقيت رئيس مجلس إدارة المجموعة.

نظر له عمر شزرا، ورد عليه بحدة.

آه... يعني أنا بعت ياسمينا، وقبضت التمن... فعلا أنا رجل أعمال عظيم ممكن يكسب في أي صفقة.

لم يستطع محمد الرد، واستأذن بالانصراف، لكن كلماته كانت كالخنجر يدمي جرحا في قلب عمر كان يظنه أنه قد أوشك على الشفاء... حقا لقد باع حبه مقابل المنصب... ياله من وغد حقير حتى من يحاول أن يلعب دور الشهيد أمامه اكتشف خديعته...

ظل عمر طوال الوقت يأكله الغضب، ويلعن نفسه لأنه انساق وراء مخاوفه .

« جبان... حقير »

حاول عمر التخفيف من جلد ذاته، لكنه لم يستطع، فعاد إلى بيته، وانتظر قدوم ياسمينا في شرفته.... ما أن دلفت ياسمينا من بوابة المنزل حتى أسرع عمر بالخروج، وكأنه في عجلة من أمره... عندما غادرت ياسمينا سيارتها وجدت نفسها وجها لوجه أمام عمر الذي تصنع أنه يستعد لركوب سيارته، وألقى عليها التحية مسرعا لكنها لم تجبه، وأشاحت بوجهها عنه... اصطنع عمر الجدية، ونادى على ياسمينا بحزم، فأجبرها على الالتفات إليه، فتحدث لها بسرعة، وبأسلوب مباشر، وكأنه يلقي عليها بيانا.

على فكرة إحنا بنجدد المصنع، وعايز كل الأوراق الخاصة بطلباتك عشان موضوعات الصحة، والبيئة.

كان عمر يتحدث، وهو لا ينظر إلى ياسمينا، بل كان يوجه كلامه لها، وهو يركب سيارته، وتحدث بأسلوب متعجرف أثار غضب ياسمينا... لم ينتظر عمر منها ردا، وأدار سيارته مسرعا، وهو يكمل كلامه.

أنا ما عنديش وقت النهاردة الساعة تسعة لا عاشرة ممكن أفضي نفسي ربع ساعة.

أدار عمر محرك السيارة، وانطلق مسرعا دون أن يعطي لياسمينا أي فرصة للرد... للرفض...أو للقبول.

ظلت ياسمينا واجمة للحظات، ثم وقعت في بحر من الحيرة أمواجه متلاطمة... شعرت بأن عمر يفعل كل هذا من أجلها، لكن عادت كلماته القاتلة ترن في أذنيها... اشتاقت لرؤيته خاصة أنه اختار نفس موعد لقائهما، لكنها خافت من هذا اللقاء... وظلت تسأل نفسها:

« ماذا يريد؟!... أتراه نادمًا على ما قاله أم أن تحديه لم ينته، ويريد المزيد ؟!»

انقبض صدر ياسمينا فجأة عندما جال بتفكيرها هذا الخاطر، فأسرعت بإحضار الأوراق الخاصة بالمصنع، وأعطتها لعم كامل ليوصلها لعمر.

انتظرت ياسمينا عودة عمر... كانت تشتاق لرؤية رد فعله عندما يتسلم الأوراق من عم كامل... هل سيغضب ؟... هل سيتصل

بها؟ هل.... وهل ؟! لكن عمر خذلها، وتلاعب بأعصابها.

تسلم عمر الأوراق بعدم اكتراث، وجلس يقرؤها في حجرة المكتب، كان يعطي ظهره للشرفة، فقد كان واثقا من أن ياسمينا تراقبه من شرفتها... استمر عمر في الادعاء بأنه يقرأ الأوراق، والسعادة تغمره، فخطته تسير بنجاح.

شعرت ياسمينا بإحباط شديد، فقد أيقنت أن كل ما قاله عمر لها كان صحيحا، وتكذيب قلبها له ليس أكثر من وهم، تذكرت ما سبق أن أخبرها به من أن والدته تخاف من أن يفتح عليهم موضوع المصنع أبوابًا كثيرة، ورغبتها في إغلاق ذلك الموضوع، وهذا ما يفعله عمر الآن.... هنيئا له بالمنصب الجديد، والحياة التي اختارها.

لم تذق ياسمينا النوم في تلك الليلة، وظل الألم يعتصرها... كانت حجة عمر هي بارقة الأمل الأخيرة لقلبها ليعود مرة ثانية ينبض بالحياة... ينبض بحب عمر، لكن ياله من أمل خادع، فعمر اختار حياته، ولن يعود ثانية لشجرة الياسمين...

هكذا أقنعت ياسمينا نفسها، فغرقت في بحر من الدموع التي شعر بها عمر نارا تكوي صدره، لكن ما كان يستطع أن يفعل لها شيئا، فقد رأى أن القسوة أحيانا تكون أسرع، وأجدى من الأساليب التقليدية.... ليقسو عليها اليوم، فالغد ينتظرهما بكل ما يحمله من حب، وسعادة...

(٢٠)

تعمد عمر أن يخرج من بيته، وقت خروج ياسمينا، وألقى عليها التحية، وهو يسير مسرعا متجها إلى سيارته... لم ينتظر منها ردا... كانت ياسمينا تسير ببطء واجمة تنتظر أن يوجه عمر لها أي حديث، لكنه هم أن يركب سيارته، وأخيرا التفت إليها، وكأنه تذكر شيئا، وحدثها بتكبر.

على فكرة أنا مافهمتش حاجة من الورق اللي بعتيه.

لم ترد عليه ياسمينا، وظلت واجمة... استكمل عمر كلامه غير مهتم بالنظر إلى ياسمينا.

المصنع حايتطور بسرعة لو إنت جادة، وملتزمة بدعوتك... ممكن نتكلم في طلباتك.

أثارت كلمات عمر ياسمينا، فردت عليه بحدة.

يعني إيه جادة، وملتزمة ؟!

رد عليها عمر ببرود.

والله الورق الغريب اللي بعتيه بيدل على إنك مش عارفة إنت عايزة إيه.

ازدادت حدة ياسمينا.

إنت بتقول إيه ؟!

أشار لها عمر، وهو يركب سيارته.

خلاص...لو عايزة تتكلمي في الموضوع ممكن أفضي لك نفسي بعد يومين... لا...لا ممكن بكرة الساعة خامسة.

اندهشت ياسمينا من الموعد الذي حدده لها، وصمتت برهة، ثم تحدثت بصوت واهن.

ممكن تبقى الساعة عاشرة إنت....

لم تستطع ياسمينا استكمال كلامها، فلم ينتظرها عمر، وأقلع بسيارته، وهو يشير لها بالموافقة...

تملك الغضب من ياسمينا، فقد كان أسلوب عمر معها مستفزا إلى أقصى درجة حتى أنها فكرت في أن تقذفه بأي شيء أمامها... ضحك عمر بسعادة، وهو يرى ياسمينا في مرآة السيارة، وقد أكلها الغيظ، فكلما ازداد غضبها فقدت السيطرة، والتحكم في أفعالها، وكلامها، والنتيجة هي أن تخرج كل ما في قلبها دون أي تفكير، وهو المطلوب تحقيقه...

وعلى الجانب الآخر اتخذ عمر كل الإجراءات المطلوبة للاستقرار في البدرشين، فجمع كل متعلقاته، وملابسه، وأرسلها إلى هناك، كما اشترى حجرة نوم جديدة، وبعض الأدوات المنزلية، كما أنه تخلص من الكثير من الأشياء التي ارتبطت بأيام

العبث، واللهو.

كانت سيارات النقل تأتي إلى منزله تباعا، ومحمد، ونجلاء يتابعان ما يحدث، ولا يفهمان شيئا، فأسرعت نجلاء بسؤال العم كامل الذي كان عمر قد سبق، وأعطاه معلومات مضللة عن أنه ينوى إقامة حفلات، ودعوة رجال الأعمال إلى قصره، وهو يعد المكان لهذا الغرض.

استشاطت ياسمينا غضبا عندما علمت بذلك، وتأكدت أن عمر ماض في طريقه نحو مستنقع الفساد المركب، ولا أمل في أن يعود للطريق الصحيح مرة أخرى، ولم تدر كيف عاد بها الزمن لسنوات للوراء، وتذكرت حديث والدها عنه، وكيف كان يفتخر به وبتربية والدته لحفيدها، لكن من يدخل في دائرة الفساد لا يخرج منها حتى، ولو كانت الحاجة زينب هي من ربته.

انعكس غضب ياسمينا على سلوكها، فكانت تتصرف بعصبية واضحة طوال النهار؛ لذا فما أن أنهت عملها حتى أسرعت عائدة إلى منزلها.... كان عمر قد سبقها لتوه أو هكذا رتب الأمور ليبدو اللقاء طبيعيا، لكنه لم يكن يعلم حجم عصبيتها التي جعلتها غير قادرة على السيطرة على السيارة، فارتطمت بسيارة عمر... خاف عمر على ياسمينا من أن يكون قد أصيبت بضرر، لكن عندما وجدها سالمة تحدث بسخرية.

لو ناوية تستمري في السواقة بالشكل ده لازم تتعلمي القفز من السيارة لأن من المؤكد العربية حاتنقلب...

لم ترد ياسمينا على سخريته، وتركته، وأسرعت إلى منزلها، وقد نسيت كل متعلقاتها بالسيارة كما أنها نسيت إغلاقها.... لاحظ عمر ما نسيته ياسمينا، فأسرع وسرق من حقيبتها بطاقتها الشخصية، وصورة لها، كما تفحص الجاكت الذي نسيته، وعرف منه مقاس ياسمينا في الملابس... عادت ياسمينا إلى سيارتها، وكانت تسير بعصبية، وأخذت كل ما نسيته، ونظرت لعمر بحدة.

النهاردة الساعة عاشرة.

لم تنتظر رده... لم يستطع عمر إخفاء ابتساماته، فها هي المرحلة الأولى من خطته قد نجحت، ولم يبق غير المرحلة الثانية، والأخيرة...

بدأت ملامح المرحلة بما قام به عمر من وضع نظام صوت بالحديقة، وأدار أسطوانات للموسيقى الهادئة منذ الغروب..

ضجر محمد من الموسيقى، واعتبر أن ما سيفعله عمر هو الفجور بعينه،، فكيف سيأتي بأصدقائه، ويقيم حفلات في حديقة القصر، وماذا سيفعلون وقتها، لكن ما كان يعزيه أنه بذلك قد وضع نهاية مؤكدة لعلاقته بياسمينا هكذا كان يعتقد المهندس محمد، وشاركته نجلاء الرأي، لكن حملت الأسطوانات التي أدارها عمر رسالة مختلفة لياسمينا، فهي نفس الألحان التي تعشقها، وعمر يعرف ذلك جيدا، وسبق أن أهداها إياها... أهي صدفة أم هي شيء آخر ؟!

حاولت ياسمينا ألا يأخذها الوهم بعيدا، وأكدت على نفسها أن عمر كان واضحا، وصريحا معها إلى أقصى درجة، فلماذا تحاول أن تعيش الوهم ثانية ؟!

رغم قناعة ياسمينا الكاملة من أن لقاءها مع عمر لن يكون أكثر من لقاء عمل تشرح فيه وجهة النظر العلمية لتأثير مصنعه الضار بالبيئة، فقد كان هناك شعور غامض جعلها تترقب حدوث شيء ما لم يكن تعرف ما هو... كان قلبها دقاته متزايدة في انتظار وقوع حدث جلل...

استعدت ياسمينا للقاء عمر، وارتدت «بلوزة» من الحرير وردية اللون انعكس لونها على بشرتها البيضاء، فزادتها جمالا، كما ارتدت « بنطلونًا» كحليًا أظهر رشاقتها، ورغم برودة الجو، فلم تضع شالا على كتفيها حتى تبدو في كامل تأنقها... حرصت على وضع المساحيق على وجهها، واهتمت بشكل شعرها، فرفعت إحدى جانبيه بمشبك شعر... كانت تريد أن تبدو في أبهى صورة، وكأن فراق عمر لم يؤثر فيها بأي شكل من الأشكال.... أخذت ياسمينا هاتفها معها، فقد تجد الفرصة مناسبة للتشاغل عن عمر بالحديث مع أي شخص.

كان عمر قد وصل قبل ياسمينا، وجلس على الأريكة الخشبية، ووضع جوليا بجواره كما وضع بعض الأوراق على الأريكة... لم تجد ياسمينا مكانا لتجلس، فظلت واقفة، وعمر متشاغل عنها بالقراءة في الأوراق، ولم يرفع رأسه حتى لتحيتها...

استشاطت ياسمينا غيظا، وكادت أن ترحل لكن عمر وجه لها الحديث أخيرا بأنه لم يفهم شيئا من الأوراق التي بعثتها له، وهي يعيد قراءتها عله يجد شيئا عمليا يمكن تطبيقه... ازدادت ياسمينا غضبا، وحاولت إيضاح بعض الأمور له، لكنه ظل متشاغلا عنها، ولم يلتفت لما تقوله، فصمتت...تحدث لها عمر، وهو ينظر إلى الأوراق.

وإيه اللي يأكد أن زيادة أمراض القلب، والصدر في منطقة المصنع، وبين العمال بسبب مصنعي..

نظرت له ياسمينا ببلاهة، وردت عليه.

لأنه المتغير الوحيد.

لم يلتفت عمر لها، وظل يقلب في الأوراق... ثم رد عليها أخيرا.

مش يمكن فيه متغير تاني إنت مش واخدة بالك منه زي طبيعة العمل، والضغط العصبي، والتوتر، والعامل النفسي... كل دي مش عوامل بتأثر في أمراض القلب.

تعجبت ياسمينا من معلومات عمر الطبية، لكنها لم تعلق عليها، فهو لم ينتظر تعليقا منها، وظل يقرأ في الأوراق، ويداعب جوليا.

حاولت ياسمينا أن ترد على إهمال عمر لها، فأخرجت هاتفها، وظلت تعبث بالأرقام، فوجدت رقم نادر، فاتصلت به، فقد هداها

حديث عمر عن الحالة النفسية للمريض إلى إيجاد حجة للحديث مع نادر عن والدته، وتأثير حالتها النفسية على حالتها الصحية... تعمدت ياسمينا أن تتحدث مع نادر بود، ودون أي تكلف، وكانت تطلق الضحكات، وهي تشرح لنادر تشخيصها لحالة والدته، وكيف يمكن أن ينقلب الحال إذا أهمل حالتها النفسية.

كانت ياسمينا تتوقع أن يكون لحديثها مع نادر أي تأثير، لكن على العكس لم يظهر عمر أنه شعر بأن ياسمينا قد أجرت اتصالا تليفونيا، فازدادت ياسمينا توترا، وهمت أن تترك المكان، لكن عمر حدثها ببرود.

هي أم نادر لسه دايخة ؟!

ابتسمت ياسمينا، لكنها سرعان ما اخفت ابتسامتها، وارتدت قناع الجدية، وغيرت مجرى الحوار.

ممكن أعرف إيه اللي في الورق إنت مش فاهمه... أنا تعبت من الوقفة.

صمت عمر قليلا، وكأنه لم يسمعها ثم عاد لحديثه عن أم نادر، فقد أهدته ياسمينا دون أن تدر الورقة الرابحة.

أنا مش قصدي أتطفل على صديقك نادر، وأمه لكن موضوعها مرتبط بكلامنا عن الحالة النفسية، والضغط العصبي.

ردت عليه ياسمينا بانفعال.

أولا نادر زميلي في الشغل، وأنا باعالج والدته بحكم

التخصص، ثانيا أنا ما انكرتش موضوع تأثير الحالة النفسية... طبعا التوتر، والضغط العصبي، والنفسي أكبر أعداء للقلب.

صمت عمر قليلا، واصطنع الشرود، وترك الأوراق، ونظر لياسمينا، ثم عاد لحديثه.

عارفة زمان شفت فيلم أجنبي... يعني لو عندك وقت أكلمك عنه هو مرتبط بموضوعنا.

أشارت له ياسمينا برأسها ليستكمل حكايته.

كان عن شخص تعرض لضغط نفسي رهيب مؤامرات، وتحقيقات في البوليس، وفضل يومين ما ينامش، وكمان هددوه بحبيبته أو أولاده مش عارف... المهم الراجل ده ركب عربيته، وهو متوتر جدا، ساق بأقصى سرعة، وبعدين صرخ بشدة، وانقلبت العربية، وكان السؤال هو انتحر، ولا تعرض لأزمة قلبية... المهم حبيبته رفعت قضية، واتهمت المتآمرين ضده بأنهم قتلوه...

كانت ياسمينا تستمع لحكاية عمر بتأثر، وزاد من تأثرها صوت الموسيقى الذي كان يملأ المكان، وبدأت الدموع تغزو مقلتيها، وخرجت الكلمات من قلبها.

فعلا... قتلة.

ياه.... إيه اتجنن من الخوف.

لا الموضوع مالوش علاقة بالجنون.... لكن الضغط، والتوتر بيأثروا على القلب جدا، وأحيانا الأزمات القلبية بتأدي

لنقص الأوكسجين في الدم، وينتج عنه حالة هياج شديد، إحنا أحيانا بنضطر نربط المريض، وهو في قمة الأزمة عشان نعرف نعالجه...

ابتسم عمر قليلا.

ياه... يعني ممكن المريض يخرف، ويهيج، والدكتور ما يخدش على انفعالاته.

طبعا... ما فيش دكتور بياخد انفعالات المريض أو كلامه على محمل الجد... واحد بيصرخ من الألم يبقى ناخد على تصرفاته.

وقف عمر في مواجهة ياسمينا، وأحكم حصار عينيه حولها، واقترب منها ببطء... تجمدت ياسمينا في مكانها، وعينا عمر تحاصرانها من كل اتجاه... تحدث لها عمر بصوت هادىء رخيم، وهو يواصل اقترابه منها.

الحكاية دي مش خيال دي حقيقة... أنا بطلها لكن للأسف أحسن دكتورة قلب ما عرفتش تشخص الحالة، وتركتني أصرخ من الألم.

اقترب عمر أكثر، وأكثر من ياسمينا، ثم أخذها من يديها ليدور بها على أنغام الموسيقى الساحرة، ويرقصان معا... كانت ياسمينا كالفراشة تحلق في الهواء، وقد استسلمت لنظرات عيني عمر، وسحر همساته... واصل عمر حديثه الهامس، وكأنه يشارك الموسيقى في نغماتها.

إزاي وإنت دكتورة القلوب ما تسمعيش صرخة قلبي، وهو بينادي عليكي... ده زعلان جدا منك... واشتكاكي لقلبك..

عمر...إنت...

تلعثمت ياسمينا، وعجزت عن إكمال كلامها، فواصل عمر همساته، وهو يطير بها فوق السحاب.

بحبك...وحا فضل جنبك على طول حتى لو طردتيني ماليش مكان تاني.. أنا بعت كل حاجة في القاهرة ومش سايب البدرشين... عارفة لو توجوني ملك على كل بلاد الدنيا مايساويش لحظة واحدة، وأنا جنبك... أنا قلبي ما نبضش إلا لما شافك...

ابتسمت ياسمينا من كلام عمر عن القلب، فرد عليها مبتسما.

فعلا دي ظاهرة تحتاج للدراسة، لكن أنا من غيرك أموت... كنت مجنون، وفكرت إن البعد فيه حماية ليكي، لكن ضلوعي هربت مني، وجريت عشان تخبيكي جواها.

استمر عمر يرقص مع ياسمنته ونغمات الموسيقى تحيط بهما من كل مكان، وعينا عمر لا تفارقان عيني ياسمينا، وكأنهما خلقتا لهذا الغرض... غرقت ياسمينا في فيضان المشاعر المتدفق من عيني عمر، فهمس قلبها له.

بحبك.

توقف عمر عن الرقص، وظل ثابتا في مكانه لحظات، فلم يجد في الكون كله أي كلمة ممكن أن يرد بها على ياسمينا، فقد غمرته

شلالات من السعادة... فتغيرت كل ملامح وجهه لترسم لوحة من الفرح، وتتلألأت عيناه بالضحكات الصافية... شعر عمر بقلبه يطير من بين ضلوعه ليعانق قلب ياسمينا، فظن أنه في حلم جميل، فلا يمكن أن يحدث كل ماحدث..

مد عمر يده ليلمس وجه ياسمينا الذي اشتعل احمرارا... اقترب منها أكثر ليرى نجوم الحب المنطلقة من عينيها، لكن نسمات الهواء أرادت أن تشاركهما الفرحة فداعبت خصلات شعر ياسمينا، وأتت بها على وجهها... أسرع عمر بإزاحة الشعر عن وجه ياسمينا، واقترب أكثر لتلامس جبهته جبهتها... أحس بأنفاسها الحارة تشعل وجهه، فأيقن أنها الحقيقة، فاقترب ليقبل الشفتين اللتين أغدقتا عليه بكل هذه السعادة... كانت ياسمينا مثله تظن نفسها في حلم جميل، حتى لمسات عمر... أوصالها المرتجفة... دقات قلبها التي تعزف ألحان الحب كل هذا، وأكثر ليس إلا جزءا من حلمها، فاقتربت من عمر، وقربت شفتيها من شفتيه... ضمها عمر بحنان وغرقا معا في قبلة طويلة.. أغمض كل منهما عينيه حتى لا يفيق على غير ما هو فيه... فقد كانا يحلقان وسط سماء الخيال، وأخيرا هبطا على أرض الواقع، وعمر يهمس لياسمينا.

بحبك.

شعرت ياسمينا بالنيران تسري في جسدها، وأحست بأن اعترافها بحب عمر تناقلته الرياح، ونشرته على أوراق الشجر

في كل أنحاء الدنيا، فملأها الخجل...وأمطرت جبهتها بقطرات العرق، فاستأذن قلبها من قلب صاحبه ليتركها تفر من بين ذراعيه لتعود إلى منزلها، وقد تبدل حالها كل التبديل، وعادت كزهرة الياسمين المتفتحة، وفي الصباح الباكر ملأت الدنيا بأنغام البيانو الساحرة...

وجم والدها عندما استمع إلى نغمات ابنته، وحدث نفسه بصوت مسموع، والغيظ يأكله.

– عملها ابن شهيرة، وضحك على البنت مرة تانية.

(٢١)

كانت ياسمينا تنظر دائما إلى هاتفها منتظرة رسالة من عمر يلقي عليها تحية الصباح، وعندما يأست من ذلك غادرت المنزل متجهة إلى عملها، وهي تعتقد أن عمر لايزال نائما..

ما إن وصلت ياسمينا إلى سيارتها حتى وجدت عمر واقفا في انتظارها، ويقدم لها زهرة ياسمين، وهو يلقي عليها تحية الصباح... ردت عليه ياسمينا ضاحكة.

أنا فاكرة إنك لسه ما صحتش.

طوقت عينا عمر ياسمينا، واقترب منها قليلا، وحدثها بصوت هادىء.

أنا ما نمتش عشان أصحى.

اندهشت ياسمينا مما قاله، فرد عمر على دهشتها باسما.

أبدا خفت ليكون كل اللي حصل امبارح مجرد حلم جميل، وأصحى ألاقي نفسي لسه ميت....

قاطعته ياسمينا، وهي تضع يدها على فمه حتى لا يكمل كلامه، وتحدثت بجدية.

والله حاأزعل منك لو جبت السيرة الوحشة دي تاني...

أمسك عمر بيد ياسمينا، وقبَّل أصابعها، واقترب منها، وهو يهمس لها.

آسف.

فجأة دوى في المكان صياح المهندس محمد ينادي على ياسمينا، فطلب عمر منها أن تسرع بمغادرة المكان، وهو له حديث مع والدها... نفذت ياسمينا ما أشار به عمر الذي وقف شامخا أمام محمد، وتبادلا النظرات الحادة.

تحدث عمر معه مباشرة، مؤكدا على تمسكه بخطبة ياسمينا، ويريد أن يتزوجها في أسرع وقت، لكن محمد رد عليه بعصبية مؤكدا على موقفه من ضرورة أن يبتعد عن ابنته نهائيا... ازداد الموقف حدة، وارتفعت أصواتهما حتى وصلت لمسامع نجلاء، فأسرعت لتهدئة الموقف، لكن عمر كان الانفعال قد بلغ منه مبلغا، وتحدث بصوت أقرب إلى الصراخ.

حرام عليك... ليه بتعمل كده ؟! هو أنا مش ابن صاحب عمرك يعني لو كنت عايز أخطب أي واحدة تانية مين حايروح معايا مش إنت، ولا عايزني أخد إسماعيل، ولا مصطفى ؟!

اخفض عمر من نبرات صوته، وحاول أن يهدأ.

- آسف ياعمي، لكن اللي بتعمله ده حرام، والله أنا بحب ياسمينا، ولايمكن أجرحها، ولا أعمل أي حاجة تزعلها... أنا

عمري ما حبيت، ولا كنت بأفكر في الحب، لكن صدقوني أنا بحب ياسمينا.

شعرت نجلاء بتعاطف مع عمر اندمج مع حزنها على ابنتها، فحاولت أن تجد مخرجا لهذا الموقف، لكن محمد كان حاسما، ورد على عمر بحدة.

إنت وسط الوحل، وأنا مش حاأرمي بنتي...

حاول عمر أن يوضح له أنه ترك كل شيء، واستقر في البدرشين، لكن محمد لم يقتنع، فكيف لمن توج رئيسا لمجلس إدارة مجموعة اقتصادية كبرى يترك كل ذلك ليكد، ويكدح ؟!.... كيف لمن تعود على المال السريع، والصفقات قصيرة العمر يعود إلى بناء الصروح الاقتصادية الحقيقية التي تقهر الزمن...

كان حكم محمد نهائيا بأن عمر من عالم، وياسمينا من عالم آخر، ومن الصعب اللقاء بينهما... لم يهتم محمد بعدم قبول عمر لحكمه، فحكمه سينفذ... سينفذ، وهو قادر على جعل ابنته تذعن له... لم يتحمل عمر أحكام محمد المجهزة، فصاح، وهو يكاد أن يصرخ ألما.

اظلمني زي ما إنت عايز، لكن ورحمة أبويا صاحب عمرك إلا ياسمينا... حرام تعذبها بينا هي مالهاش ذنب.

تركه محمد دون أن ينطق بكلمة، وتبعته نجلاء، وقلبها يتمزق من الحزن.. أدرك عمر أن الوقت ليس في صالحه، فأسرع في

تنفيذ كل ما خطط له، فاتفق مع مأذون البدرشين، وأعطى له كل الأوراق المطلوبة ، وطلب منه أن يكون على أتم الاستعداد في أي وقت... رغم كل ما قاله محمد، فقد كان عمر على يقين من أنه سيتزوج ياسمينا في أقرب وقت، فقد أنبأه قلبه بهذه البشرى، ولم يكذبه قلبه من قبل...

كان على عمر أن ينهي كل علاقاته بمستنقع الفساد ليعود إلى بيته، ولحسن حظه أنبأه السمسار أن مسألة بيع ممتلكاته على وشك الانتهاء؛ لذا لم يبق غير المجموعة التي عليه قطع كل علاقته بها.... اتجه عمر لخوض المعركة الأخيرة، وفى الطريق اراد أن يأخذ جرعة كافية من الهدوء النفسي المغلف بالسعادة المطلقة، فاتصل بياسمينا التي كان القلق يكاد أن يقتلها، فهي تريد أن تعرف ماذا حدث بين والدها، وعمر... حكى لها عمر ما حدث مما زاد من توترها، لكن عمر حدثها مبتسما..

يعني ممكن الإنسان يطير فوق السحاب، وياخد كل السعادة اللي على الأرض، وقلبه يمتلئ بالحب كل ده من غير شوية تعب.

صمتت ياسمينا برهة ثم تحدثت بصوت خافت.

إنت كلامك حلو قوي.

تغيرت نبرات صوت ياسمينا، وتحدثت بحدة.

عمر أوعى تكون بتضحك عليَّ...

رد عليها عمر ضاحكا.

يعني بضحك عليك إزاي.

غضبت ياسمينا من ضحكاته.

آه... يعني إنت مش بتحبني أو بتحبني عادي، ولا عايز تتجوزني كده، وخلاص... والله أزعل منك أصل أنا ب....

تلعثمت ياسمينا، واختفى صوتها تماما... أطلق عمر ضحكة صافية، ثم تحدث بصوت رخيم...

بتحبيني قوي، وأنا بحبك قوي.... قوي.... قوي.

شعرت ياسمينا بالإحراج، والخجل، فتصنعت الجدية.

إحنا في الشغل .... سلام.

أغلقت ياسمينا الهاتف بسرعة، وهي تتلفت حولها خوفا من أن يكون هناك من لاحظ ما أصابها من خجل أشعل وجنتيها.

أما عمر، فقد نال ما أراده من جرعات السعادة، وظل يردد الأغاني المرحة طول الطريق حتى وصل إلى مقر المجموعة، وهناك كانت الخطوة الأخيرة، فقد أعلن استقالته، وأنهى كل علاقاته الإدارية بالمجموعة، ولم يبق له سوى عدد من الأسهم. حاول عمر قدر المستطاع أن تتم جميع الأمور بهدوء، ودون أن يتسبب في أي ضرر لا للمجموعة، ولا للعائلة، لكن كان لوالدته رأي مختلف... رغم أن مصطفى كان سعيدا بقرارات عمر، وحاول إقناعها بما يفعله ابنها، وإنه لا مجال لوجوده بينهم بعد ما فعله بإسماعيل. لم تقتنع شهيرة بكل ذلك، فهي تدرك موقف

زوجها من ابنها، لكن ما كان يملؤها حقدا هو إدراكها أن زينب الأخرى هي التي وراء كل شيء... لقد بذلت شهيرة قصارى جهدها لتجعل ابنها يعيش الحياة التي تريدها له، لكن ظلت ماما زينب هي الحائل بينهما... لتموت زينب، وتخطف شهيرة ابنها من عالم الحاجة زينب، لكنها سرعان ما تعود للحياة مرة أخرى... هنا صرخت شهيرة بأعلى صوتها مهددة ابنها، ومتوعدة إياه.

أنا مش حاخلي زينب تاخدك مني تاني... فاهم.

نظر لها عمر بتحد، وتحدث بحدة.

زينب دي جدتي اللي ربتني، وإنت عيشتي حياتك، وأنا حا أتجوز، وأعيش حياتي وسط أملاكي الحقيقية أصرف فلوسي على التبرعات، ولا على الهلس ما حدش حايبلغ عني النيابة.

أسرع عمر بمغادرة المجموعة دون أن ينظر للوراء... كان وهو يخرج من بوابتها الكبيرة كمن يعود للحياة بعد غيبوبة طويلة... سار قليلا في الشارع الواسع الذي يقع فيه مبنى المجموعة، ثم وقف ليستنشق الهواء باستمتاع، وكأنه يستنشق الهواء النظيف لأول مرة في حياته.

قضى عمر باقي يومه يتجول بين المحال المختلفة ليحضر لياسمينا كل ما يلزمها من جهاز خاص بها، ولم ينس شراء ثوب الزفاف لملاكه الذي كان معه في كل خطوة، فصوت ياسمينا دائما يرن في أذنيه يهمس له برأيها في كل ما يشتريه... وفي طريق عودته

للبيت مر على أحد محال المجوهرات ليحضر لياسمينته هدية خاصة جدا...

كانت سيارة عمر قد امتلأت بما أحضره من أشياء مختلفة، وكأنه حولها لسيارة نقل بضائع. تعجب عم كامل من كم الأشياء التي أحضرها عمر، والتى تدل على أنها أشياء خاصة بالنساء... ملأ الحزن عم كامل، وظن بعمر السوء، وتنهد من شدة الأسى، وهو يحمل الأكياس مع سيده، وظل يستغفر ربه، ويردد المثل الشعبي.

رجعت ريمة لعادتها القديمة.

تبسم عمر، وهو يراقب خادمه العجوز.. بعد أن أدخلا كل ما أحضره عمر... تحدث عمر إلى عم كامل.

إيه يا راجل يا عجوز... إنت فاكر إيه ؟! أنا حااتجوز.

لم يتمالك عم كامل نفسه من الفرحة، وعانق سيده، والدموع تملأ عينيه، وظل يحمد ربه على أنه استجاب لدعائه، وعمر يقهقه ضاحكا من السعادة.

إنت مش حاتسألني هي مين ؟

المهم إن ربنا هداك..

ياسلام مش يمكن بعد الجواز ماتهديش.

صمت عم كامل لحظة، ثم تحدث بهدوء :

لا يمكن يابني لو إنت كده كنت زمانك اتجوزت كام مرة زي

ما بنسمع عن الناس اللي ما بتحترمش الجواز.

أنا حا أتجوز ياسمينا ياعم كامل.

وقف عم كامل صامتا، فظن عمر أنه ضمن الفريق الرافض لزواجه منها، لكنه ابتسم قائلا.

ما أنا كنت عارف من زمان... من أول المناغشات اللي كانت بينكم، ولا فاكرني كنت حاأعمل الشاي، واليانسون على الفاضي.

نظر له عمر.

يا راجل يا عجوز.

لم يحتج عم كامل أي تعليمات من عمر، فقد وضع خطته لترتيب البيت استعدادا لقدوم سيدته، وبدأ في الاتصال بمن سيأتي للمساعدة.

كان عم كامل يسعى لإعداد البيت بأسرع وقت، أما عمر فجلس في الحجرة التي خصصها كحجرة للنوم، ووضع بها الأثاث الجديد، أخذ يرتب الملابس التي اشتراها لياسمينا في صوان الملابس، ويضع اللمسات الأخيرة استعدادا لقدوم العروس، وأغلق الحجرة بعد أن ملأها برائحة الياسمين...

وعلى الجانب الآخر، وبالقرب من منزل عمر كان المهندس محمد يواجه ياسمينا... لم يدع لها فرصة للمناقشة أو حتى الكلام، فقد أصدر حكمه النهائي على قلبها، ولا مجال لأي معارضة...

ردت ياسمينا على والدها بنهر من الدموع فاض من عينيها، لكن قلب محمد لم يلن لعذاب ابنته، فصاحت فيه نجلاء.

حرام عليك إنت عمال تقطع مرة في قلب البنت، ومرة في قلب عمر هما عملوا إيه؟! وذنبهم إيه ؟!... يعني لو جوزناها لأي واحد، وطلعت أمه سيئة، وحا نبعد ليه هي حماة داليا ملاك من السما... على الأقل عمر عارف أمه كويس...

لم يغير كلام نجلاء شيئا في موقف محمد الذي تمسك برأيه أكثر... لم يكن محمد وحده المتمسك برأيه في معارضة هذه الزيجة، فشهيرة هي الأخرى كانت من أشد المعارضين، وعبثا حاول ابنها علي، وزوجها مصطفى إقناعها بقبول الأمر الواقع، وإن اختلفت نية كل واحد منهما، لكنهما اتفقا على مباركة ما فعله عمر، وحاولا إقناع شهيرة بذلك، لكن النار التي بداخلها حرقت أي كلمة تسعى لاختراق قلبها لجعله يلين، ولو قليلا، وسيطرت عليها فكرة واحدة، وهي التخلص من ياسمينا بأي ثمن....

لم تكن الأفكار الإجرامية من سمات شهيرة، لكن شيطان الكبرياء أعماها عن كل شيء، فاتصلت بكريم ابن أخيها، وأمدته بكل المعلومات التي جمعتها عن ياسمينا، وأوكلت له أمرها.... اتفق كريم مع حسن مسئول الأمن في المجموعة على ضرورة تلقين ياسمينا درسا لا تنساه طوال حياتها.

كان كريم يتصرف، والحقد يملؤه متناسيا أن ما فعله عمر هو ما كانوا يتمنونه، ويسعون من أجله، لكن أن يحصلوا عليه، ويسعد

عمر، فهذا شيء آخر... فقد كان الهدف الحقيقي هو سعادة عمر، فكريم، وباقي جبهته يرونه يحقق دائما ما يريد، ولديه مفاتيح السعادة سواء عاش حياته الخاصة عابثا أو أخذ الأمور بجدية... وهنا لابد من تحطيم هذه السعادة بأي شكل، ولا أفضل من تلقين محبوبته درسا قاسيا لتفر منه بأقصى سرعة لديها.... لكن أيمكن أن تفر ياسمينا من عمر ؟!... إن مكانها الوحيد بجواره هناك عند شجرة الياسمين مع دقات الساعة العاشرة...

لم تنتظر ياسمينا دقات الساعة، فما إن نام والداها حتى أسرعت إلى شجرة الياسمين كانت على ثقة من أن عمر ينتظرها هناك، فلم تحاول الاتصال به... صدق حدسها، فقد شعر عمر بما يجيش في صدرها فسبقها إلى شجرة الياسمين.

كانت ياسمينا تشعر بخوف، واضطراب، وضيق، وألم... ما أن رأت عمر حتى ارتمت بين أحضانه، وانفجرت باكية... كانت دموع ياسمينا لهيبا يكوى قلب عمر.. حاول عمر تهدئة ياسمينا، فاحتواها بصدره، وهو يهمس لها.

اهدي... اهدي ياحبيبتي... كل حاجة حاتبقى تمام، وزي ما أحنا عايزين... المهم تهدي، وبلاش دموع، وحياتي عندك..

تمالكت ياسمينا نفسها قليلا، وحاولت ابتلاع دموعها، لكن الغضب تملكها، فابتعدت عن عمر، وحدثته بعصبية.

أهدى... أهدى... إنت مش مقدر الموقف... بابا رافض

أي كلام، وخلاص ما تتجوزيش عمر.... دلوقتي بيقول عليك وحش... مش إنت برضه عمر اللي كان طول الوقت بيمدح فيك، ويدافع عنك... وكان شايف إن معدنك كويس، وإنك تربية الحاجة زينب، وإنك...وإنك... أنا اللي كنت ما بحبكش....وبعدين بعد ما حبيتك خلاص... بقي عمر وحش...طب كان بيقول عنك كده ليه عشان اتعلق بيكِ، وأحبك وخلاص.

رد عمر عليه مبتسما.

وأنا بحبك قوي... قوي... قوي.

انتبهت ياسمينا إلى ما قالته، وهي في ذروة غضبها، فشعرت بالخجل، ونظرت إلى الأرض، وهربت بوجهها بعيدا عن عمر الذي لم تفارق الابتسامة وجهه، وذهب إلى كل ناحية تتجه ياسمينا إليها.... أخيرا أمسك بأسفل وجهها، ورفعه ليجعل عينيها الخجلتين في مواجهة عينيه.... كانت أوصالها ترتجف، والنيران مشتعلة في وجهها مما زاد من ابتسامة عمر، واقترب منها قليلا، فشعر بها طفلة خجولة تسعى للاختباء،وإخفاء وجهها حتى لا يرى أحد النيران المنطلقة منه... حاول عمر أن يخفف من حدة خجلها خاصة أنه لاحظ خفقان قلبها المتزايد، فهمس لها.

تكلي شيكولاتة ؟

لم ينتظر ردها، وأخرج من جيبه قالب شيكولاتة... أمسكته ياسمينا بفرح، وقطعت منه قطعة قضمت جزءًا منها، فأمسك عمر

بيد ياسمينا، واقترب منها، وجعلها تضع الجزء الآخر من قطعة الشيكولاتة في فمه، وظل ممسكا بيدها، ثم قبل أصابع يدها، وهو يحدثها بصوت هادىء رخيم .

ياسمينا أنا بحبك، وإنت بتحبيني... يبقى الدموع، والزعل لازمتهم إيه وإحنا بنعيش أيام خطوبتنا الجميلة.

ابتسمت ياسمينا له مؤكدة على كلامه، فاقترب منها أكثر، وطلب منها أن تغمض عينيها، وعندما فتحت عينيها قدم لها عمر سلسلة بها قلب من الألماس... طارت ياسمينا من الفرح من هدية عمر.

الله... أنا بحب جدا المجوهرات اللي على هيئة قلب... إنت عرفت إزاي؟!

نظر لها عمر بعتاب... كانت سرعة الهواء تزداد قوة، وتداعب خصلات شعر ياسمينا، فدخل عمر في سباق مع الهواء، وداعب خصلات شعرها، وعيناه تحكمان حصارهما لها، ولسانه يحدثها نيابة عن قلبه.

كل حاجة بتحبيها قلبي بيحكي لي عنها، لكن هو عرف إزاي أكيد بينه وبين قلبك اتصال إحنا ما نعرفش عنه حاجة...

لم تستطع ياسمينا أن ترد عليه في أول الأمر، فقد كانت واقعة في أسر عيني عمر اللتين خففتا من حصارهما لها، وعمر يلبسها السلسلة، وهو يغني أغنية فريد الأطرش.

«قلبي ومفتاحه دول ملك أيديك، ومساه، وصباحه يسألني عليك»

ما أن فرت ياسمينا من أسر عيني عمر حتى عادت إلى طفوليتها في الحديث.

على فكرة أنا أساسا ما بحبكش ممكن أكون معجبة بس بيك، ولا بتفكرني بعمو حامد لكن بحبك لدرجة الاتصال بين قلبي، وقلبك...لا طبعا.

نظر لها عمر معاتبا طفلته المشاكسة، فاستمرت ياسمينا في عنادها.

آه... أنا مابحبكش... إنت بس اللي مغرور، وفاكر إني...

قاطعها عمر، وهو يجذبها نحوه، ويكذب جميع ادعاءاتها بقبلة حارة انتزع من خلالها اعتراف ياسمينا بأن قلبها ملك له يهمس بحبه مع كل نبضة فيه...غار قلب عمر من هذا الاعتراف، فاعترف هو الآخر بأنه أسير ياسمينا، وهي الآمرة الناهية، ولا سلطان لغيرها عليه...

(٢٢)

كانت السحب تملأ السماء، وتبشر باحتمال هطول الأمطار بين لحظة، وأخرى... استبشر الحبيبان خيرا، ودعا كل منهما الله بأن يحمل لهما المطر الخير..

أسرع عمر بالاتصال بياسمينا ليخبرها بما أسر له به قلبه.

أنا واثق من المطر.

كفاية ثقة زايدة... أنا مش فاهمة سببها إيه ؟!! الكل معترض وإنت...

قاطعها عمر باسما.

لا مش الكل... عم كامل مبارك جوازنا، وأبو كي بيحبني، لكن هو خايف شوية.

عارف أنا حاسة إن ماما، ودااليا ماعندهمش مانع.

تبقى اتحلت، وأنا مجهز كل حاجة للجواز.

اندهشت ياسمينا من كلامه..

جواز !! هو مافيش خطوبة الأول.

حصل يا حبيبتي...إنت نسيتي يوم حفلة كاظم الساهر.

عمر... إنت بتتكلم بجد ؟!

مفيش هزار في الموضوعات دى إحنا خلاص حانتجوز في أسرع وقت...

وجمت ياسمينا من كلامه، ثم استعادت وعيها قليلا..

عمر الكلام مش حاينفع في التليفون.

نتقابل... أمر عليكي لما تخلصي القصر العينى، ونروح على أي فندق من اللي على النيل جنب الكلية...

وكأنه أمل قديم كم حلم عمر به... لذا لم تسعه الدنيا من السعادة، وهو يجلس مع ياسمينا حول مائدة تطل على النيل، ويستمعان معًا إلى صوت الأنغام الساحرة التي تعزف على البيانو..

كانت ياسمينا تشعر ببعض التوتر الذي كانت تحاول إخفاءه بالابتسام، والنظر في أي شيء بعيدا عن عيني عمر، لكن هل تستطيع أن تفر منهما ؟!... إنها سرعان ما وقعت في أسرهما... لم تدر ياسمينا كم مر من الوقت، لكنها انتبهت أخيرا على صوت النادل الذي رحب بعمر، فهو زبون دائم، ثم قدم لهما قائمة المشروبات... تنبهت ياسمينا لشيء أقلقها، فاندفعت في حديثها الحاد السريع.

عمر... إنت على طول بتيجي هنا ؟

طبعا...إحنا دايما...

صمت عمر برهة، وابتسم، فقد فهم ما ترمي إليه، فأمسك بيدها، وتحدث بصوت خافت.

أنا عمري ما رحت الأماكن دي مع أي واحدة...

رمته ياسمينا بنظرات طفولية تدل على عدم تصديقها له، فرد عمر عليها بابتسامة حانية، وتحدث بصوت ضاحك..

والله... صدقيني دي أماكن للمحبين... همه هنا بيعرفوني عشان الحفلات، واللقاءات بتاعة رجال الأعمال، لكن غير كده ما فيش...

سحبت ياسمينا يدها من يد عمر، وأمسكت بقائمة المشروبات لتخفي عينيها عن عينيه، ولتجد الشجاعة في الكلام معه...

ما إنت كنت عايز تضحك عليَّ، وتخدني نفس المكان ده.

رد عليها عمر مبتسما.

أنا كنت بأضحك على نفسي لإني كنت غرقان في حبك، ومش عايز أعترف حتى بيني، وبين نفسي.... وإنت كمان كنتي وقتها بتحبيني..

أثار كلام عمر ياسمينا، فارتسمت على وجهها ملامح طفلة غاضبة، وردت بحدة.

ياسلام على الغرور إنت ليه مش عايز تصدق إني مابحبكش... أنا...أنا بأعطف عليك وعشان كده ممكن أكون قلت لك كلام ... يعني، لكن الحقيقة أنا مابحبكش...

تلألأت عينا عمر بالابتسامات.

على فكرة هنا فيه مصاحف... تحبي أجيب واحد تحلفي عليه..

وبطفولية ردت عليه.

عمر إنت وحش، وأنا برضه مابحبكش.

رد عليها عمر بصوت نابع من قلبه.

خلاص... بلاش تحبيني... أنا بحبك، وبأعشقك، ونفسي تحصل معجزة، وأخبيكي جوه قلبي عشان تبقي معايا دايما، لكن ارجع، وافتكر عينيكي اللي فيها كل حاجة.. شقاوة.. تهور.. جرأة.. خجل.. إصرار.. عناد... وقتها ما تمناش من الدنيا إلا إني أفضل أسير ليها...

أطرقت ياسمينا رأسها، وتلعثمت في الكلام.

عمر... إنت.. إن...إنت..

صمت عمر لتهدأ ياسمينا، وتستطيع الحديث... حاولت ياسمينا اصطناع الهدوء، وغيرت مجرى الكلام، وتحدثت بصوت جاد ليخفي اضطرابها.

إيه موضوع الجواز اللي إنت كلمتني عنه ؟!

رد عليها عمر مبتسما، فقد أدرك ما بها من اضطراب.

أنا فعلا جهزت كل حاجة عشان نتجوز في أسرع وقت.

يعني إيه ؟!

تحدث عمر بهدوء، ورقة.

يعني بحبك، ومش قادر على بعدك... ياسمينا اللي بيحب بيكون عايز حبيبه دايما معاه، وده مش حايحصل إلا لما نتجوز... ياسمينا أنا من يوم ماشفتك، وإنت دخلتي جوه قلبي... شوفي بقي أتأخرنا إزاي...

نظرت له ياسمينا، والابتسامة تضيء وجهها.

جميل كل اللي بتقوله لكن الجواز مش عايز تجهيزات.

أنا عملت كل حاجة.. غيرت حجرة النوم، واشتريت لك ملابس كتير حتى فستان الفرح جبته، واتفقت مع مأذون البدرشين...

قاطعته ياسمينا بحدة.

إنت بتضحك عليَّ أولا عرفت مقاسي إزاى... كمان الورق، والصور اللي اديتهم للمأذون جبتهم إزاي، وبعدين مين قال لك إني حاوافق على حجرة النوم اللي جبتها، وكمان...

قاطعها عمر، وهو يضحك.

الورق والصور سرقتهم من شنطتك لما نستيها في العربية، والمقاس عرفته من الجاكت اللي كنت نسياه، وبعدين ياستي لما نتجوز إبقى غيري إللي ما يعجبكيش إلا حاجة واحدة..

إيه ؟

كنبة حجرة المكتب اللي نمت عليها وإنت بتنقذيني... عارفة الجرح اللي عالجتيه ده غالي عليا قوي... أنا كتير بأحط أيدي على

جنبي، وأطبطب عليه..

ياسلام ليه بيفكرك بالحبايب.

وبصوت رخيم رد عليها عمر.

فعلا... لكن الحبايب اللي عالجوا مش اللي جرحوا.

وباندفاع أخبرته ياسمينا برأيها فيه في ذلك اليوم.

إنت كنت غلس يومها، وتقريبا طردتني، وأنا بشرب القهوة.

أطلق عمر ضحكة صافية

غيرت من ضحكك مع عم كامل، كمان كنت خجلان من نفسي، وقتها كان عندي شعور غريب ماكنتش عارف أضربك، ولا أخنقك، لكن في نفس الوقت كنت بأموت عشان أضمك لصدري، وأسمع دقات قلبك، وأخليكي تسمعى دقات قلبي اللي بتنبض بحبك...

اشتعل وجه ياسمينا خجلا، ولم تعرف ماذا تفعل فقد تملكها الاضطراب حتى إنها كادت أن تسكب كوب الماء الذي كان أمامهاعلى المائدة، فرفع عمر عنها الحرج، وسألها عما تريد تناوله، هنا عادت ياسمينا لطبيعتها الطفولية.

آيس كريم، وكبير كمان، وما تقلش زي ماما، بابا يوجعلي زوري..

يا دكتورة بلاش نتجوز الأول..

عمر... الآيس كريم وإلا مافيش جواز.

أسرع عمر بمناداة النادل وطلب أكبر أنواع الآيس كريم... حاول عمر تقليل ما تأكله ياسمينا، فكان يختلس منها بعض الآيس كريم..هنا تملك الغضب من ياسمينا.

عمر... والله العظيم أضربك ما تستألش بيا أنا بطلة جمباز يعني أعرف أضرب، وأجري.

أطلق عمر ضحكة صافية.

أنا مجرب ضربك، لكن بلاش آيس كريم كتير عشان خاطري..

دعت مداعبات عمر لياسمينا، وضحكاتهما معا كل طيور الحب لترفرف على مائدتهما، فجذبت أنظار الجالسين حولهما... وبين الإعجاب، والغبطة تراوحت الآراء، لكن في مكان قصي كانت هناك نيران حقد تستعر في قلب سيدة من علية القوم، فاندفعت نحو مائدة عمر وسلمت عليه...

شعر عمر ببعض الإحراج، لكنه سرعان ما تجاوز الأمر، وعرف ياسمينا للسيدة بأنها خطيبته، فازدادت نيران السيدة اشتعالا، وتفوهت ببعض الألفاظ التي تحمل آلاف المعاني، ولا غرض منها إلا إثارة ياسمينا... لم يتحمل عمر تصرفات تلك المرأة، وأنهى اللقاء سريعا بأسلوب خال من أبسط قواعد اللياقة، لكنه تعمد ذلك ليؤكد لياسمينا أنه قطع كل علاقة تربطه بالماضي بلا أي رجعة، فسواء كانت تعرف ياسمينا تلك السيدة أو لا تعرفها،

فهي إحدى رفيقات عمر السابقات، وهو لا يريد إن يكون لدى ياسمينا أي ظلال شك نحوه...

أمسك عمر يد ياسمينا، وكأنه طفل خائف يحتمي بيد والدته، وانطلقت الأسئلة من عينيه..

«هل عندك شك في أن قلبي ملك لك إنت وحدك ، ولا ترى عيناي أحدًا غيرك ؟؟؟»

ردت عينا ياسمين على عمر..

«إن قلبي يحتمي بجدار قلبك، ويعرف كل ما ينبض به... فاطمأن أنت...»

ظل عمر ممسكا بيد ياسمينا لفترة، ثم رفعها، وقبل أصابعها اعترافا منه بأنها مليكته التي أسرته لينعم بالحرية بعيدا عن مستنقع الفساد.. لكن هل سيتركه مستنقع الفساد لينعم بأسره الجميل ؟!

لم يكن الأمر بمثل هذه السهولة، فالفساد دائما ما يصادق بعضه، ويتحالف على من يحاول الخروج من دائرته، فصديقة عمر السابقة سرعان ما اتصلت بكريم لتتأكد من خبر خطبة عمر، فقد كانت هذه السيدة من معارف كريم هو الآخر أو هكذا كان يريد أن يوهم نفسه، وهو يلهث وراءها، فقد كانت غيرته من الشائعات التي كانت تحيط بعمر، وتربط بينه، وبين نجمات المجتمع سببا قويا في جعل كريم يلهث وراء كل واحدة منهن.

وجدت السيدة الفرصة سانحة لتوجه كريم كيفما شاءت نحو

ما رأته، فامتلأ بالحقد على ابن عمته...أسرع كريم بالاتصال بعمته التي أصيبت بحالة هستريا، وظلت تصيح تريد إبعاد ياسمينا في الحال... لم تهتم بأي شيء، فمهما كانت الوسيلة، ومهما كانت العواقب.. لا يهم... المهم عمر يبتعد عن زينب الأخرى... وجدها كريم فرصة سانحة لتنفيذ أي مخطط إجرامي للانتقام من عمر، وتدميره نهائيا.. وهذا كله بمباركة من والدته.

اتصل كريم بحسن، وأخبره بالتعديلات الجديدة، فالأمر لم يعد مجرد تلقين دروس قاسية، كما أن السرعة مطلوبة... فهم حسن ما يريده كريم فاتفق مع ثلاثة من محترفي أعمال البلطجة، وقدم لهم كل المعلومات التي لديه عن ياسمينا، وطلب منهم اختيار الوسيلة الأحسن لتنفيذ العملية.

منذ الصباح الباكر وقعت ياسمينا تحت دائرة محكمة من المراقبة... لم تكن ياسمينا يخطر ببالها التفكير في أي شر يحاك ضدها، كما أنها لم تكن تفكر في أي شر من شرور الدنيا... كانت لا ترى غير الخير، والسعادة، ولا تفكر إلا في عمر... ترن كلماته في أذنها، فتسرع إلى البيانو لتبدأ يومها بأنغام عذبة تشاركها في عزفها أوتار قلب عمر، فتخيم السعادة على المكان...

أنكر المهندس محمد هذه السعادة، فبدل جو البيت، وملأه بالغضب والصياح، وكأن هناك حدثًا جللًا قد وقع، ولم لا؟ ألم يسرق عمر قلب ابنته ؟ هكذا كان يصيح قلب محمد يحذره من ذلك المحتال الذي استولى على ابنته...

أوقفت ياسمينا كل مظاهر السعادة، وأسرعت بالاتصال بعمر لتخبره بحالة التوتر التي تخيم على البيت حتى لا يحاول مقابلتها في ذلك الصباح... حاول عمر أن يبث الطمأنينة في نفسها، واكتفى بأنه استمع إلى صوتها..

كان صوتها هو زاده طوال اليوم، فبين الفترة، والأخرى يتصل بها، أو يرسل لها رسائل حب... رجع عمر للوراء أكثر من عشرين عاما، وعاد مراهقا يطارد فتاته بهاتفه المحمول... كانت ياسمينا تشعر بالسعادة الغامرة، وعبثا حاولت إخفاءها عن المحيطين بها الذين لاحظوا ما يصلها من مكالمات، ورسائل، فتحدثت لعمر بجدية ليوقف عبثه قليلا... فرد عليها ضاحكا.

أعمل إيه ؟... قلبي هو اللي بيتصل... خلاص يادكتورة القلوب منك له اتصرفي.

اصطنعت ياسمينا الجدية.

عمر أنا عندي شغل... ممكن تبطل هزار.

بحبك.

سلام... وكفاية دلع.

انتظرى أنا جاي عندكم النهاردة.... إنت حاتخلصي امتى ؟

على المغرب لكن...

قاطعها عمر بحزم..

ياسمينا كل حاجة لازم تتحسم لصالحنا.

ردت عليه ياسمينا ضاحكة.

بالرفض، ولا بالقبول يا ترى.

شاركها عمر الضحك.

أنا ديمقراطي، والرد عندي يعني نعم أو نعمين، لكن الرفض مالوش محمل...

استغل عمر الوقت في استكمال شراء باقي الأشياء التي تنقصه، وتذكر أنه نسي نفسه، فاشترى ملابس جديدة له... استمر عمر يتنقل بين المحال حتى حل الغروب، فاتصل بياسمينا التي كانت قد اقتربت من الانتهاء من عملها، واتفقا على اللقاء عند البيت...

كان الهواء باردا، وازداد برودة، والسماء ملبدة بالغيوم الثقيلة التي أعلنت عن نفسها بالبرق، والرعد، وانهمرت الأمطار الغزيرة... رغم أن عمر استبشر خيرا بالمطر، فقد أحس بشعورغامض جعل قلبه ينقبض خوفا، فنطق باسم ياسمينا بصوت مسموع... حاول عمر أن يطرد أي خوف من قلبه، فاتصل بياسمينا ليطمئن عليها...

كانت ياسمينا تقود سيارتها في طريق العودة للبيت، ولم تستجب لدعوة عمر بألا تقود في المطر، وتنتظره قليلا..

ياسيدي أنا بأعرف أسوق في كل الأحوال الجوية.... وما تخافش أنا بأعرف أنط من العربية..

لم يطمئن عمر من كلام ياسمينا، وازداد خوفه عليها الذي لم يجد له سببا، وإنما تملكه التوتر... كان لا يريدها أن تغلق الهاتف، وفي نفس الوقت كان لا يريدها أن تنشغل عن الطريق بأي شيء.. استمرت حيرة عمر التي حسمتها ياسمينا، وأنهت المكالمة.

واصلت ياسمينا طريقها، لكنها لاحظت سيارة تتبعها، فحاولت الابتعاد عنها، لكن السيارة كانت تلاحقها... حاولت ياسمينا الفرار لكن استمرت ملاحقة السيارة لها... امتلأت ياسمينا بالخوف، وكان عمر هو الآخر لا يقل خوفا عنها رغم أنه لم يكن يعرف السبب، فاتصل بياسمينا ليتأكد من أن مخاوفه لم تكن وهما، بل حقيقة.

قاد عمر سيارته بأقصى سرعة ليلحق بياسمينا التي بلغ منها الخوف مبلغا، فالسيارة التي تلاحقها بدأت تطاردها... تضيق عليها الطريق... تريد أن تصدمها، أو تجعلها تنحرف عن الطريق... كانت الترعة على يمين ياسمينا، والسيارة الأخرى تقطع عليها الطريق بكافة الوسائل... كانت سيارة تفوق سيارة ياسمينا من حيث المتانة، والسرعة، وبها مجموعة من الأشخاص الذين يتعطشون للنيل من ياسمينا، وبدأوا يصدرون بعض الصيحات ليزيدوا من اضطرابها... لم تعرف ياسمينا ماذا تفعل.. تقبض على عجلة القيادة بكل قوتها... أنفاسها متقطعة من الخوف تدعو الله في كل لحظة... دقات قلبها سريعة، ومتزايدة... أوصالها ترتجف لا تعرف ماذا تفعل حتى هاتفها لم تستطع الرد عليه... كان عمر

يحاول أن يطمئن عليها، وعندما لم تجبه ازدادت حالته سوءا، وبدأ يصيح، وهو يلقي باللعنات على آل البسيوني، ويصرخ داعيا الله بأن ينجي ياسمينا من كيدهم... يسرع بسيارته، ويكاد يطير بها... كان قلبه أسرع منه، فشعر بدقاته كدقات طبول الحروب، وها هو يقترب من سيارة ياسمينا، والسيارة التي تلاحقها ليرى مطاردة قذرة أجبرت ياسمينا على أن تنحرف عن الطريق الذي امتلأ بالأوحال من المطر المنهمر، وفي لحظة كانت سيارة ياسمينا تهوي في قاع الترعة، والسيارة الأخرى تفر هاربة...

امتلأ الكون كله بصرخة أطلقها عمر، وكأنها زئير أسد جريح، وفي لمح البصر، وصل إلى مكان الحادث... خرج من سيارته لا يدري هل هو حي أم ميت، فقد توقف الزمن، والحياة عنده..

كان هناك صوت أنين، وسمع أهات ألم... اقترب مسرعا ليرى ياسمينا، وقد تكومت على الأرض، والأوحال تكسوها.... أسرع عمر إليها، واللهفة تملؤه... كانت كل أوصاله ترتجف، ودقات قلبه يعلو صوتها ليهز المكان كله... أمسك عمر بياسمينا، وساعدها بأن تنهض ليحتويها جدار قلبه الذي كان يطوقها وليس ذراعاه... كانت ياسمينا تبكي ألما، وترتجف خوفا، وضع عمر رأسها بين راحتيه، وهو يسألها.

إنت بخير... بخير ؟؟؟

لم ينتظر عمر ردها بل أعادها مسرعا لتسكن بين ضلوعه علها تجد السكينة، لكن كيف، وضلوعه ذاتها ترتجف هلعا على

ياسمينا التي ازدادت بكاءً... حاول عمر أن يهدئ من روعها، وروعه، فأخذ يقبل ياسمينا من شعرها المكسو بالأوحال... لكنه لم يدر أحقا ياسمينا بين يديه أم إنه في وهم... وضع عمر رأس ياسمينا ثانية بين راحتيه، وأخذ ينظر إليها بعينين هلعتين ممتلئتين بالدموع... تحدثت إليه ياسمينا بصوت متقطع من النحيب.

أنا نطيت من العربية... العربية وقعت في الترعة... عمر أنا كنت حا أموت.

صرخ عمر فزعا.

اوعى تقولي كده... اوعى ياحبيبتي.

بدأ المارة يتجمعون حول مكان الحادث، فلم يلتفت عمر لأحد، وحمل ياسمينا بين ذراعيه، وأسرع بها إلى سيارته.... كانت ياسمينا قد هدأت قليلا، لكنها كانت تشعر بالآلام من أثر القفز من السيارة، وإن كان سقوطها وسط الأوحال قد خفف من حدة إصابتها.

كان عمر يسمع تأوه ياسمينا فيتملكه الغضب حتى أنه لم يستطع قيادة السيارة، فتوقف قليلا، وأغمض عينيه، ثم ملأ نفسه بالتحدي، والرغبة في الانتقام، فاتصل بمحاميه، وأعطاه الأوامر ببيع كل أسهمه في المجموعة، والإعلان عن قطع كل صلة تربط بينه، وبين مجموعة البسيوني، ولم يكتف بالحديث مع المحامي، بل أجرى عدة اتصالات في هذا الشأن مع العديد من الشخصيات من كبار السياسيين، ورجال الاقتصاد، ورؤساء تحرير الصحف

الكبرى... لم يلتفت عمر للتعليقات الخاصة بأن ما يفعله سيسبب إحراجا للمجموعة، ويضعف موقفها، فقد كان هذا هو ما يسعى عمر له بالضبط.

شعر عمر ببعض الهدوء، فنظر إلى ياسمينا ليتأكد أنها بجواره، كانت ياسمينا لا تستطيع استيعاب ماذا حدث، وماذا يحدث... لم يحاول عمر أن يشرح لها شيئا، وواصل مكالماته، واتصل بأخيه علي، وطلب منه أن يحضر فورا إلى البدرشين، ثم طلب من ياسمينا أن تفعل نفس الشيء مع أختها داليا... نفذت ياسمينا كلامه دون أي مناقشة، فقد كان غضبه أقوى من أن يقف أي شخص أمامه، ورغم أن ياسمينا لم تعرف كيف تفسر طلبها لداليا، لكنها ألحت على طلبها حتى امتثلت داليا لها...

وأخيرا وصلا إلى منزل البدرشين.. دلف عمر بسيارته من البوابة كقائد ثورة يريد رأس الملك...أصر عمر على حمل ياسمينا، ونادى على المهندس محمد ليفتح لهما الباب.... هلع محمد، ونجلاء من منظر ابنتهما التي حاولت إدخال الطمأنينة على قلب والديها لكن دون جدوى، طلب عمر من ياسمينا أن تذهب لتستحم... ذهبت نجلاء مع ابنتها، وتركت عمر مع محمد...

كانت حالة عمر أسوأ بكثير من حالة ياسمينا، فملابسه كانت متسخة من الأوحال، ووجهه ملطخ، والغضب قد تملك منه، فجعل جسده كله يرتجف، لم يستطع الجلوس، أما نبرات صوته، فكانت تعزف لحنا من الغضب الممزوج بالدموع... لم يفهم

محمد ماذا حدث في باديء الأمر، لكن عمر شرح له الموقف، ثم صرخ متألما.

كفاية ظلم... أنا لازم أتجوز ياسمينا حالا.... أنا كلمت علي أخويا، وكلمنا داليا كمان عشان ييجوا.... ودلوقتي نتصل بمأذون البدرشين أنا محضر كل الأوراق اللازمة...

نظر له محمد بدهشة، وبلادة..

هو فيه إيه ؟!

استمر عمر في إخراج آلامه في صورة نوبات صياح يعلن بها تمرده، ورفضه لكل القيود التي تحول بينه، وبين ياسمينا.

عارف إنك رافض الجواز، وحاتأكد كلامك باللي حصل لياسمينا، وإني عاجز عن حمايتها، لكن حرام والله أنا بعت كل الأسهم في المجموعة، ومش سايب البدرشين أبدا...

كان جسد عمر كله ينتفض، والعرق يتصبب من جبهته، وهو يزرع الأرض ذهابا، وإيابا، ومحمد ينظر إليه بوجه خال من أي تعبير، وأخيرا رد عليه بهدوء شديد.

روح خد حمام، وغير هدومك، وتعال.

انفجر عمر في الصراخ من شدة الألم الذي يعتصر قلبه، فرد عليه محمد بنفس الهدوء.

روح خد حمام، وغير هدومك، وتعالى أجوزك بنتي.

تحولت كل آلام عمر إلى فرحة غامرة، وقفز في الهواء من

السعادة، واندفع يقبل محمد الذي نفر من الأوحال التي كانت تلطخ عمر، وسأله متعجبا.

مش بنتي هي اللي عملت الحادثة، إنت اطينت ليه ؟!

مرت الأحداث بأقصى سرعة كما أراد عمر... حضر أخوه كما حضرت داليا، وأسرتها، وجاء المأذون لينعقد القرآن في لمح البصر... كان الجميع مندهشا من إيقاع الأحداث السريع، لكن الكل كان سعيدا خاصة عم كامل الذي كان يوزع المشروبات، وهو لا يصدق أن الله استجاب لدعائه...

انحنى عمر جانبا بأخيه، وأخبره بما حدث، ورد فعله على تلك المؤامرة الحقيرة، وأوضح له أن السبيل الوحيد لإبعاد العائلة عن الشائعات التي ستدمر المجموعة، وهو أن يحضرالجميع حفل زفافه، لكنه في نفس الوقت أرسل معه تهديدا لكل أفراد العائلة بأن من يقترب من البدرشين بعد حفل الزفاف سيدمره، وهو قادر على ذلك، وأكد أنه عندما يشتاق لوالدتهما فسيزورها وحده.

استمرت مفاجآت عمر، فأعلن أن حفل زفافه هو، وياسمينا سيقام في اليوم التالي، قوبل قراره برفض من الجميع عدا ياسمينا التي لم تكن موجودة وسطهم، فقد تركتهم بعد عقد القران... كانت نجلاء من أشد المعارضين لعمر، فهناك آلاف الأشياء التي عليهم القيام بها، فرد عليها عمر ببرود.

لو بكرة مش مناسب خلاص من النهاردة ياسمينا بقت مراتي،

وممكن نروح على بتنا.

عقدت الدهشة لسان الجميع... هنا تحدث محمد ساخرا.

الواد مجنون، والبنت بتحبه، وطول الوقت بيدلعها، ويقولها ياسمينا بدل ياسمين، وعاملين نفسهم أعداء، وبيتخانقوا، والنهاردة جي مطين... حا تتكلمي تقولى إيه يا نجلا ده كان محضر كل أوراق الجواز.... ياله يجوزوا إن شاالله نخلص من الدق على البيانو في زعلهم، وصلحهم...

اندهش عمر من كلام محمد، ووجم قليلا، لكنه عاد لطبيعته عندما أستأذن أخوه في الانصراف ليستعد لحفل الزفاف، ويبلغ العائلة بقرارات عمر، وكذلك استأذنت داليا، وأسرتها...

ظل عمر يجوب المكان بعينيه باحثا عن ياسمينا التي كانت في حجرتها تستعد استعدادا خاصا للاحتفال بعقد قرآنها... أحس عمر بكل ما تفعله ياسمينا، فكان هو الآخر يتوق شوقا لذلك الاحتفال، فاستأذن من والدها، وأخبره أنه سينتظر ياسمينا في الحديقة..

وأمام شجرة الياسمين ومع دقات الساعة العاشرة وقف عمر منتظرا ياسمينته... كان يرتدي حلة سهرة سوداء بدا فيها أكثر وسامة، وإشراقا، وتناغمت ملامحه مع ابتسامة الفرحة التي علت وجهه، فها هو حلم حياته قد تحقق، ولحظات ويجد زوجته ياسمينا أمامه...

جاءت ياسمينا تتهادى، وقد ارتدت ثوبا للسهرة فضي اللون، ووضعت المساحيق على وجهها، فبدت أكثر إشراقا، ورفعت شعرها الحريري لأعلى ليبدو جمال وجهها..

وقف عمر مشدوها يتأملها، ويرمقها بنظرات جمعت كل المشاعر الجميلة من حب، وانبهار، وسعادة، وانجذاب... ظل عمر صامتا يتأمل محبوبته، وكأنه مسحور بجمالها الأخاذ... اقتربت منه ياسمينا أكثر، وأكثر، فغمرت المكان بعبيرها الذي أعاد عمر إلى وعيه، فنظر لها مبتسما، وهو يأخذ يديها بيديه، ويقترب منها أكثر، وأكثر..

مفيش النهاردة حفلة لكاظم الساهر ؟!

نظرت ياسمينا إلى الأرض، وابتسمت ابتسامة تجمع بين السعادة، والخجل.

مفيش إلا عمر... عمر، وبس...

شعر عمر بالسعادة تسري في شراييه بدلا من الدماء، وأحس بقلبه يغني طربا، فضم ياسمينا إلى صدره عل قلبها يشارك قلبه الاحتفال... كانت ياسمينا تشعر بنفس الشعور، وكأن دماءها قد تبدلت بالفرح، والهناء..

اصطنعت ياسمينا الجدية، وابتعدت عن عمر قليلا، وتحدثت بصوت متزن.

عمر كل حاجة جت بسرعة لكن لو إنت شاكك، ولو شوية

صغيرة إنك حاتيجي يوم، وتشتاق فيه للمجموعة، ولكرسي مجلس الإدارة ممكن...

ممكن إيه ؟

يعني ممكن... ممكن.

صمتت ياسمينا برهة، وعمر ينظر إليها بنظرات حانية ينتظرها لتكمل حديثها.

عمر أنا مش حا أقف أمام طموحك... يعني لو حاتشتاق للناس الوحشين قولي، وخلاص.

تركها عمر، واتجه لشجرة الياسمين قطف منها زهرة قبلها، ثم أعطاها لياسمينا.

ياسمينا... الكلام ده جد.

هزت ياسمينا رأسها بالنفي، وامتلأت عيناها بشقاوة الأطفال.

أنا واثقة إنك اخترت البدرشين، والمصنع... تعرف ليه ؟

ليه ؟

عشان إنت غرقان في حبي حتى قبل ما تشوفني.

ياسلام.. إيه التواضع ده.

أنا واثقة من كده... إنت ناسي إن إحنا جيران، وكاشفين بعض.

آه يعني إنت كنت بتراقبيني، وعينيك عليا من زمان.

لا.. لا أنا كنت بس باتفرج على العالم الغريب اللي دخلته

غلط... عالم لحظاته بتموت بسرعة... هو نفسه بيموت قبل ما يتولد... عالم بيحتضر، ودقايق، ونحطه على جهاز الرئة الصناعي... عشان كده أنا كنت واثقة إنك حاتسيبه وتخرج للحياة...

نظر عمر في عيني ياسمينا، وأخذ يتأمل بريقها الذي جعله يقترب منها أكثر، وأكثر... كان المطر قد قارب على الانتهاء، وإن كانت هناك بعض القطرات التي تنثرها الرياح لتداعب وجه الحبيبن اللذين لم يلتفتا لها، وظلا يقتربان من بعضهما لتهمس شفتا عمر لشفتى ياسمينا.

بحبك.

ويسود الصمت المكان، فلا داعي للكلمات لتبقى لغة الشفاه بين عمر وياسمينته، ويتوقف الزمان أو يسرع الخطى لايهم... لقد غرق الحبيبان في بحور لغتهما الخاصة، وعرفا معنى الحياة....

(تمت)